في علم النحو

دراسة ومحاورة

دكتور
أحمد ماهر البقرى
كلية الآداب - جامعة المنيا

١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

اهـــــداء . .

• إلى أعـــلام النحو

في القـــديم والحديث

• إلى زملاء التخصص

في الحاضر والمستقبل

البقري

تصدير

يضم هذا السفر الذى نتشرف بتقديمه إلى قراء العربية دراسة ومحاورة علمية .

وموضوع الدراسة « الابتداء ونواسخه » ثم « المفعولات الخمسة » وتتخير منها المفعول فيه لتكون الدراسة فى قالب محاورة علمية ثم « التوابع فى النحو العربى» جمعت بينها ظروف متشابهة عند التأليف إذ كانت فى وقت متقارب .

ولعل الكثيرين يتفقون والكاتب فى أن النحو العربى بات بحاجة ماسة إلى من يأخذ بيده إلى دارس العربية فى عمق وبساطة .

وليس مجديا فى نظرنا أن تكون الدراسات النحوية متعمقة إذا لم تضع فى حسبانها كيفية الإفادة منها ، إذ النحو هو محور الدراسات العربية جميعا . البلاغة ، الأدب .. ومن الخطأ أن تنفصل هذه الدراسات عن النحو .

أحمد ماهر محمود البقرى
عضو اتحاد الكتاب ـ مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم/ الأستاذ الدكتور/ **السيد أحمد خليل**

صاحب هذا البحث ـ د. ماهر البقرى أعرفه مذ كان طالبا فقد كان مخلصاً فى طلب العلم ، حريصاً عليه ، لا يدع فرصته تمر حتى يكتسب لوناً من المعرفة يضيفه إلى ما حصل . وأعرفه بعد أن صار أحد أعضاء هيئة التدريس بجامعات مصر ، يبدو انه لم يتغير وقد تغير الناس جميعاً لما يحيط بهم من ظروف تقضى بهذا التغيير فهو لايزال يقرأ ، لا ليضيف بل ليؤلف ويخرج للقراء كل يوم كتاباً . . وأنا هنا لايعنينى ما أخرج وإنما الذى يهمنى أنه شغل نفسه بعلم قال عنه القدماء « إنه نضج واحترق » فالتأليف فيه يكاد يدنو من تحصيل الحاصل ، الذى هو سمته من التفكير المجتر لا المبدع . ذلك هو علم النحو ولكن ماهر البقرى يريد أن يصل بين النحو وبين الفكر فى عقل الطالب بحيث يتحول النحو عنده إلى رياضة عقلية تمتعه لاتمضه ، وتثريه لاتفقره ، ويتخذه معياراً يحكم به على سلامة التفكير وصحة المنهج ، وقوة الفهم ، وسرعة الخاطر . وعمق الإدراك فليس الأمر فيه مقصوراً على الضمة والفتحة والكسرة والسكون ، وإنما جماع الأمر فيه ـ أن يصبح طبيعة خيرة عند المتعلم متى خالفها أحس بأنه اجترم إثماً ، أو اقترف فاضحة تهز نفسه وتزلزل وجدانه ومن هنا اتجه البقرى إلى ربط النحو بالفكر فيما عالج من موضوعات ، ويبدو ذلك واضحاً عنده فى تناوله للجملة الاسمية وما يلحقها من تغيير ، ذلك لأن التفكير وحدته الأولى القضية أو الجملة . كما عرض للفضلات وهو الاسم الذى أطلقه عليها القدماء ، وهو إطلاق ينبغى أن يغير لأنها فى الواقع وإن عدت فضلات عند النحاة ـ جزء أصيل فى علاقة الجملة بالفكر أو القضية به

الابتداء ونواسخه

مقدمة

كان طبعيا فى أول لقاء بينى وبين إخوانى الطلبة فى قاعة الدرس بكليّ الآداب والتربية بجامعة المنيا أن أتعرف إليهم من خلال رأيهم فى النحو العربى ، وما يثار حوله بين الحين والآخر من صعوبة فى فهمه . ولقد استغربت أول الأمر مايشبه الإجماع على حبهم للنحو ، وهم كثيرون بالمئات ، وشكواهم منه فى آن .

وقـــد كان من أسئلتى سؤال عن أصعب الأبواب فى نظرهم فكانت الإجابة المتكررة • المبتدأ والخبر .

أما حبهم للنحو فلعـــله يرجع إلى الأستاذ الذى تلقوا عنه ، وأما شكواهم فرجعها إلى الكتاب الذى درسوا فيه . . شرح ابن عقيل على متن الألفية .

وحب الشيء لايعنى الغوص فيه ، وتعمق مراميه فى كل الأحوال ، وفى النحو قد يكون التطبيق يسيرا ، وكذلك الاكتفاء بالمثال عن الحد ، ولكن النظر فى تعريفات النحاة لأبوابه وتخريجاتهم لشواهده مما يقتضى الكثير من الجهد .

من أجل هذا اخترت موضوعى للبحث (الابتداء ونواسخه) وهو يشكل ربع النحو العربى تقريبا .

وموضوع (الابتداء ونواسخه) يأتى متصلا فى كتب النحو القديمة والحديثة

وهنا لاينبغى أن نهون من أمرها لأن التفاضل بين منتج وآخر يكاد يتحدد فى دقته فى استعمال هذه الفضلات . وبذلك يدخل النحو ـ فى طريق آخر غير الطريق الملتوى الذى انتهى إليه . . وهو طريق الفهم به والأداء على هدى منه وترسم له واستمساك بدقائقه .

ولا أطيل فى هذه المقدمة ـ وإنما أود أن يتخذ المؤلف من النحو وسيطا يصلح به من أمره ، فلا ينصرف ـ جملة إلى التأليف تاركا شئون الحياة الأخرى ، وهو يدرك بلا شك ـ ماأرمى إليه. فإذا كانت العمد هى أصول التركيب المنطقى واللغوى ـ والفضلات هى اللوازم المميزة لهذا التركيب والفارقة بين أنواعه المختلفة ، فإنى لاأتمنى للمؤلف ـ أن يشغل نفسه بعمد الحياة، تاركا فضلاتها للظروف والملابسات، وأخيراً أرجو للكتاب مايرجو له المؤلف ، من أن يكون متعة لقارئه .

إذ أن الجملة التى تدخل عليها النواسخ أفعالا كانت أم حروفا هى الجملة الاسمية ، و لذلك تعتبر الجملة الفعلية هى الجملة المبدوءة بفعل غير ناقص (أو ناسخ).

ونقسم دراستنا إلى قسمين : الابتداء ثم النواسخ .

القسم الأول : الابتداء

وفيه نتحدث عن تعريف المبتدأ والخبر ، وأقسام المبتدأ والخبر، ومسوغات الابتداء بالنكرة ، وحذف المبتدأ والخبر ، تعدد الخبر . ثم منهج المتقدمين فى درس المبتدأ والخبر مع ما ينبغى من توجيه فى نظرنا .

القسم الثانى : النواسخ

وهو فى بابين بعد تمهيد نعرض فيه لمعنى النواسخ فى اللغة والنحو .

الباب الأول : الأفعال الناسخة وينقسم إلى فصول ثلاثة :

الفصل الأول : كان وأخواتها .

« الثانى : كاد وأخواتها .

« الثالث : ظن وأخواتها .

الباب الثانى : الحروف الناسخة وهو فى فصلين :

الفصل الأول : إن وأخواتها

« الثانى : (لا) النافية للجنس

ثم نذيل هذا القسم ببحث فى « النواسخ عند المتقدمين » لابراز وجهات النظر المتميزة .

ونحسب أن الدرس النحوى الذى يبغى التيسير على الفهم لابد أن يجمع

الشرح إلى التطبيق أو ما تسميه الإعراب ، كذلك كان يفعل النحاة قديما غير أن الاستطراد منهم إلى بيان معنى لفظة وجمعها مثلا . أو إعراب بعض كلمات الألفية مما قد يقطع اتصال الفكرة النحوية فى ذهن القارىء .

ولقد أورد بعض أبيات الألفية لينتفع بها من تروق له هذه الطريقة فى الشرح، ولكى يكون الحفاظ على التراث النحوى ماثلا فى ذهن القارىء .

والله أسأل أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم ، وهو ـ سبحانه ـ حسبى ونعم الوكيل .

القسم الأول

الابتـــــداء

وهو يشتمل على الباب الأول « المبتدأ والخبر » من دراستنا ، نتناول فيه : نوعى المبتدأ ، رافع المبتدأ ، الابتداء بالنكرة ، أنواع الخبر ، الرابط فى جملة الخبر ، محاولة تعليل اقتران الخبر بالفاء ، تعدد الخبر ، ترتيب الجملة الاسمية : تقديم الخبر بين الجواز والوجوب .

مواضع الحذف فى الجملة الاسمية : الحذف الجوازى ، الحذف الوجوبى لكل من المبتدأ والخبر .

ونذيل الباب ببيان منهج المتقدمين فى درس المبتدأ والخبر وما يكون لنا من وجهة نظر .

ونحن نلحظ أن الحديث عن الابتداء أو المبتدأ لابد أن يستتبع الحديث عن الخبر ، فهما لذلك ركنا الجملة الاسمية .

المبتدأ والخبر

المبتدأ والخبر : هما الاسمان المجردان للإسناد (١) .

نحو : الأستاذ مخلص

يقول الدسوقي : والمعلوم (من الاسمين) هو المبتدأ (٢)

ولعل الأدق أن يقال : والأسبق إلى المعلومية ، أو كما يقول سيبويه : تبتدىء بالأعرف ثم تذكر الخبر ... ولا عليك قدمت أو أخرت(٣).

والمبتدأ على قسمين :

١ - مبتدأ له خبر .

٢ - « له مرفوع سد مسد الخبر

وفي القسم الأخير يعرب مبتدأ كل وصف اعتمد على استفهام أو نفي (٤) .

وهو مذهب البصريين إلا الأخفش : فالأخفش والكوفيون يجيزون : قائم

(١) يقصد بالتجريد إخلاؤهما من العوامل اللفظية وهي (كان وأخواتها) ، (إن وأخواتها) . و (ما) الحجازية .

وشرط التجريد أن يكون من أجل الإسناد أي الإخبار عن المبتدأ فإذا لم تخبر عنه بشيء كان بمنزلة صوت تصوته لايستحق الإعراب. ابن يعيش: شرح المفصل ٨٣/١ ، ٨٤ ط . المنيرية - القاهرة .

(٢) حاشية الدسوقي على المغني ١٠١/٢ « بتصرف يسير » .
ط الحميدية - القاهرة ١٣٥٨ هـ .

(٣) الكتاب ٤٧/١ ط . دار القلم - القاهرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م

(٤) نحو : ماحي الوالدان
ما : حرف نفي ، حي : مبتدأ مرفوع وعلامة الرفع الضمة الظاهرة .
الوالدان : فاعل سد مسد الخبر .

الزيدان (١) .

وهو صحيح عندنا . والشاهد .

فخير نحن عند الناس منكم ... إذا الداعي المثوب قال : يالا (٢) .

خير : مبتدأ ... نحن : فاعل سد مسد الخبر.

وموضع الشاهد : أنه لم يسبق (خير) نفي أو استفهام (٣) .

ما الذي يجعل المبتدأ مرفوعا ؟

لقد شغلت الإجابة عن هذا السؤال اهتمام النحاة ، فمن ذاهب إلى أن العامل في المبتدأ والخبر الابتداء (٤) .

أما سيبويه وجمهور البصريين فمذهبهم أن المبتدأ مرفوع بالابتداء ، والخبر مرفوع بالمبتدأ (٥) . وهو ماذهب إليه ابن مالك في ألفيته .

ورفعوا مبتدأ بالابتدا ... كذا رفع خبر بالمبتدا

(١) شرح ابن عقيل على متن الألفية ص ٧٣ . الطبعة الخامسة . القاهرة .

(٢) المثوب : الذي يلوح بثوبه مستنجدا

يالا : أي يالفلان ، حذف المستغاث به . ووقف على لام الاستغاثة بألف إطلاق .

(٣) شرح ابن عقيل ص ٧٥

(٤) شرح المفصل ٨٥/١ ، شرح المكودي على ألفية ابن مالك ص ٣١ ط . القاهرة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦ م

(٥) الكتاب ١/ ، الأنباري : الإنصاف ص ٣١ ط . السعادة بمصر ١٣٧٤ هـ

وعندنا أنه إذا كان المبتدأ اسما والخبر متمم له أو كما قيل : الخبر هو المبتدأ فى المعنى أو منزل منزلته (١) كقولنا هى القمر حسنا أو بتعبير سيبويه « إن الاسم أول أحواله الابتداء ، وإنما يدخل الناصب والرافع – سوى الابتداء – والجار على المبتدأ — »(٢) فإن للابتداء الأولوية ، وإنما رفع الخبر بالابتداء بواسطة المبتدأ كالماء تسخنه النار بواسطة القدر (٣) .

فالابتداء عمل فى الجزءين (المبتدأ والخبر) كما عملت (كأن) فى المشبه والمشبه به لما اقتضتهما معا (٤) ، فالمبتدأ شرط لرفع الخبر ، وليس علة للرفع (٥) .

مسوغ الابتداء بالنكرة

الأصل أن المبتدأ يكون معرفه ولا يجوز الابتداء بالنكرة ، فلو قلت – مثلا – « كان إنسان حليما ، كنت تلبس لأنه لايستنكر أن يكون فى الدنيا إنسان هكذا فكر هوا أن يبدءوا بما فيه اللبس (٦) »

ويجوز الابتداء بالنكرة بشرط حصول الفائدة :

١ – أن يتقدم الخبر على المبتدأ ، وهو ظرف أو جار ومجرور .

فوق المكتب كتب

معى عتب أوجهه إليكم وقد تصفو المودة بالعتاب .

٢ – أن يتقدم النكرة استفهام :

---

(١) الإنصاف ص ٣٢ (٢) الكتاب ١/٢٣ وما بعدها .

(٣/٥) شرح المفصل ١/٨٥ ، ٨٨ ، الإنصاف ص ٣٢

(٦) الكتاب ١/٤٨

فإنك لاتبالى بعد حول أظبى كان أمك أم حمار (١) .

٣ – أن يتقدم النكرة نفى :

نحو : ما خل لنا

٤ – أن توصف :

نحو : أستاذ فاضل يلقى المحاضرة .

٥ – أن تكون عاملة عمل الفعل :

كالحديث « أمر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة (٢) » .

ف (أمر) و (نهى) مبتدآن نكرتان ، وسوغ الابتداء بهما ماتعلق بهما من الجار والمجرور ، كقولك : أفضل منك جاءنى (٣) .

٦ – أن تكون مضافة : كقوله تعالى :

(ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) (٤)

(ورزق ربك خير وأبقى) (٥)

وهذه المواضع الستة على سبيل المثال لا الحصر (٦)

---

(١) الكتاب ١/٤٨

(٢) ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ص ٤٢ ط . صبيح – القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م

(٣) ابن هشام . شرح شذور الذهب ص ١٨٣ ط السعادة بمصر ١٣٣٦ هـ

(٤) طه ١٢٧ (٥) طه ١٣١

(٦) تراجع رسالتنا : ابن القيم اللغوى ص ١٥٠ ط أطلس – القاهرة ١٩٧٩م

أنواع الخبر :

ينقسم الخبر إلى :

١ — مفرد　　　　　　٢ — جملة

جامد أو مشتق

١ — يقصد بالخبر المفرد ماليس جملة ولا شبه جملة . والجامد منه يكون فارغا من الضمير نحو : زيد أخوك .

أما المشتق فيتحمل الضمير نحو : زيد قائم .

والمشتق قد يجرى مجرى الفعل كاسم الفاعل واسم المفعول وصيغة المبالغة والصفة المشبهة واسم التفضيل (١) وهذه تتحمل الضمير .

ومن المشتق ماليس جاريا مجرى الفعل كأسماء الآلة . فإذا قلت : هذا مفتاح لم يكن فيه ضمير .

وكذلك ما كان على صيغة (مفعل) وقصد به الزمان أو المكان (٢) .

وكذلك لايتحمل المشتق الجارى مجرى الفعل ضميرا إن رفع ظاهرا نحو : زيد قائم غلاماه .

فـ (غلاما) مرفوع بـ (قائم) فلا يتحمل ضميرا (٣) .

---

(١) شرح المكودى ص ٣٢　　　(٢ ، ٣) شرح ابن عقيل ص ٧٩

يرى بعض المعاصرين إلغاء « تقدير ضمائر رابطة فيما لاحاجة للرابط فيه ، وأهم ما يمثل ذلك : الخبر المفرد والخبر الشبيه بالجملة ، د. محمد جبر : الضمائر ص ٢٤ ط السفير ١٩٨٠ .

وعندنا أن تفصيل النحاة القول فى الضمير الرابط فى خبر الجملة الاسمية يدل على حس لغوى يفرق بين الجامد والمشتق ، ومن المشتق يفرق بين اسم الفاعل =

٢ — جملة الخبر : وهذه قد تكون هى المبتدأ فى المعنى (١) كـ (نطقى : الله حسبى) فهذه لا تحتاج إلى رابط لأنها عين المبتدأ فإن لم تكن فلا بد .

١ — أن يربطها رابط بالمبتدأ :

فى قولك : « زيد قام أبوه » ضمير يرجع إلى المبتدأ ، وقد يكون الضمير مقدرا نحو : « السمن منوان بدرهم » أى منوان منه (٢). وساغ حذف العائد لأن حصول العلم به أغنى عن ظهوره (٣) وكقولك التفاح الكيلو بجنيهين .أى الكيلو منه.

٢ — أو إشارة إلى المبتدأ :

كقوله تعالى : (ولباس التقوى ذلك خير) (٤)

٣ — أو تكرار المبتدأ بلفظه (وأكثر مايكون فى مواضع التفخيم) .

كقوله تعالى (الحاقة ما الحاقة) (٥)

٤ — عموم فى الخبر ويشمل المبتدأ :

نحو : زيد نعم الرجل .

= مثلا - واسم الآلة ، وتقديرهم لا يؤثر فى ميزة « البساطة والايجاز البليغ للغة العربية » وإن أرهق بعض المتعلمين ، لاسيما إذا كنا نقول قولهم فى ضمير الخبر الجملة .

(١) حاشية الصبان ٢٧٧/١

(٢) منوان : مثنى (منا) أى رطلان .　　　مختار الصحاح : م ك ك ، م ن

(٣) السمن : مبتدأ . منوان : مبتدأ ثان ، بدرهم : خبر المبتدأ الثانى . والمنوان وخبره خبر المبتدأ الأول . شرح المفصل ٩١/١

(٤) فى قراءة من رفع كلمة (لباس) . الأعراف ٢٦

(٥) الحاقة ١ ، ٢

ف (نعم الرجل) جملة الخبر . و (أل) فى الرجل للجنس الذى يعتبر زيد أحد أفراده .

الاخبار بالظرف أو بحرف الجر :

يقول ابن مالك :

وأخبروا بظرف أو بحرف جر   ناوين معنى « كائن » أو « استقر »

فهاهنا الخبر شبه جملة : الظرف أو الجار والمجرور . وهو مالم يشر إليه فى ابتداء حديثه عن أقسام الخبر .

ولقد كشف ابن مالك عن مذهبين فى قوله :

* ناوين معنى كائن أو استقر *(١)

فى كلمة (كائن) يندرج هذا القسم تحت الخبر المفرد ، وفى (استقر) يندرج تحت الجملة .

أما أبو بكر بن السراج ونقل عنه تلميذه أبو على الفارسى فى (الشيرازيات) فقد ذهب إلى أن كلا من الظرف أو المجرور قسم برأسه (٢)

وفى الشاهد .

لك العز إن مولاك عز وإن يهن   فأنت لدى بحبوبة الهون كائن

كلمة (كائن) خبر ، (لدى) ظرف متعلق به ، وكان الخبر واجب الحذف « وقد صرح به شذوذا » .(٣)

---

(١) شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ٢٠١/١ ط دار إحياء الكتب العربية القاهرة .

(٢) شرح ابن عقيل ص٨١   (٣) شرح ابن عقيل ص ٨٢

الأمثلة :

« الجنة تحت ظلال السيوف »

الجنة : مبتدأ مرفوع وعلامة الرفع الضمة الظاهرة (١)

تحت : ظرف مكان منصوب ، وعلامة النصب الفتحة الظاهرة .

ظلال : مضاف إليه مجرور ، وعلامة الجر الكسرة . وهى مضاف

السيوف : مضاف إليه مجرور وعلامة الجر الكسرة .

وشبه الجملة « تحت ظلال السيوف» متعلق بمحذوف خبر فى محل رفع . والتقدير الجنة كائنة تحت ظلال السيوف .

أما ظرف الزمان فيكون خبرا عن أسماء الأحداث ، لا أسماء الذوات إلا بتأويل .

الصوم يوم الأربعاء .

الصوم : مبتدأ مرفوع وعلامة الرفع الضمة الظاهرة .

يوم : ظرف زمان منصوب ، وعلامة النصب الفتحة .

الأربعاء : مضاف إليه مجرور وعلامة الجر الكسرة .

وشبه الجملة « يوم الأربعاء » متعلق بخبر محذوف « مستقر أو كائن » فى محل رفع .

يقول ابن هشام « ويخبر بالزمان عن أسماء المعانى نحو الصوم اليوم ، والسفر غدا . لا عن أسماء الذوات نحو : زيد اليوم ، فإن حصلت فائدة جاز كأن يكون

---

(١) ليس من الدقة ـ فى نظرنا ـ أن تقول : مرفوع بالضمة ، وقد رأينا اختلاف النحاة فى الرافع .

المبتدأ عاما والزمان خاصا ، نحو : نحن فى شهر كذا ، وأما نحو : الورد فى أيار واليوم خمر ، والليلة الهلال ـ فالأصل : خروج الورد وشرب خمر ، ورؤية الهلال (١) .

اقتران الخبر بالفاء :

يقترن الخبر بالفاء لربط شبه الجواب بشبه الشرط (كما تربط الفاء الجواب بشرطه فى ستة مواضع) (٢)

فقولك مثلا : الذى ينجح فله جائزة

يشبه من ينجح فله جائزة

وقد دخلت الفاء فى الجملة الشرطية (الأخيرة) لأن الجواب جملة اسمية . وفى كلتا الجملتين (الشرطية وشبه الشرطية) يفهم ترتب لزوم الجائزة على النجاح .

إن وجوه الشبه فى الجملتين :

١ — المبتدأ يدل على الإبهام والعموم (كالاسم الموصول والاسم النكرة) وكذا اسم الشرط .

٢ — بعد المبتدأ جملة أو شبه جملة ليست فيها كلمة شرطية .

---

(١) أوضح المسالك ص ٤١

(٢) هى أن يكون جواب الشرط جملة اسمية أو فعلية كالاسمية (وهى التى فعلها جامد مثل عسى ، وليس ...) ، أن يكون فعلها إنشائيا ، أن يكون فعلها ماضيا، أن تقترن بحرف استقبال (السين وسوف) أى تقترن بحرف له الصدر.

ابن هشام : مغنى اللبيب ١٦٤/١ وما بعدها ، بتصرف يسير ،

تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ـ القاهرة .

٣ — ترتب الخبر على هذه الجملة كما أن جواب الشرط مترتب على فعل الشرط (١) .

واقتران الخبر بالفاء : واجب أو جائز :

واجب بعد (أما) الشرطية ، وجائز فى غيرها .

فاء جواب (أما) : يستدل ابن هشام الأنصارى (ت ٧٦١ هـ) على أن (أما) ـ بالفتح والتشديد ـ شرطية بلزوم الفاء بعدها (٢) نحو (... فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم . وأما الذين كفروا فيقولون) (٣) ، ولو كانت الفاء للعطف لم تدخل على الخبر ، إذ لا يعطف الخبر على مبتدئه ، ولو كانت زائدة لصح الاستغناء عنها (٤) .

أما: حرف شرط وتفصيل(٥) ، وتوكيد (٦)

الذين : اسم موصول ، مبتدأ .

آمنوا : فعل ماض . وواو الجماعة فاعل فى محل رفع .

---

(١) د. عبده على الراجحى : التطبيق النحوى ص ١٠٠ ط دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٩م .

(٢) لقد رأينا أنها لأنها شرطية لزمها الفاء .

(٣) البقرة ٢٦ (٤) مغنى اللبيب ٥٦/١

(٥) وذلك إذا كررت ، أما إذا لم تكرر فلا تفصيل نحو : أما الطالب فجتهد.

(٦) فائدة (أما) فى الكلام أن تعطيه فضل توكيد ... تقول : أما زيد فذاهب أى مهما يكن شىء فزيد ذاهب .

مغنى اللبيب ٥٧/١ ـ باختصار .

فيعلمون : الفاء حرف مبنى على الفتح لا محل له من الاعراب ، واقع فى جواب شرط مقدر ، خبر المبتدأ ، .

يعلمون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة ، وواو الجماعة فاعل ، والجملة من الفعل والفاعل فى محل رفع خبر .

ويحمل ابن هشام وغيره الشواهد التى استغنى فيها عن الفاء فى الخبر على الضرورة نحو :

فأما القتال لاقتال لديكم ولكن سيرا فى عراض المواكب

وفى قوله تعالى (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم) (١) الأصل : فيقال لهم كفرتم ، فحذف القول استغناء عنه بالمقول فتبعته الفاء فى الحذف (٢).

ويلوح لنا أن الفاء تدخل على الخبر لتقوية ارتباط الخبر بالمبتدأ ، وما حمل على الضرورة فى عدم اقتران الخبر بالفاء يرجع عندنا إلى أن ارتباط المبتدأ بالخبر ليس فى حاجة إلى التقوية عند القائل كقول عبد الرحمن بن حسان :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان (٣)

وذلك على اعتبار (من) اسم موصول .

(١) آل عمران ١٠٦ (٢) مغنى اللبيب ٥٦/١ ، شرح الأشمونى ٢٢٤/١

(٣) مغنى اللبيب ٥٦/١ .

تعدد الخبر :

ـ يجوز تعدد الخبر والمبتدأ واحد كـ (هم سراة شعرا) (١) كما يقول ابن مالك (٢) .

وذهب بعضهم إلى أنه لايتعدد الخبر إلا إذا كان الخبران فى معنى خبر واحد نحو : الرمان حلو حامض ، لأن معنى الخبرين راجع إلى شىء واحد إذ معناهما مز ، فهذا لايجوز فيه عطف أحد الخبرين على الآخر لأنهما بمنزلة اسم واحد(٣) فإن لم يكونا كذلك تعين العطف .

ويقول ابن عقيل وغيره : لايتعدد الخبر إلا إذا جاء الخبران فى معنى خبر واحد (٤) .

وعندنا أن هذه العبارة تشير إلى الثبات أو الاتصال فى الوقت عند الخبر الثانى فكأنهما خبر واحد من هذه الجهة . وقوله تعالى (وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد) (٥) أفاد تعدد الخبر ثبوت الأخبار فى وقت واحد دون حاجة إلى تقدير مبتدأ آخر .

وفى قول الشاعر :

ينام باحدى مقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان نائم (٦)

(١ ، ٢) أى هم أشراف شعراء ـ شرح ابن عقيل ص ٩٨

(٣) شرح المكودى ص ٣٧ ، شرح المفصل ٩٩/١

(٤) شرح ابن عقيل ص ٩٨ ، شرح الأشمونى ٢٢٣/١

(٥) البروج ١٤ ، ١٥

(٦) المقلة : شحمة العين التى تجمع سوادها وبياضها .

تفيد عبارة « فهو يقظان نائم » الخبر فى وقت واحد ، ومثله: هو طالع نازل أى فى جملة من الوقت متصلة تخبر عنه بالطلوع والنزول .

أما إذا قلت : هو طالع ونازل ، وهو يقظان ونائم فإن العطف بالواو يدل على تغاير الوقت .

ويذكر بعضهم أنه لايتعدد الخبر إلا إذا كان من جنس واحد كأن يكون الخبران مفردين أو جملتين ... ويقع فى كلام المعربين للقرآن الكريم وغيره تجويز ذلك كثيرا (١) .

ومنه قوله تعالى (فإذا هي حية تسعى) (٢)

جوزوا كون (تسعى) خبرا ثانيا .

---

(١) شرح ابن عقيل ص ٩٩ (٢) طه ٣٠

ترتيب الجملة الاسمية

تقديم الخبر :

يتأخر الخبر لأنه « وصف فى المعنى للمبتدأ فاستحق التأخير كالوصف »(١) ذلك هو الأصل فى الأخبار ، فإذا أمن اللبس جاز تقديم الخبر نحو :

مشنوء من يشنؤك(٢)

من : مبتدأ ، مشنوء : خبر مقدم

والقاعدة أنه إذا كان الخبر معرفة كالمبتدأ لم يجز تقديم الخبر لأنه لايشكل كالشاهد :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد(٣)

معيار التفرقة بين المبتدأ والخبر فى الإعراب أن الخبر هو « الحكم به ... » ف(بنونا) خبر ، (بنو أبنائنا) مبتدأ مؤخر لأن المراد الحكم على بنى أبنائهم بأنهم كبنيهم ، فجاز تقديم الخبر — هنا — مع كونه معرفة لظهور المعنى وأمن اللبس ، وصار هذا كجواز تقديم المفعول على الفاعل إذا كان عليه دليل(٤) .

ولقد عنى النحاة ببيان مواضع تأخير الخبر وجوبا ، غير أن الاستثناءات التى نطقت عنها الشواهد تجعل الوجوب فى محل شك منا .

---

(١) شرح ابن عقيل ص ٨٦

(٢) شرح المفصل ١/٩٢ ، ابن عقيل ص ٨٩ ، المكودى ص ٣٤ ، الأشمونى ١/٢٠٩ شنئه — بالكسر — أبغضه .

(٣) أوضح المسالك ص ٤٢ .

(٤) نحو : أكل كمثرى موسى ، وأبرأ المرضى عيسى .

من تلك المواضع أن يكون خبراً لمبتدأ دخلت عليه لام الابتداء . فلما كان لام الابتداء صدر الكلام امتنع — عند هؤلاء النحاة — تقديم الخبر على اللام . نحو : لزيد قائم .

وقد جاء شذوذا في :

خالى لأنت ومن جرير خاله — ينل العلاء ويكرم الأخوالا(١)

فـ (خالى) خبر مقدم ، أنت : مبتدأ واللام لام الابتداء(٢) .

٢ — أن يكون خبرا لمبتدأ له صدر الكلام كأسماء الاستفهام والشرط و (ما) التعجبية و (كم) الخبرية(٣) نحو :

من لى منجداً ؟ من : مبتدأ لى : خبر منجداً : حال

(قال موسى : ما جئتم به ؟ آلسحر)(٤)

ما : مبتدأ ، والجملة بعدها خبر(٥) .

وجوب تقديم الخبر :

رأينا أن الخبر قد يتقدم لغرض بلاغى وربما غاب عن بعض النحاة فى حديثهم عن تأخير الخبر وجوبا ، بل إننا نقول فى دارج الكلام — مثلا :

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٢١١/١

(٢) نرجو ملاحظة الاهتمام فى تقديم الخبر (خالى) ، ذلك الاهتمام الذى دل عليه سائر البيت ، وأن معنى الخؤولة مقدم عند الشاعر . ولكى يكون المبتدأ فى قوة التعبير عن هذا المعنى أتى بلام الابتداء للتوكيد .

(٣) شرح الأشمونى ٢١١/١

(٤) يونس ٨١

(٥) مغنى اللبيب ٢٩٨/١

لك من فى السلطة ؟ والصحيح عند النحاة أن تقول : من لك .. ؟ ونحن نجيز العبارة الأولى لأنها تعبر عن معنى نفسى فى تقديم الجار والمجرور (لك) .

وهم يذكرون أربعة مواضع أو أكثر لتقديم الخبر وجوبا :

١ — أن يكون المبتدأ نكرة ، والخبر ظرف أو جار ومجرور نحو : عندى درهم ، ولى وطر . ونتصور لو أن طفلا كان فرحا أن امتلك درهما يقول : درهم عندى إن العبارة تكون صحيحة لأن الخبر هو الحكم به ... فهو قد حكم بأن عنده درهما ولكن اهتمامه بالدرهم بدا فى عبارته الأخيرة قويا ، أما فى الأولى فالاهتمام بالملكية هو المقدم سواء أكان ما يملك درهما أم غيره .

٢ — أن يشتمل المبتدأ على ضمير يعود على شىء فى الخبر نحو : فى الحديقة حارسها . وقول الحماسى :

أهابك إجلالا وما بك قدرة — على ولكن ملء عين حبيبها (١)

ملء : خبر مقــدم مضاف ، عين : مضاف اليه مجرور ...

حبيبها : حبيب مبتدأ مضاف ، و (ها) فى محل جر مضاف اليه الشاهد : « ملء عين حبيبها » حيث تقدم الخبر (ملء) على المبتدأ وجوبا لأن الضمير المتصل بالمبتدأ وهو (ها) عائد على (عين) وهو متصل بالخبر(٢) .

٣ — أن يكون الخبر له صدر الكلام كما فى الاستفهام لأن الاستفهام صدر الكلام . نحو : أين زيد ؟

أين : خبر مقدم ، زيد : مبتدأ مؤخر

---

(١) ديوان الحماسة ١٩٧/٢ (مختصر من شرح التبريزى) ط. صبيح ، القاهرة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجى .

(٢) شرح ابن عقيل ص ٩٢ ، الأشمونى ٢١٣/١

يقول ابن يعيش : « إنك إذا قلت : أين زيد ؟ ، فأصله : أزيد عندك ؟ فحذفوا الظرف ، وأتوا بـ (أين) مشتملة على الأمكنة كلها ، وضمنوها معنى همزة الاستفهام فقدموها لتضمنها الاستفهام لا لكونها خبراً(١) .

٤ — أن يكون المبتدأ محصورا : (باقترانه بـ (إلا) معنى أو لفظا) (٢) . بمعنى قصر حكم (الخبر) على المبتدأ نحو :

إنما فى الدار زيد ، ما لنا إلا اتباع أحمد(٣)

فمعنى إنما فى الدار زيد هــو ما فى الدار إلا زيد فكأن التعبير الأول اقترن بـ (إلا) معنى .

ويلفتنا أن ابن هشام وغيره أورد الشاهد :

فيارب هل إلا بك النصر يرتجى عليهم وهل إلا عليك المعول

فى صدد حديثه عن تأخير الخبر حينما يقترن بـ (إلا) واعتبر الشاهد (وهل إلا عليك المعــول) ضرورة (٤) مع أن الشاهد يتفق — فى نظرنا — وقاعدة وجوب تقديم الخبر .

حذف المبتدأ أو الخبر :

يحذف كل من المبتدأ والخبر إذا دل عليه دليل جوازا أو وجوبا ، لأن

(١) شرح المفصل ٩٤/١

(٢ ، ٣) أوضح المسالك ص ٤٤ ، شرح ابن عقيل ص ٩٣ ، الأشمونى ٢١٣/١

(٤) أوضح المسالك ص ٤٣ ، شرح الأشمونى ٢١١/١

الألفاظ إنمـــا جىء بهـا للدلالة عـلى المعنى ، فإذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز ألا تأتى به »(١)

جواز الحذف : ففى إجابة عن استفهام : من عندكما ؟ تقول : زيد

وتحذف الخبر ، والتقدير : زيد عندنا

وفى جواب كيف زيد ؟ قل : دنف

فزيد استغنى عنه إذ عرف(٢)

وفى الشاهد :

نحن بمـــا عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

التقدير: نحن بما عندنا راضون(٣)

وقد يحذف المبتدأ والخبر معـا للدلالة عليهما . كقوله تعالى : (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر ، واللائى لم يحضن)(٤) . أى فعدتهن ثلاثة أشهر كذلك(٥) .

(١) شرح المفصل ٩٤/١

(٢) شرح ابن عقيل ص٩٣ ، حاشية الصبان ٢١٤/١

دنف : ملازمه المرض ، وتعرب خبرا لمبتدأ محذوف والتقدير : زيد دنف .

(٣) شرح ابن عقيل ص ٩٣

ونود أن نوجه النظر إلى صلة النحو بالبلاغة فى هذا الشاهد ، فحذف الخبر يدل — فى نظرنا — عـلى توحدهم والمخاطب فى الرضا ، كلهم راض وإن كان الرأى يختلف حسب التفكير منهم .

(٤) الطلاق ٤

(٥) شرح المفصل ٩٢/١ ، الأشمونى ٢١٤/١ . العكبرى : إملاء ما من به الرحمن ٢٦٣/٢

وجوب الحذف: يحذف المبتدأ وجوبا فى مواضع :

١ ـ النعت المقطوع إلى الرفع فى مدح أو ترحم .

نحو : مررت بزيد ـ بالجر ـ الكريم ـ بالرفع .

التقدير : هو الكريم

و : مررت بزيد ـ بالجر ـ المسكين ـ بالرفع .

التقدير : هو المسكين .

٢ ـ أن يكون الخبر مخصوص (نعم) أو (بئس) :

نحو : نعم الرجل زيد ، فـ (زيد) خبر لمبتدأ محذوف وجوبا ،
والتقدير : هو زيد أى الممدوح(١)

٣ ـ أن يكون الخبر مصدراً نائبا مناب الفعل .

نحو : صبر جميل أى صبرى صبرى جميل(٢).

٤ ـ أن يكون مبتدأ لقسم : نحو :

« فى ذمتى لأفعلن » فى ذمتى : خبر لمبتدأ محذوف واجب الحذف ،

والتقدير : فى ذمتى يمين أو عهد(٣).

---

(١) مغنى اللبيب ٦٣٢/٢ ، شرح ابن عقيل ص ٩٨ ، ويمكن إعراب مثل هذا الأسلوب هكذا :

نعم : فعل ماض مبنى على الفتح . الرجل : فاعل مرفوع وعلامة الرفع الضمة الظاهرة . زيد : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة الرفع الضمة الظاهرة . والجملة الفعلية فى محل رفع خبر مقدم ، والتقدير : زيد نعم الرجل .

(٢) مغنى اللبيب ٦٣١/٢

(٣) خالد الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح ١٧٨/١
ط. دار إحياء الكتب العربية . القاهرة

ويحذف الخبر فى مواضع :

١ ـ بعد (لولا) الامتناعية ، وهو كون الامتناع معلقا بها على وجود المبتدأ الوجود المطلق نحو:

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)(١) أى ولولا دفع الله الناس موجود : حذف (موجود) وجوبا للعلم به ، وسد جوابها مسده(٢) .

وفى الشاهد:

لولا أبوك ولولا قبله عمر ألقت إليك معد بالمقاليد

عمر : مبتدأ ، قبل : خبر(٣)

٢ ـ أن يكون المبتدأ نصا فى اليمين(٤) : نحو : يمين الله لأفعلن .

والتقدير : يمين الله قسمى .

٣ ـ أن يقع بعد المبتدأ (واو) هى نص فى المعية : نحو: كل صانع وما صنع

كل : مبتدأ ، الواو ، للمصاحبة ، ما صنع ، معطوف على (كل) ، والخبر محذوف تقديره : مقترنان .

وكذلك : كل رجل وضيعته أى مقرونان . والفرق بين (الواو) التى بمعنى (مع) ، و (الواو) التى لمطلق العطف أن الأولى لابد فيها من معنى الملابسة ، والأخيرة قد تخلو من ذلك(٥) .

٤ ـ أن يكون المبتدأ مصدرا وبعده حال سد مسد الخبر كقولك : ضربى العبد مسيئا فـ (مسيئا) حال سد مسد الخبر(٦). والتقدير : ضربى العبد لإساءته.

ضرب : مبتدأ ، وجملة (لإساءته) خبر (٧) .

---

(١) البقرة ٢٥١ (٢) شرح الأشمونى ٢١٥/١ ، ٢١٦ (٣) شرح ابن عقيل ص ٩٥

(٤) مغنى اللبيب ٦٣٢/٢ (٥) شرح المفصل ٩٨/١

(٦ ، ٧) شرح الأشمونى ٢١٨/١ ، ابن عقيل ص ٩٧

منهج المتقدمين فى درس المبتدأ والخبر :

لعل أول مايلحظ على الأقدمين فى تناولهم للمسائل النحوية عامة هو التفصيل وتشقيق القاعدة حتى تبدو أحيانا قواعد كثيرة بكثرة الاستثناءات التى ترد عليها ، وقد يركبون لذلك مركبا مستحيلا على الواقع اللغوى . كقولهم:

« وقد يتطابق الوصف مع الفاعل فى الإفراد والتثنية والجمع ، فإن تطابقا فى الإفراد جاز فيه وجهان :

١ — أن يكون الوصف مبتدأ ، وما بعده فاعل سد مسد الخبر .
١ — أن يكون مبتدأ مؤخرا ، ويكون الوصف خبرا مقدما .

ومنه (أراغب أنت عن آلهتى ياابراهيم) (١).

فيجوز : أراغب : مبتدأ ، وأنت : فاعل أغنى عن الخبر
أو أنت : مبتدأ مؤخر ، راغب . خبر مقدم .

وإن تطابق الوصف مع الفاعل فى التثنية أو الجمع فما بعد الوصف مبتدأ ، والوصف خبر مقدم ، يقول ابن مالك :

والثانية مبتدا وذا الوصف خبر   إن فى سوى الإفراد طبقا استقر

فى مثال : أقائمان الزيدان .

قائمان : خبر مقدم . الزيدان : مبتدأ

أما إذا كان الوصف مفردا والفاعل مثنى أو جمعا فتعين أن يكون الوصف مبتدأ . وما بعده فاعل سد مسد الخبر .

فى « أقائم الزيدان » قائم : مبتدأ . الزيدان : فاعل أغنى عن الخبر .

(١) مريم ٤٦

وتأخذ على ابن عقيل تمثيله بتركيب غير صحيح ، أو ممتنع - بتعبيره هو نفسه - مثل : أقائمان زيد (١) .

وبرغم أن النحاة يقرون أن « الخلاف لفظى » (٢) فإنهم يتتبعون هذا الخلاف بتفصيل كما فى حديثهم عن رافع المبتدأ والخبر .

والجدل النحوى مما يثرى الدرس ، وقد يعين على تهذيب الملكة اللغوية ، وإظهار الشخصية النحوية ، وقد كان شرح ألفية ابن مالك مجالا طيبا لإظهار شخصية الشراح .

ففى تعريف ابن مالك الخبر بأنه « الجزء المتم الفائدة » يأخذ ابن عقيل انطباقه على الفاعل ، ويرتضى تعريف الخبر بأنه « الجزء المنتظم منه مع المبتدأ جملة » (٣).

والذى نراه أن ابن مالك حين عرف الخبر بأنه الجزء المتم الفائدة لم يكن تعريفه مستقلا عن قول منه سبق فى الابتداء ، ومعلوم أنه المتم الفائدة للمبتدأ فضلا عن أنه عزز قوله بمثلين : كـ (الله بر ، والأيادى شاهدة) (٤) .

ونلحظ فى بعض الشروح مسايرة ابن مالك فى عدم الترتيب المنهجى أحيانا ، ففى الألفية :

ومفردا يأتى ويأتى جمله   حاوية معنى الذى سيقت له
وإن تكن إياه معنى اكتفى   بها كنطق : الله حسبى وكفى
والمفرد الجامد فارغ وإن   يشتق فهو ذو ضمير مستكن

(١) شرح ابن عقيل ص٧٦
(٣،٢) شرح الأشمونى ١/١٩٤ ، وشرح ابن عقيل ص٧٧
(٤) شرح ابن عقيل ص ٧٧

فالأبيات حديث عن الخبر ، والترتيب المنهجى عندنا أن يتحدث عن الخبر حين يكون مفرداً ثم جملة لاتحتاج إلى رابط ، أو تحتاج إلى رابط يربطها بالمبتدأ ، حاوية معنى الذى سيقت له ، ثم التى لاتحتاج لأن جملة الخبر هى المبتدأ فى المعنى ... ثم رجع إلى الخبر المفرد يفصل القول فيه .

وقد أدرك ابن عقيل - مثلا - أن الترتيب المنهجى على غير ما أورد ابن مالك فقال : « ينقسم الخبر إلى مفرد وجملةوسيأتى الكلام على المفرد . فأما الجملة ...»(١)

وفى مسوغات الابتداء بالنكرة يقول الأشمونى : « ولم يشترط سيبويه والمتقدمون لجواز الابتداء بالنكرة إلا حصول الفائدة ، ورأى المتأخرون أنه ليس كل أحد يهتدى إلى مواضع الفائدة فتتبعوها ، فمن مقل مخل ، ومن مكثر مورد ما لايصح ، أو معدد لأمور متداخلة والذى يظهر انحصار مقصود ماذكروه فى خمسة عشر أمرا ... »(٢)

أما ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) فقد بلغ بها أربعة وعشرين فى محاولة منه لرد بعض ماذكر من مسوغات الابتداء بالنكرة إلى ما أوردته الألفية ، ومعلوم أن ابن مالك ذكر أمورا ستة فى الابتداء بالنكرة قائلا : « وليقس مالم يقل » .

من ذلك قولهم أن تكون النكرة مصغرة لكى يصح الابتداء بها نحو : رجيل عندنا فهذه ترجع فى الألفية إلى شرط الوصف فى المبتدأ النكرة لأن التصغير فيه فائدة معنى الوصف تقديره : رجل حقير عندنا (٣) .

---

(١) شرح ابن عقيل ص ٧٨

(٢) شرح الأشمونى ١/٢٠٤

(٣) شرح ابن عقيل ص ٨٤

وكذلك أن تكون النكرة فى معنى المحصور نحو :

شر أهر ذا ناب (١)

يقول ابن عقيل : « وقد أنهى بعض المتأخرين ذلك إلى نيف وثلاثين موضعا ، وما لم أذكره منها أسقطته لرجوعه إلى ماذكرته أو لأنه ليس بصحيح . » (٢)

فهذه محاولة للتبسيط من ابن عقيل ، كمحاولة الأشمونى - مثالين لشراح الألفية - ولكن ابن مالك فى نظرنا كان أيسر منهما ، إذ يكفى أن يذكر المعيار الذى يسوغ به الابتداء بالنكرة وهو الحصول على الفائدة ، ليطبق على سائر الكلام .

والحصول على الفائدة ليس عسيرا فى درس الابتداء ، فحين تقول - مثلا - : بقرة تكلمت : وهو المثال الذى ذكرته بعض كتب التراث النحوى (٣) ، وأخذه بعض المحدثين مسوغا للابتداء بالنكرة إذا دلت على أمر خارق(٤)، وإنما يندرج فى نظرنا تحت الوصف . إذا سمعت صوتا يشبه الخوار عندك فتصف الصادر عنه الصوت بأنه بقرة ، وإلا فالمثال غريب على الواقع اللغوى .

---

(١) هر الكلب يهر - بالكسر - إذا أصدر صوتا دون النباح من قلة صبره على البرد .. والتقدير : ما أهر ذا ناب إلا شر.

وقد حمل على معنى النفى لأن أسلوب « ما .. إلا .. » أوكد واحتيج للتوكيد من حيث كان أمرا مهما؛ فقد سمعوا هرير كلب فى وقت لايهر مثله فيه إلا لسوء ظن.

شرح المفصل ١/٨٦ « بتصرف »

(٢) شرح ابن عقيل ص ٨٦ (٣) شرح الأشمونى ١/٢٠٦

(٤) د. أمين على السيد : دراسات فى علم النحو ص ٢٩ . ط دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.

وأيا كان القول فإن جهود العلماء فى التفريع عما يقتضيه البحث أحيانا للتصنيف ، وإذا كانت الشواهد النحوية تحت البصر منهم كأنها تلح أن تجد مكانا فى هذا التصنيف فإنه لايليق عندنا تمحل الأمثلة .

إن النظرة إلى الشواهد تتجه عندنا إلى المعنى النفسى أو البلاغى فقول الشاعر :

فيارب هل إلا بك النصر يرتجى   عليهم وهل إلا عليك المعول

يعد شذوذا إذ قدم الخبر مع (إلا) ، والأصل : وهل المعول إلا عليك (١).

صحيح أنه فى قولنا : « وهل المعول إلا عليك » حصر التعويل عليه ، ولكن التعبير فى البيت يدل على اهتمام بالمعول عليه أكثر من الاهتمام بالتعويل نفسه .

(١) شرح المفصل ٩٨/١ وما بعدها .

القسم الثانى

نواسخ الابتداء

ويشتمل على بابين بعد تمهيد لمعنى النسخ فى اللغة والنحو .

والنواسخ : أفعال وحروف

فالأفعال هى ١ ـ كان وأخواتها أو أفعال الكينونة .

٢ ـ كاد وأخواتها أو ما اصطلح على تسميتها أفعال المقاربة .

٣ ـ ظن وأخواتها .

ثم الاستعمال القرآنى لـ (ظن) وأخواتها .

والحروف هى :

١ ـ إن وأخواتها .

٢ ـ لا النافية للجنس .

توطئـــة :

معنى النسخ لغة الإزالة ، تقول : نسخت الشمس الظل ، وانتسخته: أزالته، ونسخت الريح آثار الديار غيرتها .

أما فى علم النحو فالنسخ حكم دخول أدوات بعينها على جملة المبتدأ والخبر فتغير من حالتها الإعرابية .

وتطلق (النواسخ)على أفعال هى: كان وأخواتها، كاد وأخواتها، وظن وأخواتها ، وحروف هى : ما وأخواتها ، لا النافية للجنس ، وإن وأخواتها .

وتعبير أخواتها يذكرنا بالآخية ـ بالمد والتشديد ـ وهو مثـــل عروة تشد إليها الدابة ، فهذه الأخوات تتصل بسبب إلى حكم واحـــد ، وقد عطفت ـ فى نظرنا ـ على ماهو أكثر استعمالا فـ (كان) ـ مثلا ـ استعملت مادتهـا فى القرآن الكريم ألفا وثلاثمائة وثمانيا وثمانين مرة ، وهو مالايصل إليه استعمال فعل من أخواتها ، وهى مع لفظ الجلالة خاصة تفيد الماضى والاستمرار نحو (وكان الله غفورا رحيما) فضلا عن أنها تختص بأمور لاتكون لأخواتها (١).

وتسمى كان وأخواتها أيضا أفعالا ناقصة للتفرقة بينهـا وبين كان التامـــة فـ (كان) التامة تعنى الوجود المطلق العام ، وتكتفى بالمرفوع ويعـــرب فاعلا كقوله تعالى (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة)(٢) أى وإن وجد ذو عسرة.

وفى الحديث (ولما كان بين ابراهيم وأهله ما كان .) .

أما كان الناقصة فسميت ناقصة لأنها لاتكتفى بالمرفوع ولأنهـــا نقصت عن

---

(١) الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح ١/١٨٤ ط . الحلبى . القاهرة .

(٢) البقرة ٢٨٠ .

الأفعال غيرها بعدم دلالتها على الحدث . بل إن من أخـوات كان ما لا تستعمل إلا ناقصة وهى : ليس ، فتىء ، زال .

ومثل هذا يقال فى (إن) وأخواتها لابد من خبر لها .

وتعتبر (كان) و (إن) رأسا فى بابهما ولهـذا يجرى المنهج على البدء بهما فى كلا البـــابين .

يقول الأستاذ ابراهيم مصطفى « كل جماعة من العوامل تشابهت فى العمـــل تكون أسرة واحدة كباب (إن) ؛ وباب (كان) وتكون أداة من هذه الأدوات أوسع عملها فتسمى (أم الباب) ولها من الحقوق فى العمل والتصرف فى البـاب ماليس لغيرها من أدواته ، فـ (كان) أم الأفعال الناقصة ؛ و (إن) أم الأدوات التى تنصب الأول وترفع الثانى ، وإن تباعد ما بينهما فى المعنى ؛ لأن اتفاق العمل وحده هو الأصل فى تقسيم هذه الأسر وتحديد أبوابها (١) .

---

(١) إحياء النحو ص ٢٨ ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ القاهرة .

الباب الأول

الافعال الناسخة

الفصل الأول

كان وأخواتها

عمل كان : رفع المبتدأ ويسمى اسمها ، ونصب الخبر ويسمى خبرها وكذلك تعمل أخواتها .

أخوات كان :

ذكر سيبويه منها ، كان ، وصار ، وما دام ، وليس ، ثم قال : وما كان نحوهن من الفعل مما لايستغنى عن الخبر (١) ، فدل اختياره لهذه الأربعة ـ فى نظرنا ـ على شهرتها فى الاستعمال .

ويلفتنا فى هذا الاختيار أن (مادام) تقترن دائما بـ (ما) المصدرية الظرفية لترفع المبتدأ وتنصب الخبر فلعله لتميزها آثرها بالاختيار .

وأما (ليس) فإنها « وضعت موضعا واحداً بتعبير سيبويه(٢) أى أنها جامدة لاتتصرف (٣) ، و(صار) تفيد التحول من صفة إلى أخرى .

كذلك حرص سيبويه على بيان أن لـ (كان) موضع آخر يقتصر على الفاعل فيه ... تقول : قد كان الأمر : أى وقع الأمر ... وكما يقول (أصبح وأمسى) مرة بمنزلة (كان) (٤) . ومرة بمنزلة قولك : استيقظوا وناموا (٥) .

---

(١) الكتاب ٤٥/١ (٣،٢) الكتاب ٤٦/١ ، وشرح المفصل ١١١/٧

(٤) وبذلك يكون قول الرضى فى كان وأخواتها (الكافية ٢٧٠/٢) « لم يذكر سيبويه منها سوى كان وصار وما دام وليس » غير دقيق .

(٥) الكتاب ٤٦/١

ومعنى (أصبح) اتصاف المخبر عنه بالخبر فى الصبح (١)

و (أمسى) « « « « المساء (٢)

و (ظل) « « « « النهار (دون الليل) (٣)

و (بات) « « « « الليل (٤)

وثمة من أخوات كان مايشترط أن يسبقها نفى أو شبهه : النهى أو الدعاء ، وتفيد الاستمرار بحسب دلالة الحرف الذى يسبقها وهى :

زال (ماضى يزال) - برح - فتىء (تكون تامة بمعنى سكن) - انفك (٥) فمن الدعاء قول الحماسى :

فإن كنت مطبوبا فلا زلت هكذا ... وإن كنت مسحورا فلا برأ السحر (٦)

وفى الحديث :

« فلم يزل يكلمه حتى استمكن منه فقتله » (٧) استمرار فى الماضى .

« .. قال : آيبون تائبون عابدون ، لربنا حامدون . فلم يزل يقول ذلك حتى

(٢،١) الصبح : الفجر ، والصباح ضد المساء ، واستعمال فعليهما تامين كقوله تعالى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) الروم ١٧

(٣) الظل : ضوء شعاع الشمس .

(٤) وفى القرآن : (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) الفرقان ٦٤

(٥) شرح التصريح ١/١٩١ وانظر : أساليب النفى فى القرآن من ص ٤١ إلى ص ٤٨ ط . دار المعارف بمصر ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

(٦) ديوان الحماسة ٢/١٢٠

(٧) صحيح البخارى ٢/١١٤

دخل المدينة (١) .

« ... فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت » (٢)

وللاستمرار فى المستقبل .

« لن يزال بخير ما اتقى الله » (٣)

أما الأفعال التى تلحق بـ (كان وأخواتها) :

أسحر : للوقت قبل الصبح .

أفجر : كأصبح من الصبح (٤) ، وأضحى من الضحى .

أظهر : سار فى وقت الظهر .

غدا : يدل على الوجود فى الغداة ، وهو لايكتفى بالمرفوع .

نحو : غدا النهار جميلا (٥)

آض : بمعنى صار : (٦) ومثلها : رجع ، عاد ، استحال ، قعد ، حار ، ارتد ، تحول ، راح (٧)

ولقد يرى بعض النحاة والباحثين أن (كان ، وأصبح ، وظل ، وأمسى ، وأضحى) تستعمل بمعنى (صار) (٨) بصرف النظر عن التوقيت .

---

(١) صحيح البخارى ٢/١٢١ ط . العثمانية بمصر ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

(٢) الضمير إلى فاطمة - رضى الله عنها - صحيح البخارى ٢/١٢٢

(٣) البخارى ٢/١٠٨ (٤) الفجر : فى آخر الليل كالشفق فى أوله .

(٥) د. مهدى المخزومى : فى النحو العربى - نقد وتوجيه ص ١٨٠ ط . بيروت ١٩٦٤ م (٦) مختار الصحاح : أيض .

(٧) شرح الأشمونى ١/٢٢٩ (٨) شرح الأشمونى ١/٢٣٠

وهو صحيح أحيانا غير أن الاستعمال الدقيق لايفوته النظر إلى دلالة الفعل الأصلية . ففى بيت الشاعر :

أضحى يمزق أثوابى ويضربنى   أبعد شيبى يبغى عندى الأدبا .

يقول د . أمين على السيد : استعملت (أضحى) بمعنى صار ، إذ لايفيد التوقيت شيئا (١) والتوقيت ـ عندنا ـ مقيد فى البيت إذ كان الضرب فى وضح النهار فى غير ستر عن الناس ، وهو مايكون أوقع على نفس المضروب .

وفى قوله تعالى (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم) (٢) .

يعطى الفعل (ظل) من الايحاء ، وتقريب صورة الحزن مالا يعطيه الفعل (صار) ، وقد يرى بعضهم أن (ظل) فى القرآن بمعنى دام على الفعل ليلا ونهارا (٣) غير أننا نرى أن توقيتها بالنهار يخاص وصف وجهه بالسواد من أى عامل خارجى غير البشرى التى أصابته بما ضرب للرحمن مثلا (٤) .

ويقول الله : (فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين) (٥)

---

(١) دراسات فى علم النحو ص١٥٢ .   (٢) الزخرف ١٧

(٣) محمد اسماعيل ابراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص٤٣ . ط . دار النصر . القاهرة ١٩٦٩ م

(٤) ورود الفعل (ظل) فى القرآن تسع مرات يحمل من الظل لونه وضعفه فيما نرى .

(٥) العنكبوت ٣٧ . الضمير يعود إلى مدين وشعيب .

ويقول عن قوم لوط (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) (١) فواضح أن العذاب جاءهم صباحا ، وأن التوقيت مقصود (٢) .

إن الترخص فى الاستعمال لايليق بالأساليب البليغة وفى عصرنا أخذ الدكتور طه حسين على الشاعر ابراهيم ناجى فى بيته :

مرت الساعة والليل دنا   والهوى الصامت يغدو ويروح

قوله « يغدو ويروح » ، والغدو لايكون إلا فى الغداة « لافى الليل ولا قريبا من أول الليل » (٣)

ترتيب الجملة فى (كان وأخواتها) :

١ ــ الأصل فى تركيب الجملة الاسمية : المبتدأ ثم الخبر ، ويأتى الناسخ أول الجملة أو بعبارة أخرى : لايكون الاسم قبل الناسخ .

٢ ــ تقول الألفية .

وفى جميعها توسط الخبر   أجز ، وكل سبقه (دام) حظر

أى يجوز أن يرد الفعل الناسخ والخبر فالاسم كقول السموءل :

---

(١) هود ٨١   (٢) وفى قوله تعالى (وما قوم لوط منكم ببعيد) هود ٨٩ مايشير إلى العبرة كاملة فى نظرنا ، ولهذا جاءت الآية ٩٤ من السورة نفسها (فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) .

(٤) ونحن نستحسن دقة تعبير الكاتب « فنحن فى الليل ، أو نحن فى المساء غير بعيد من الليل » ... ، حديث الأربعاء ١٥٦/٣ ط . دار المعارف بمصر ١٩٥٧ .

سلى — إن جهلت — الناس عنا وعنهم .·. فليس سواء عالم وجهول (١) .

يقول ابن عقيل: يمتنع تقديم خبر (دام) على (دام) وحدها فتقول: لاأصحبك ما قائما دام زيد كما تقول : لا أصحبك مازيدا كلمت (٢) ، والشاهد على تقدم خبر (مادام) على اسمها :

لا طيب للعيش ما دامت منغصة   لذاته بادكار الموت والهرم (٣)

وفى تقدم الخبر على (ما) النافية فيما كان النفى شرطا فى عمـله نحو ما زال وأخواتها يمتنع عند ابن مالك أن تقول قائما مازال زيد ، وأجاز ذلك ابن كيسان والنحاس (٤) .

وقد رأينا أن ثمـة شاهدا على تقـدم خبر (مادام) على اسمها ، و (مادام) لا تختلف — فيما نرى — عن (مازال) فى الإعراب :

وكذلك يجوز القول : ما كان طعامك زيد آكلا فتقـدم معمول خبر (كان وأخواتها) على الخبر (٥) ، لقد امتنع مثل هـذا الاستعمال عند البصريين ، وأجازه الكوفيون (٦) .

ومذهب الكوفيين يتفق وما تطلق عليه « المعنى النفسى » إن قائل هـذه

(١) الفاء للتعليل ، ليس : فعل ماض ناقص ، سواء خبر ليس منصوب وعلامة النصب الفتحة الظاهرة ، عالم : اسم ليس مرفوع وعلامة الرفع الضمـة الظاهرة وجهول : الواو حرف عطف ، جهـول معطوف على (عالم) والمعطوف على المرفوع مرفوع مثله .

(٢،٣) شرح ابن عقيل ص ١٠٤ ، أوضح المسالك ص ٤٩

(٤) شرح ابن عقيل ص ١٠٤

(٥) الشائع أن تعبر عن المعنى بعبارة : ما كان زيد آكلا طعامك .

(٦) الانصاف فى مسائل الخلاف ١٠٠/ وما بعدها ، الأشمونى ٢٣٨/١

العبارة يسبق إلى نفسه الحديث عن « طعامك » فلفظ باللفظة كما خطرت له قبل « زيد آكلا » .

٣ — وتقول الألفية :

ولا يلى العامل معمول الخبر   إلا إذا ظرفا أتى أو حرف جر

ومضمر الشان اسما انو إن وقع   موهم ما استبان أنه امتنع

يجوز أن يلى « كان وأخواتها » معمـول خبرها إذا كان ظرفا أو جارا ومجرورا . نحو :

كان عندك عامل نشيط

كان فى المسجد زيد معتكفا (١)

والبصريون إزاء الشواهد التى وردت وقد ولى (كان وأخواتها) غير الظرف أو الجار والمجرور يقولون بتأويل أن فى كان ضميرا مستترا هو ضمير الشأن . كما فى بيت الفرزدق :

قنافذ هداجون حول بيوتهم   بما كان إياهم عطية عودا (٢)

(١) أوضح المسالك ص ٥٠

(٢) قنافذ : جمع قنفذ ، وقد استشهد الدميرى بالبيت على أن القنفذ لايظهر إلا ليلا ، وفى الأمثال : قالوا أسرى من قنفذ .

حياة الحيوان الكبرى ٢/ ٤٦٤ - ٤٦٩ ط. التحرير . القاهرة ١٩٦٦ م

تهدج الصوت : تقطع فى ارتعاش .   القاموس المحيط ٢١٢/١

عطية : يقصد أبا جرير (المتوفى سنة ١١٠ هـ)

والشاهد النحوى : « بما إياهم عطية عـودا » حيث ولى معمول الخبر كان =

وبيت الآخر :

فأصبحوا والنوى عالى معرسهم   وليس كل النوى تلقى المساكين (١)

والتقدير فى الشطر الثانى : وليس هو أى الشأن ، فضمير الشأن اسم (ليس) و (كل) منصوب بـ (تلقى المساكين) فعل وفاعل والجملة خبر (ليس) .

ما تختص به (كان)

١- زيادة (كان) :

تزاد (كان) بين الشيئين المتلازمين: (٢)

١ ــ المبتدأ والخبر   نحو: زيد ـــ كان ـــ قائم .

٢ ــ الفعل ومرفوعه   نحو : لم يوجد ـــ كان ـــ مثلك .

= وليس ظرفا ولا مجرورا بحرف جر ، والتقدير عند البصريين : بما كان هو . أى الشأن ، فضمير الشأن ، اسم كان ، ، وعطية : مبتدأ : وجملة ، عود ، خبر و ، إياهم ، مفعول (عود) ، والجملة من المبتدأ وخبره خبر (كان) ، فلم يفصل بين (كان) واسمها معمول الخبر لأن اسمها مضمر قبل المعمول .

شرح ابن عقيل ص ١٠٧ ، والأشمونى ١/٢٣٧ .

(٢) الكتاب ١/٧٠ ، شرح الأشمونى ١/٢٣٩ . النوى : جمع نواة التمر . يذكر ويؤنث ، عرس : أقام بعد سفر من آخر الليل للاستراحة ثم الارتحال ، والموضع (معرس) ـــ بالتشديد أو التخفيف ـ يهجو أضيافه بأنهم باتوا يأكلون من التمر ، ويلقون بالنوى حتى طلع الصباح ، وأكوام النوى عالية ، هذا غير ما كان يبتلعه المساكين .

(٢) شرح ابن عقيل ص ١٠٨

٣ ــ الصلة والموصول   نحو : جاء الذى ــ كان ــ أكرمته

٤ ــ الصفة والموصوف   نحو : مررت برجل ــ كان ــ قائم (١)

وشذ زيادتها بين حرف الجر ومجروره كقوله :

سراة بنى أبى بكر تسامى   على ـ كان ـ المسومة العراب (٢)

ومعنى زيادتها عدم تأثرها الإعرابى ، غير أن لها ـ فى نظرنا ـ فائدة فى تأصيل المعنى ؛ ولعله لهذا قيل : وأكثر ما تزاد بلفظ الماضى : وقد شذت زيادتها بلفظ المضارع (٣) .

ويقول ابن عقيل : « وإنما تنقاس زيادتها بين (ما) وفعل التعجب نحو : ما كان أصح علم من تقدما ، ولا تزاد فى غيره إلا سماعا (٤) .

---

(١) شرح ابن عقيل ص ١٠٨

(٢) أوضح المسالك ص ٥١ ، الأشمونى ١/٢٤١

الخيل المسومة : المرعية أو المعلمة من السومة ـ بالضم ـ العلامة ، العراب من الخيل خلاف البراذين ، وهى غير الأصيلة مقتبسة من اللاتينية ،

رفائيل نخلة : غرائب اللغة العربية ص ٢٧٧ . ط بيروت ١٩٦٠م

يمدح أشراف بنى أبى بكر بالتسامى على الخيول الأصيلة .

(٣) شرح ابن عقيل ص ١٠٩   (٤) يشير إلى بيت الألفية :

وقد تزاد (كان) فى حشو كـ (ما   كان أصح علم من تقدما)

ما : اسم تعجب مبنى على السكون فى محل رفع مبتدأ . كان : فعل ماض زائد مبنى على الفتح .

أصح : فعل ماض مبنى على الفتح ، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره =

٢ - حذف (كان) :

تحذف (كان) مع اسمها ، ويبقى خبرها كثيرا بعد (إن) ، (لو) الشرطيتين - كقوله :

قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا   فما اعتذارك من قول إذا قيلا

التقدير : إن كان القول صدقا (١)

وفى الحديث : (لاتشتره وإن بدرهم) (١) أى وإن كان الشراء بدرهم (لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة) (٣)

(.. بيعوها ولو بضفير) (٤) (اتقوا النار - ولو بشق تمرة) (٥)

ويقول الشاعر :

لايأمن الدهر ذو بغى ولو ملكا   جنوده ضاق عنها السهل والوعر (٦)

= (هو) ، والجملة من الفعل والفاعل فى محل رفع خبر (ما)

علم مفعول به منصوب ، وعلامة النصب الفتحة .

من : اسم موصول بمعنى (الذى) فى محل جر مضاف إليه . تقدما : فعل ماض مبنى على الفتح والألف للإطلاق (مراعاة للقافية) .

(١) شرح ابن عقيل ص ١١٠ . المكودى ص٣٩ ، والأشمونى ١/٢٤٢

(٢) صحيح البخارى ٢/١١٢

(٣) فرسن : عظم قليل اللحم ، وتلقين الحديث أن تعطيه إياها هدية البخارى ٢/٥٨ .

(٤) الضمير يعود إلى الأمة إذا زنت للمرة الثالثة . البخارى ٢/٥٦

(٥) البخارى ٢/١٨٠

(٦) وفى رواية : السهل والجبل... الأشمونى ١/٢٤٢ : شرح التصريح ١/١٩٣

وشذ حذف (كان) بعد (لدن) كقوله :

* من لد شولا فإلى إتلائها *

التقدير : من لدن كانت هى شولا (١)

وتحذف (كان) بعد أن المصدرية ويعوض عنها (ما) ويبقى اسمها وخبرها نحو : أما أنت برا فاقترب .

والأصل : أن كنت برا فاقترب .   ومثله :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر   فإن قومى لم تأكلهم الضبع (٢)

التقدير : أن كنت ذا نفر .

٣ - حذف نون المضارع :

يجوز أن يحذف النون من مضارع (كان) إذا كان مجزوما لم يقع بعده ساكن أو ضمير متصل ، ولم يوقف عليه .

---

(١) شرح المكودى ص ٤٠ ، حاشية الصبان ١/٢٤٣ ، مغنى اللبيب٢/٤٢٢

شول : جمع شائلة وهى الناقة التى أتى عليها من نتاجها سبعة أشهر فخف لبنها وارتفع ضرعها . أتلت الناقة : تلاها ولدها ، فهو تلو — بالكسر — يفطم فيتبعها . (القاموس المحيط ٣/٤٠٤ ، ٤/٣٠٦ وما بعدها - بتصرف يسير)

(٢) شذور الذهب ص ١٨٦ ، ابن عقيل ص ١١١ ، الأشمونى ١/٢٤٤ . شرح التصريح ١/١٩٥ شرح المفصل ٢/٩٩ ، الإنصاف ١/٤٩ .

الشاهد : أما أنت ذا نفر ، أن : مصدرية ، ما : زائدة عوضا عن (كان) ، أنت : اسم (كان) المحذوفة ، ذا : خبر كان مضاف : نفر : مضاف إليه مجرور وعلامة الجر الكسرة ... فإن : الفاء للتعليل ، إن : حرف توكيد ونصب :

وقد ورد استعمال (يكون) مجزوما مع حذف النون فى القرآن الكريم ثمانى مرات ، بينما ورد (يكون) مجزوما مع بقاء النون — فى حالة المفرد الغائب — إحدى وثلاثين مرة . الأمر الذى يقفنا على نسبة الاستعمال الأول إلى الاستعمال الأخير .

أما بضمير المتكلم فالنسبة ١ : ٦ وبضمير المخاطب ٤ : ١٠ وبضمير المتكلمين ٢ : ٤

ونلحظ أن الجزم مع حذف النون بحرفى الجزم (لم) و (إن) فقط ، أما مع بقاء النون لحروف الجزم (لم) و (إن) و (من) و (لا) الناهية ، أو يكون جوابا للشرط فى الحالتين . يقول الله : (.. ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا)(١) ، (قالوا لم نك من المصلين)(٢) ،(ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)(٣)

(...وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ..)(٤)
(فإن يتوبوا يك خيرا لهم)(٥)

وفى الحديث (وان يك ما قلت حقا فيوشك أن يملك موضع قدمى). (٦)

---

(١) مريم ٢٠ (٢) المدثر ٤٣ (٣) الأنفال ٥٣

(٤) غافر ٢٨ والضمير يعود إلى موسى عليه السلام .

(٥) التوبة ٧٤ يك : فعل مضارع ناقص ، جواب الشرط مجزوم ، وعلامة الجزم السكون على النون المحذوفة تخفيفا ، وضمير الغائب فى محل رفع اسم (يك) خيرا : خبر (يك) منصوب وعلامة النصب الفتحة .

(٦) البخارى ١٠٦/٢ على لسان قيصر فى محمد النبي - صلى الله عليه وسلم -

ويقول جل شأنه : (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا)(١)
(لم أكن معهم شهيدا)(٢) ، (ذرنا نكن مع القاعدين)(٣)

(كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه)(٤) (فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين)(٥) (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ...)(٦) (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ...)(٧)

ومما ورد فى القرآن الكريم غير محذوف النون لاتصال الساكن بالنون قوله تعالى : (إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم)(٨) . (لم يكن الذين كفروا —)(٩)

ومما ورد فى الحديث الشريف غير محذوف النون لوجود الضمير المتصل (١٠)
(إن يكنه فلن تسلط عليه ، وإن لا يكنه فلا خير فى قتله)(١١)

---

(١) النساء ٣٨ (٢) النساء ٧٢ (٣) التوبة ٨٦

(٤) الأعراف ٢ (٥) الأعراف ١١

(٦) الأنفال ٦٥ (٧) النساء ٨٥

(٨) النساء ١٦٨ (٩) البينة ٤

(١٠) شذور الذهب ص ١٨٨ (١١) صحيح البخارى ١١٨/٢

والحديث فى غلام من اليهود يدعى ابن صياد كان يتكهن وتحدث أنه الدجال فأراد عمر أن يقتله فنهاه محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن الشعر قول أبى الأسود الدؤلى (١)

فإن لا يكنها أو تكنه فإنه   أخوها غذته أمه بلبانها .

الحروف المشبهات بـ (ليس)

ما (الحجازية) ، لا ، لات ، إن

(ما) : فى لغة بنى تميم لايعمل ، لأنه حرف لايختص بدخوله على الاسم ، نحو ما زيد قائم • وعلى الفعل نحو : مايقوم زيد .

ومالا يختص فحقه ألا يعمل (٢).

ولغة أهل الحجاز أعمالها كعمل (ليس) لشبهها بها فى أنها لنفى الحال عند الإطلاق(٣) ... بشروط :

١ ـ ألا يزاد بعدها (إن) فإن زيدت بطل عملها .

نحو : ما إن زيد قائم   خلافا لمن أجازه .

٢ ـ ألا ينتقض النفى بـ (إلا) (٤)

---

(١) كتاب سيبويه ٤٦/١ والمعنى فإن لم يكن نبيذ الزبيب هو الخمر وإن لم تكن هى إياه فإنه أخوها سقته شجرة العنب (الكرمة) كما تغذى الأم وليدها بلبنها .

(٢،٣) شرح ابن عقيل ص١١٣ ؛ شرح الأشمونى ٢٤٧/١ ، والإنصاف ٩٧/١

(٤) يؤتى بـ (إلا) لنقض النفى ، كقولك : «ما مررت إلا بزيد ، وما ضربت إلا زيدا» ، نفيت المرور والضرب أولا ، وأدخلت (إلا) فأثبتها لزيد ، وأبطلت النفى ونقضته . الإنصاف ٩٠/١

نحو : ما زيد إلا قائم   خلافا لمن أجازه

٣ ـ ألا يتقدم خبرها على اسمها وهو غير ظرف ولا جار ومجرور فإن تقدم وجب رفعه .

نحو : ماقائم زيد. فلا تقول : ماقائماً زيد .

٤ ـ ألا يتقدم معمول الخبر على الاسم وهو غير ظرف ولا جار ومجرور فإن تقدم بطل عملها .

نحو : ما طعامك زيد آكل (١) .

فإن كان المعمول ظرفا أو جارا ومجرورا لم يبطل عملها .

نحو: ما عندك زيد مقيما ... لأن الظرف والمجرورات يتوسع فيها مالم يتوسع فى غيرها (٢) .

ونحن نلحظ كثرة ورود عبارة «خلافا لمن أجازه» ، الأمر الذى يحملنا على القول ـ فى هذا الصدد ـ استوت اللغتان . لغة الحجاز ولغة بنى تميم ، إذ يرجع الأمر فى نظرنا إلى مراعاة المعنى •

فإذا قلت : مازيد إلا قائم قصرت الخبر على القيام فانتفى أن تشبه (ما) ليس ، وكذلك فى تقدم الخبر نوع توكيد له . وإذا كان المقصود هو نفى الخبر

---

(١) شرح ابن عقيل ص١١٣ «باختصار» ، الإنصاف ١٠٠/١

(٢) شرح ابن عقيل ص ١١٤ [ويزيد ابن عقيل شرطين على أربعة الشروط التى وردت فى بيتى الألفية .]

فإن دلالة (ما) لاترقى إلى قوة النفى فى (ليس)(١) مما يجعل شرط عدم تقدم الخبر على الاسم لايخلو من منطق ، بل إن خلاف الذين أجازوا ورود (إن) النافية بعد (ما) الحجازية إنما كان للنظر إلى المعنى ؛ فزيادة (إن) لتوكيد (ما) . فالشاهد:

بنى غدانة ما إن أنتم ذهب ... ولا صريف ولكن أنتم الخزف (٢)

رواه يعقوب بن السكيت ، ذهبا ، — بالنصب — فتخرج على أن (إن) نافية مؤكدة لـ (ما) لازائدة (٣)

وتقول الألفية :

ورفع معطوف بـ (لكن) أو بـ (بل)

من بعد منصوب بـ (ما) الزم حيث حل (٤)

إذا وقع بعد خبر (ما) عاطف يقتضى الإيجاب نحو (بل) و(لكن) تعين (٥) رفع الاسم الواقع بعده . فتقول :

مازيد قائما بل قاعد أو لكن قاعد على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره : هو قاعد .

وإن كان الحرف العاطف غير مقتض للإيجاب كالواو جاز النصب والرفع نحو :

---

(١) إذ الأصل أنك تشبه الفرع بالأصل فى صفات أصيلة فى المشبه به .

(٢) صريف : فضة خالصة . القاموس المحيط ١٦٢/٣

(٣) شذور الذهب ص ١٩٤ ، أوضح المسالك ص ٥٤ ، مغنى اللبيب ٢٥/١

(٤) شرح ابن عقيل ص ١١٥ . (٥) تعين : أى لزم بعينه

ما زيد قائما ولا قاعدا . أو ولا قاعد(١)

زيادة الباء فى الخبر المنفى :

تزاد الباء كثيرا فى الخبر المنفى بـ (ليس) و (ما) نحو قوله تعالى :

(أليس الله بكاف عبده)(٢) (وما ربك بغافل عما يعملون)(٣)

كما تزاد الباء فى خبر (لا) النافية ، وفى خبر (كان) المنفية .

يقول سواد بن قارب الأزدى :(٤)

فكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب (٥)

ويقول الشنفرى الأزدى :

وإن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن ... بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل (٦)

وربما أجروا الاستفهام مجرى النفى لشبهه إياه كقوله :

* ألا هل أخو عيش لذيذ بدائم *(٧)

٢ — (لا) : ذهب الحجازيون إلى أعمالها عمل (ليس) بشروط ثلاثة:

---

(١) شرح ابن عقيل ص ١١٥ — بتصرف يسير .

(٢) الزمر ٣٦ (٣) الأنعام ١٣٢ (٤) من شعراء الجاهلية والإسلام، يخاطب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شرح التصريح ٢٠١/١ (٥) فتيلا : مفعول مطلق نائب عن المصدر أى إغناء فتيل . والفتيل: ما يكون فى شق النواة ، وتعبير (لا يغنى فتيلا) للشىء يتناهى فى الرقة والضآلة .

(٦) شرح الشواهد للعينى ٢٥١/١ ، ابن عقيل ص١١٦، شرح التصريح ٢٠٢/١

(٧) شرح الأشمونى ٢٥١/١ . أى : ليس أخو عيش لذيذ بدائم .

(هى الشروط المذكورة لـ (ما) إلا شرط انتفاء اقتران (إن) بالاسم فلا حاجة له).

١ ـ أن يكون الاسم والخبر نكرتين :

نحو : لارجل أفضل منك . ومنه قوله : (١)

تعز فلا شيء على الأرض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيا (٢)

وقوله (٣) :

نصرتك إذ لاصاحب غير خاذل فبوئت حصنا بالكماة حصينا

وربما عملت (لا) فى اسم معرفة (٤)

أنكرتها بعد أعوام مضين لها لا الدار داراً ولا الجيران جيراناً

وللنابغة الجعدى :(٥)

وحلت سواد القلب لا أنا باغيا سواها ولا عن حبها متراخيا

---

(١) شذور الذهب ص ١٩٦ ، الأشمونى ١/٢٥٣ ، أوضح المسالك ص ٥٥ ، ابن عقيل ص ١١٧ .

(٢) شرح التصريح ١/١٩٩ تعز: فعل أمر مبنى على حذف حرف العلة، خرج من معناه الحقيقى إلى معنى بلاغى هو النصح والإرشاد ، فلا شيء : الفاء للتعليل ، لا: حرف نفى يعمل عمل ليس، شيء اسم (لا) مرفوع وعلامة الرفع الضمة الظاهرة باقيا : خبر (لا) منصوب . . وزر ـ بفتحتين ـ : ملجأ.

(٣) شرح ابن عقيل ص ١١٨ (٤) شذور الذهب ص١٩٧

(٥) الأشمونى ١/٢٥٣ .

١ ـ ألا يتقدم خبرها على اسمها ، فلا يقال : لاقائما رجل .

٢ ـ ألا ينتقض النفى بـ(إلا) ، فلا تقول: لارجل إلا أفضل ـ بالنصب ـ من زيد ، بل يجب رفع (أفضل) (١)

٣ ـ (إن) : تعمل إن ـ بكسر فسكون ـ عمل (ليس) كما فى الشاهد :

إن هو مستوليا على أحد إلا على أضعف المجانين (٢)

بشرطين :

١ ـ أن يتقدم اسمها على خبرها .

٢ ـ ألا ينتقض نفى خبر بـ (إلا) .

٤ ـ (لات) :

يقول ابن عقيل : هى « لا » النافية زيدت عليها تاء التأنيث مفتوحة (٣) .

ويقول د. مهدى المخزومى : وأكبر الظن أن (لات) هذه تعريب Lait الآرامية ، فـ Lait الآرامية مثل (ليس) العربية ...ولكن العربية لم تألف مثل هذا الصوت المدغم (Ai) فمالت إلى التخلص منه بصيرورته ألفا

---

(١) شرح ابن عقيل ص ١١٩ ، وللتفصيل : أساليب النفى فى القرآن ص ٨٩ وما بعدها.

(٢) الأشمونى ١/٢٥٥ إن:حرف نفى مبنى يعمل عمل ليس، هو : ضمير الغائب اسم (إن) فى محل رفع ، مستوليا: خبر (إن) منصوب وعلامة النصب الفتحة .

(٣) شرح ابن عقيل ص ١٢٠

عربية ، فصارت (لات) (١) .

ولا بأس عندنا من هذا التأصيل غير أن البحث يقتضى — فى نظرنا — تتبع الاستعمال فى كلتا اللغتين دون الاكتفاء بالدرس الصوتى (٢) .

والكثير فى لسان العرب حذف اسم (لات) وبقاء خبرها . وتعمل فى لفظ الحين وفيما رادفه من أسماء الزمان ، كقول الشاعر .

ندم البغاة ولات ساعة مندم   والبغى مرتع مبتغيه وخيم (٢)

---

(١) نقل هذا الرأى عن برجشتراسر ، ومعنى Lait : لايوجد . فى النحو العربى ص ٢٦٢ .

وممن عدها آرامية الأصل رفائيل نخلة فى : غرائب اللغة العربية ص ٢٠٤ .

(٢) راجع بحثنا أساليب النفى فى القرآن ص ٩٦ وما بعدها .

(٢) شرح ابن عقيل ص ١٢٠ .

الباب الثانى

كاد وأخواتها

أخوات (كاد) : ثلاث مجموعات :

(ا) المقاربة (كرب) — بفتح الراء أو كسرها (١)

(أوشك)

(ب) الرجاء (عسى)

(حرى)

(اخلولق)

(ح) الشروع (جعل)

(طفق) — بفتح الفاء أو كسرها (٢)

(أخذ)

(علق) — بكسر اللام

(أنشأ)

حكمها : تدخل على المبتدأ والخبر فترفع المبتدأ اسما لها ، ويكون خبره خبرا لها فى موضع نصب .

---

(١) شرح ابن عقيل ص ١٢٦

(٢) ويقال أيضا (طبق) — الباء مكسورة ... شرح المكودى ص ٤٣

أراك علقت تظلم من أجرنا   وظلم الجار إذلال المجير (١)

والخبر فى هذا الباب لايكون إلا مضارعا .

نحو : كاد الطبيب يجرى الجراحة ، عسى جمال أن يوفق .

وندر مجيئه اسما بعد (عسى)(٢) و (كاد) كقوله :

أكثرت فى العذل ملحا دائما   لاتكثرن إنى عسيت صائما (٣)

وقول تأبط شرا :

وأبت إلى فهم وما كدت آيبا   وكم مثلها فارقتها وهى تصفر (٤)

وفى الأمثال : عسى الغوير أبؤسا (٥)

وهو شاذ نادر وضع موضع الخبر ، وقد يأتى فى الأمثال ما لايأتى فى غيرها

---

(١) الأشمونى ١/٢٦٣   (٢) ورد فى مختار الصحاح أن خبر (عسى) لايكون اسما ، وهو غير دقيق فى نظرنا . (مادة : ع س ١) .

(٣) شرح المفصل ٧/١٤ ، حاشية الصبان ١/٢٥٩ المعنى : أكثرت أيها العاتب فى عتابك ، ولومك ، وألححت دائما فلا تكثر حيث إنى أرجو أن أكون صائما عن الكلام معك .

ويبدو توفيق الشاعر فى استعمال (عسيت) ؛ فالموقف قد يخرج الصائم عن صومه ، و (عسى) فيها من الطمع والإشفاق . والرجاء واليقين ما يتفق وهذا الموقف .

(٤) شرح المفصل ٧/١٣ والأشمونى ١/٢٥٩ لقد رجعت إلى قبيلتى (فهم) وما كدت أرجع إليها ، وكثيرا مانجوت من قبائل وهى تنفخ ضيقا أن لم تظفر بى .

(٥) يضرب لما ظاهره السلامة ويخشى منه العطب، وأصله أن قوما بعثوا رجلا إلى غار لطلب شىء من الماء فقال : عسى الغوير أبؤسا أى فيه بأس .

ويذكر ابن هشام أنه مما حذف فيه الخبر . أى « يكون أبؤسا » (١) .

٢ — يقترن خبر (عسى) بـ (أن) كثيرا ، وهكذا ورد فى القرآن ثلاثين مرة ، أما خبر (كاد) فيتجرد من (أن) كثيرا ، كذا ورد فى القرآن أربعا وعشرين مرة . يقول الله :

(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) (٢) .

(إن القوم استضعفونى ، وكادوا يقتلوننى) (٣)

ونلحظ اقتران خبر (كاد) بلام التوكيد فى بعض الآيات. نحو : (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) (٤) .

(وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) (٥) فتكون المقاربة مؤكدة ، وعلى العكس حينما ترد (كاد) منفية (٦) نحو (فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا) (٧) .

(ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها) (٨)

---

(١) مغنى اللبيب ١/١٥٢ ، أوضح المسالك ص٥٨ ، وحاشية المكودى ص٤٢

(٢) البقرة ٢١٦   (٣) الأعراف ١٥٠   (٤) الفرقان ٤٢

(٥) الإسراء ٧٦   (٦) وردت منفية بـ (لا) فى أربع آيات وبـ (لم) فى آية واحدة.   (٧) النساء ٧٨ أى أنهم بعيد عنهم الفهم النافذ ، وقد كان يرجى منهم ذلك .

(٨) النور ٤٠ أى أنه بعيد أن يراها . وقد كان يتوقع أن يراها .

ويتبين من الآيات السالفة أن بيت الألفية :

وكونه بدون (أن) بعد (عسى) نزر و (كاد) الأمر فيـــه عكسا

مطابق للاستعمال القرآني ، وربما طابق ماورد فى الشعر(١) . نحو :

كادت النفس أن تفيض عليه إذ غـدا حشو ريطة وبرود(٢) .

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب (٣)

وفى الحديث : (كاد بعض الناس أن يرتاب ...)(٤)

(فعسى أن لايعزم علينا فى أمر إلا مرة ...) (٥)

أما (حرى) و(اخلولق) فيجب اقتران خبرهما بـ (أن) : تقول : حرى زيد أن يفعل كذا أى جدير وخليق (٦) ، اخلولقت السماء أن تمطر (٧) .

وفى تعليل النحاة لعـدم دخول (أن) عـلى خبر أفعـــال الشروع ، وحديثهم عن (أن) بوجه عام فى استعمالات أفعال المقاربة مايقفنا على دقة المعنى

(١) وهو ما أشار إليه جمهور البصريين فى (عسى) والأندلسيون فى (كاد) شرح ابن عقيل ص ١٢٤

(٢) ريطة : ملاءة من قطعة واحدة ، برود جمع برد ـ بالضم ـ نوع من الثياب . و (غدا حشو ريطة وبرود) كناية عن صيرورته فى الكفن .

(٣) أوضح المسالك ص ٥٩ ، شرح ابن عقيل ص ١٢٣ ، الأشمونى ١/ ٢٦٠

(٤) صحيح البخارى ٢/ ١١٩ (٥) البخارى ٢/ ١٠٨

(٦) مختار الصحاح : ح ر ى (٧) أوضح المسالك ص ٥٩ ، المكودى ص ٤٢

فى كاد وأخواتها ؛ فـ (أن) مصدرية للاستقبال ، وأفعال الشروع للحال فثمة منافاة بينهما ، تقول طفق زيد يدعو ، وجعل يتكلم (١) أخرجوا الفعل فيه مخرج اسم الفاعل ... أى داخل فى الفعل (٢).

وفى الحـــديث : (طفق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتقى بجذوع النخل) (٣) ، (فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار (٤) .

فجواز اقتران (أن) بالخبر هو فى الأفعال : كاد ، كرب ، أوشك ، عسى ، فإذا اقترنت فعلا كانت المقاربة ـ فيما ترى ـ أبعد قليلا من عدم اقترانها بالخبر .

٣ ـ اختصت (عسى) بأنه إذا تقدم عليها اسم جاز أن يضمر فيها ضمير يعود على الاسم السابق ، فتقول : هند عسى أن تقوم أو عست أن تقوم .

الزيدان عسى أن يقوما أو عسيا أن يقوما
الزيدون عسى أن يقوموا أو عسوا أن يقوموا
الهندات عسين أن يعملن أو عسين أن يعملن (٥)

ويعقب المكودى بقوله : « وظاهره أن هذين الاستعمالين خاصان بعسى ، والصواب أن ذلك فى الأفعال الثلاثة المذكورة إذ لا فرق (٦) .

أما غير غير (عسى) فيجب الإضمار فيه ، فتقول : الزيدان جعلا ينظمان ،

(١) شرح ابن عقيل ص ١٢٦ ، المكودى ص ٤٣ ، الأشمونى ١/ ٢٦٢

(٢) شرح المفصل ٧/ ١٢٧

(٣) صحيح البخارى ٢/ ٦٦ ، ١١٥ (٤) البخارى ٢/ ٤٧

(٥) شرح ابن عقيل ص ١٢٩ ، والأشمونى ١/ ٢٦٦ ، أوضح المسالك ص ٦١ ، والمفصل ٧/ ١٢٢ (٦) شرح المكودى ص ٤٤

ولا تقول : الزيدان جعل ينظمان (١).

٤ — تلزم أفعال المقاربة — بمعناها الواسع — لفظ الماضى إلا (كاد) و(أوشك) فيستعمل منها المضارع .

وعند بعض النحاة أنه يستعمل المضارع من (عسى) يعسى . واسم الفاعل عاس (٢) . ويبدو أن الأمر على الأشهر فى الاستعمال ولم يرد المضارع (عسى) فى القرآن . يقول الله .

(يكاد سنا برقه يذهب الأبصار) (٣).

وفى الحديث : (كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون) (٤)

ويقول الشاعر :

يوشك من فر من منيته ... فى بعض غراته يوافقها (٥)

ويستعمل منه اسم الفاعل أيضا :

فموشكة أرضنا أن تعود ... خلاف الأنيس وحوشا يبابا (٦)

ونستدل مما أوردت المعاجم المضارع من (طفق) بمعنى شرع ، إذ ذكرت أنه من باب طرب : وبعضهم يقوله من باب جلس (٧) ، وكذا حكاه الأخفش ، وسمع أيضا : إن البعير ليهرم حتى يجعل إذا شرب الماء مجه (٨).

---

(١) شرح ابن عقيل ص ١٢٩ (٢) شرح ابن عقيل ص ١٢٨ .

(٣) النور ٤٣ (٤) البخارى ٤٧/٢

(٥) شرح الأشمونى ٢٦٢/١ ، وأوضح المسالك ص ٥٩ وما بعدها ، شرح التصريح ١/ ، المفصل ١٢٦/٧ (٦) شرح ابن عقيل ص ١٢٧ ، الأشمونى ٢٦٤/١

(٧) مثلا : مختار الصحاح : ط ف ق .

(٨) الأشمونى ٢٦٥/١ ، وأوضح المسالك ص ٦٠ .

الفصل الثالث

ظن وأخواتها

(أفعال القلوب — أفعال التحويل)

ينصب جزآ الابتداء بأفعال :

١ — أفعال القلوب : سميت بذلك لقيام معانيها بالقلب . (١) وينقسم إلى قسمين بحسب اليقين أو الرجحان فى الخبر .

(أ) أفعال اليقين : رأى ، علم ، وجد ، ألفى ، درى ، تعلم (بلفظ الأمر بمعنى اعلم) .

(ب) أفعال الرجحان : خال ، ظن ، حسب ، زعم ، عد ، حجا (بمعنى ظن) ، جعل (بمعنى أعتقد) ، هب (بلفظ الأمر بمعنى ظن).

وإنما وردت (رأى وعلم) فى أفعال اليقين حسب الغالب من استعمالها وإلا فهما يفيدان اليقين أو الرجحان ، كما أن (ظن وخال وحسب) قد ترد لليقين غير أن الغالب فى استعمالها الرجحان .(٢)

قال أبو حاتم : الظن يكون شكا ، ويكون يقينا (٣) .

---

(١) شرح الأشمونى ١٩/٢ ، وأوضح المسالك ص ٧٧

(٢) شرح الأشمونى ٢٤/٢ ، وأوضح المسالك ص٧٩

(٣) أبو الطيب عبد الواحد بن على اللغوى (ت ٣٥١ هـ) الأضداد فى كلام العرب ٤٦٦/١ ط دمشق ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .

الشواهد فى الشعر :

تعلم شفاء النفس قهر عدوها ... فبالغ بلطف فى التحيل والمكر (١)

قد كنت أحجو أبا عمرو أخا ثقة ... حتى ألمت بنا يوما ملمات (٢)

فقلت أجرنى أبا مالك ... وإلا فهبنى امرأ هالكا (٣)

٢ ـ أفعال التحويل : نحو : صير ، جعل ، اتخذ (أو تخذ) ، وهب ترك ، رد .

الشواهد :

وربيته حتى إذا ما تركته ... أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه (٤)

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا (٥)

وقالوا : وهبنى الله فداك ، وهذا ملازم للمضى (٦).

---

(١) نصب (شفاء) و (قهر) على المفعولية لأن (تعلم) فعل يدل على اليقين. شذور الذهب ص ٣٦٣ ، والأشمونى ٢/٢٤ ، وأوضح المسالك ص ٧٨

(٢) شذور الذهب ص٣٥٧ ، أوضح المسالك ص٧٨ ، الأشمونى ٢/٢٣

(٣) وفى رواية: أبا خالد ـ شذور الذهب ص٣٦١ ، وأوضح المسالك ص٧٩ والأشمونى ٢/٤٢ ، ابن عقيل ص ١٦٣

(٤) الأشمونى ٢/٢٥ ، ابن عقيل ص ١٦١

(٥) الأشمونى ٢/٢٦ ، ابن عقيل ص ١٦٢

المعنى : رمى الليل والنهار نسوة آل حرب بقدر من المصائب تحيرن له ، فصار سواد شعورهن أبيض ، وصارت الوجوه البيض سودا .

الشاهد : رد بمعنى صير ، ولهذا تنصب مفعولين .

(٦) حاشية الصبان ٢/٢٥ ، وأوضح المسالك ص ٨١

أحكام « ظن وأخواتها » : لهذه الأفعال ثلاثة أحكام :

١ ـ الإعمال ٢ ـ الإلغاء ٣ ـ التعليق.

أما الإعمال فهو واقع فى الجميع .

ومعنى الإلغاء ترك العمل لفظا ومعنى لمانع .

والتعليق ترك العمل لفظا لمانع .

فقولك : ظننت لزيد قائم . تعلق لأن (ظن) لم تعمل ، والمانع اللام ، فإذا عطفت قائلا : « ظننت لزيد قائم وعمرا منطلقا » ظهر عمل (ظن) فى المعطوف ، يقول كثير عزة :

وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا ... ولا موجعات القلب حتى تولت

عطف « موجعات » بالنصب « بالكسرة على محل قوله « ما البكا » (١)

ويجوز الالغاء إذا وقعت ظن وأخواتها فى غير الابتداء أى وسطا أو آخرا نحو :

زيد ـ ظننت ـ قائم | زيد قائم ـ ظننت (٢)

(القول) بمعنى (الظن) :

تقع الجملة فى موضع نصب على المفعولية بعد القول .

نحو : يقول عمرو « زيد منطلق » .

---

(١) أوضح المسالك ص ٨٣ .

(٢) أوضح المسالك ص ٨١ ، شرح ابن عقيل ص ١٦٤

غير أن القول قد يجرى مجرى الظن فينصب المبتدأ والخبر كما تنصبهما (ظن).

نحو : أتقول عمرا منطلقا ؟ أى أتظن ... ؟

وينطبق على المثال السابق الشرطان الآتيان :

١ – الفعل مضارع مسند إلى المخاطب « تقول »

٢ – سبقه باستفهام « أ ... »

تقول الألفية :

وكـ (تظن) اجعل (تقول) إن ولى   مستفهما به ولم ينفصل

أى لا يفصل بين الاستفهام والفعل بغير ظرف ولا مجرور ، ولا معمول الفعل ، فإن الفصل بأحدهما فلا بأس نحو :

أعندك تقول زيدا منطلقا ؟ ، أفى الدار تقول زيدا منطلقا ؟ أزيدا تقول منطلقا ؟ .

فـ (زيدا) مفعول أول ، و (منطلقا) مفعول ثان .

ومن الشواهد الشعرية :

أجهالا تقول بنى لؤى   لعمر أبيك أم متجاهلينا (١)

ويجرى (القول) مجرى (الظن) بلا شروط عند بنى سليم نحو قل ذا مشفقا

(١) كتاب سيبويه ١٢٣/١ ، شرح ابن عقيل ص ١٧١

« تقول » بمعنى « تظن » بنى : مفعول أول ، جهالا : مفعول ثان منصوب ، فصل بين الاستفهام والفعل بقول « جهالا » ولم يضر ذلك الفصل لكونه معمولا .

فـ (ذا) مفعول أول ، مشفقا : مفعول ثان (١)

التعدية إلى ثلاثة مفاعيل :

وذلك يكون بالهمزة ، ففى قولك : علم زيد عمرا منطلقا مفعولان . أما فى قولك ، أعلمت زيدا عمرا منطلقا . فقد نقل الفاعل مفعولا فأصبح فى الجملة ثلاثة مفاعيل بهمزة النقل (٢) .

وكذلك يقال فى الفعل (أرى) .

أما إذا كان الفعلان (أرى ، وأعلم) يتعديان إلى واحد فإنهما يتعديان بعد الهمزة إلى مفعولين . نحو : رأيت زيدا عمرا فهنا (رأيت) بمعنى أبصرت ، وأعلمت زيدا الحق . علم بمعنى عرف .

والأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل سبعة : أعلم ، أرى ، نبأ ، أنبأ ، أخبر ، خبر ، حدث (٣)

(١) الكتاب ١٢٤/١ ، شرح ابن عقيل ص ١٧٢

(٢) شرح ابن عقيل ص ١٧٣

(٣) شرح ابن عقيل ص ١٧٧

ظن وأخواتها فى القرآن الكريم *

١ — **رأى** : للفعل رأى معان :

١ — رأى بصرية : (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا) (١).
وهذه تنصب مفعولا واحدا .

٢ — رأى حلميـــة : رأى فى منامه (رؤيا) على فعلى بلا تنوين (٢) ، وجمع الرؤيا (رؤى) — بالتنوين — غير أنه ورد المفرد فحسب سبع مرات فى سورة يوسف وغيرها (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) (٣) ،

٣ — رأى اعتقادية (أو علمية) : وهذه تنصب مفعولين ، وقد ورد المفعول الثانى فى القرآن مفردا أو جملة .

٢ — الاستفهام بها بالهمزة للمخاطب ثمانى مرات .

(أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) (٤) وللمخاطبين (أرأيتم .. ؟) إحدى وعشرين مرة (أفرأيتم الماء الذى تشربون) (٥) .

ويلفتنا ورودها فى ثلاث آيات متصل بها التاء ضمير الفاعل والكاف التى للخطاب بلفظ واحد فى الإفراد والجمع (أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتنى

(*) راجع شرحنا للفظى اليقين والظن فى رسالتنا : ابن القيم اللغوى من ص ٣١٣ إلى ص ٣١٨ .

(١) الأنعام ٧٦

(٢) من ذلك نرى عدم الدقة فى عنوان « مختارات الشعر العربى — رؤيا فى تصنيفها » مذكرات قررت فى كلية الآداب سنة ١٩٨٠ .

(٣) الفتح ٢٧ (٤) الفرقان ٤٣ (٥) الواقعة ٦٨

إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا) (١) ، (أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغـــير الله تدعون إن كنتم صادقين) (٢) ، (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون) (٣)

وفى هذه الآيات الثلاث حصل الشرط وجوابه معنى المفعول (٤) .

وقد ورد الاستفهام للتقرير بصيغة (ألم تر ..) إحـــدى وثلاثين مرة فى الإفراد كقوله تعالى (ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق) (٥) .

وللمخاطبين مرتين : (ألم تروا أن الله سخـــر لكم مافى السموات وما فى الأرض) (٦) .

وللغائبين ثمانى عشرة مرة : (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) (٧)

فإذا قارنا هذا الاستفهام ـ بغض النظر عما فيـه من معنى بلاغى هو التقرير ـ بالاستفهام فى الآيات الثلاث نجـد أن كاف الخطاب وهى مثـل تلك التى فى أسماء الإشارة (ذلك ، تلك) أو أسماء الأفعال (رويدك) وللضمير المنفصل المنصوب (إياك ، إياكم) أفادت تحديدا للمخاطب دونه الاستعمالات الأخرى ، فمعنى (أرأيت) أخبرنى (٨) جاءت الآية الأولى على لسان إبليس موجها الخطاب للمولى ـ جل شأنه .

---

(١) الإسراء ٦٢ (٢) الأنعام ٤٠ ، تفسير ابن كثير ١٣٢/٢

(٣) الأنعام ٤٧

(٤) العكبرى: إملاء ما من به الرحمن ٢٤٢/١ — بتصرف يسير — ط ١٢٨٠هـ القاهرة .

(٥) ابراهيم ١٩ (٦) لقمان ٢٠

(٧) الأنعام ٦ (٨) مغنى اللبيب ١٨١/١

يقول الله (أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم ... ثم يقول « أرأيتكم إن أتاكم عــذاب الله ...) (١) وفي كلتا الآيتين المخاطبون هم هم . . كفار قريش ، ولكن في الثانية نوع توكيد باستعمال حرف الكاف (٢) فيما نرى .

و(رأى) القرآنية حينا تفيد العلم إنما تقترن به الهدى ، ومن هنا كان درجها تحت تسمية « أفعال اليقين » أو أفعال القلوب .

فإذ يخاطب الله — سبحانه — الذين يرون أن الله سخر لهم ما في السموات وما في الأرض ... يذكر في الآية نفسها أن من الناس من يجــادل في الله بغير علم ولا هدى . . إنها المقابلة تبرز المعنى . يقول الله :

(ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هــدى ولا كتاب منير) (٣) .

ويقول سبحانه : (إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) (٤) استعملت للظن في الأولى ولليقين في الأخرى (٥) وبين الظن واليقين تفاوت في الدرجة ، ولهذا كان التوكيد في آية :

(قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)(٦)

(١) الأنعام ٤٦ ، ٤٧
(٢) وردت الكاف زائدة للتوكيد في نحو قوله تعالى (ليس كمثله شيء) . مغني اللبيب ١/١٧٩
(٣) لقمان ٢٠ (٤) المعارج ٧ (٥)
(٦) آل عمران ١٣

يقول العكبري : ولا يجــوز أن يكون من رؤية القلب على كل الأقوال لوجهين : أحدهما قوله « رأي العين » ، والثاني أن رؤية القلب علم ، ومحال أن يعلم الشيء شيئين (١) .

وقد ورد الفعل (رأى) متعديا إلى ثلاثة مفاعيل في قوله تعالى (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم)(٢) .

ومتعديا إلى مفعولين : (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض)(٣) (إذ يريكهم الله في منامك قليلا)(٤)

وبالبناء للمجهول : (يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم)(٥) .

ومن الاستعمالات اللغوية وروده على صيغــة تفاعل للاثنين (فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه) (٦) أي رأت إحداهما الأخرى ، ووردت مرة أخرى (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون)(٧) .

أما (يراءون) فقد وردت مرتين أيضا أي الذي يرى من نفسه ما هو حسن وغير خالص لله . (يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليــلا)(٨) ويفسر (رئيا) - بالهمز - بأنه الحالة الحسنة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا) (٩)

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/١٢٦ وما بعدها .
(٢) الأنفال ٤٣ (٣) الأنعام ٧٥ (٤) الأنفال ٤٣
(٥) الزلزلة ٦ (٦) الأنفال ٤٨ (٧) الشعراء ٦١
(٨) النساء ١٤٢ (٩) مريم ٧٤

٢ — ألفى :

ورد هذا الفعل فى القرآن ثلاث مرات ، مرة بصيغة التثنية (وألفيا سيدها لدى الباب)(١)

ومرتين بصيغة الجمع (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) (٢)

وتشعر هذه الآية بمعنى الألفة أيضا ، وليس بمجرد الوجود (إنهم ألفوا آباءهم ضالين) (٣)

٣ — وجد :

ورد الفعل (وجد) مائة وست مرات ، ومن مادته كلمة وجدان وقد يشعر الاستعمال القرآنى بأن (وجد) ليس بمعنى رأى أو علم فحسب ، وإنما تمتزج الرؤية بما يؤثر فى القلب وذلك فى بعض الآيات نحو :

(حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه) (٤) (ولما فصلت العير قال أبوهم إنى لأجد ريح يوسف)(٥) .

فهنا المعنى ليس معناه أشم ، وإنما عبر عن إحساس فى وجدانه احتاج أن يؤكده لأنه ليس مما يألفه ذوو القلوب الغليظة .

وهو مثل (ألفى) القرآنية .. المفعول الثانى فى كثير من الآيات كلمة (آباءنا) (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا)(٦) ، (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه

(١) يوسف ٢٥ (٢) البقرة ١٧٠ (٣) الصافات ٦٩
(٤) النور ٣٩ (٥) يوسف ٩٤ (٦) المائدة ١٠٤

آباءنا) (١) فهو وجود متصل بوجودهم ، اتصال الأبناء بالآباء . ولهذا كان الإنكار منهم والاستغراب فى مثل قولهم : (أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) (٢) .

وتفرق اللغة بين (وجد) فى الحزن وجدا — بالفتح — و (وجد) فى المال (وجدا) بضم الواو وفتحها وكسرها . وقد وردت كلمة (وجد) بمعنى الغنى واليسار مرة واحدة .

(أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ، ولا تضاروهن) (٣)

٤ — درى :

ورد الفعل (درى) تسعا وعشرين مرة ، ويلفتنا فيها استعماله فى نفى أو استفهام . نحو :

(وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) (٤) .

(قلتم ماندرى ما الساعة) (٥)

(آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا)(٦) .

أما تعبير (وما أدراك) ثلاث عشرة مرة أى نحو نصف الاستعمال القرآنى للشىء العظيم لايدرك كنهه إلا الله .

(١) لقمان ٢١ (٢) يونس ٧٨
(٣) الطلاق ٦ (٤) الأحقاف ٩
(٥) الجاثية ٣٢ (٦) النساء ١١

(وما أدراك ما يوم الفصل) (١) .

(وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة) (٢)

وتجيز المعاجم دراه ودرى به وفى القرآن : (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به) (٣)

٥ — علم :

العلم إدراك الشيء بحقيقته عن يقين . وقد وردت مادة (ع ل م) فى القرآن ثمانمائة وأربعا وخمسين مرة (٤)

أما الفعل (علم) ناصبا مفعولين ففى نحو قوله تعالى :

(يعلمون الناس السحر) (٥)

ومن الواضح أن هذين المفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر . أما فى قوله تعالى :

(فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) (٦) فضمير النسوة فى محل نصب مفعول أول ، مؤمنات : مفعول ثان .

وأصل المفعولين مبتدأ وخبر .

---

(١) المرسلات ١٤ (٢) الهمزة ٥
(٣) يونس ١٦ (٤) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ٢/٧١
(٥) البقرة ١٠٢ (٦) الممتحنة ١٠

٦ — حسب :

يرد الفعل (حسب) فى القرآن بمعنى الظن الخطأ ، ولهذا قد يقترن بتصويب الظن بعدها .

(وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) (١) .

(وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) (٢)

وفى قوله تعالى : (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) (٣) ما يدل على أنهم ليسوا أغنياء حقيقة .

وقد ورد الفعل منهيا عنه بـ (لا) الناهيــة ، ونون التوكيد ست مرات :

(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) (٤)

(فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) (٥)

٧ — حجا :

لم يرد فى القرآن

٨ — خال :

خال الشيء: ظنه، خيل إليه: توهم، وليس فى القرآن بهذا المعنى غير الآية الكريمة:

(فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) (٦)

---

(١) الكهف ١٨ (٢) النور ١٥
(٣) البقرة ٢٧٣ (٤) ابراهيم ٤٢
(٥) آل عمران ١٨٨ (٦) طه ٦٦

٩ — زعم :

يذكر بعض النحاة أن الزعم قول عن اعتقاد (١) ولعل الأدق أن يقال معنى هذا الفعل القول المشكوك فيه ، والغالب فيه الكذب .

(زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن)(٢)

(وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء)(٣)

وقد ورد ثلاث عشرة مرة ، كما ورد الاسم منه فى سورة الأنعام فقط مرتين .

(فقالوا هذا لله بزعمهم ..)(٤)

ومن الشواهد النحوية التى تضرب مثلا لمن يزعم زعمات ويصح غيرها قول ذى الرمة :

لقد خط رومى ولا زعماته   لعتبة خطا لم تطبق مفاصله (٥)

١٠ — عد :

يقول الله (لقد أحصاهم وعدهم عدا)(٦) إذ كان من عادة القوم العد بالحصى :

ويقول سبحانه (وقالوا مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار) (٧) أى فى عداد أهل الشر .

الضمير للغائبين فى (نعدهم) مفعول أول ، وشبه الجملة « من الأشرار » فى محل نصب مفعول ثان .

وهذه هى الآية الوحيدة التى يعتبر فيها الفعل (عد) ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر ، وهو أقرب إلى اليقين العقلى - فيما نرى - من الرجحان ، ولهذا قيل : لغة الإحصاء لاتكذب .

---

(١) شرح المفصل ٢/٢٧   (٢) التغابن ٧   (٣) الأنعام ٩٤

(٤) الأنعام ١٣٦   (٥) يقال : « هذا ولا زعماتك » أى هذا هو الحق ولا أتوهم زعماتك . شرح المفصل ٢/٢٧

(٦) مريم ٩٤   (٧) ص ٦٢

الباب الثانى

الحروف الناسخة

الفصل الأول

إن وأخواتها

إن العنوان المألوف لهذا الفصل أو الباب فى كتب النحو هو (إن وأخواتها) بينما يسميه بعض النحاة « الأحرف الثمانية الداخلة على المبتدأ والخبر » وهى :

(١ ، ٢) إن وأن : لتوكيد النسبة ، ونفى الشك عنها والإنكار لها .

(٣) لكن : (أ) للاستدراك (وهو رفع مايتوهم ثبوته) :

نحو : زيد شجاع لكنه بخيل .

(ب) للتوكيد .

نحو : لو أتانى لأكرمته لكنه لم يأتنى .

(٤) كأن : للتشبيه المؤكد ، فهو مركب من الكاف و (أن) .

(٥) ليت : للتمنى كقول الشاعر :

وياليت أن الله إن لم ألاقها قضى بين كل اثنين ألا تلاقيا (٢)

(٦) لعل : (أ) للرجاء كقوله تعالى :

(لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا)(٣)

(ب) للتعليل . أثبته الأخفش والكسائى فى نحو قوله تعالى :

---

(١) مثلا : أوضح المسالك ص ٦٢ ، شرح التصريح ١/٢١٠

(٢) الحماسة ٢/١٦٦ (٣) الطلاق ١

(فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)(١) ونرى أن التعليل مشرب بمعنى الرجاء أو الإشفاق فى نحو قوله تعالى (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز...)(٢)

جـ- للاستفهام: نحو (وما يدريك لعله يزكى)(٣) وفى الحديث «.. وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم»(٤)

(٧) عسى: وهو بمعنى (لعل). وشرط اسمه أن يكون ضميرا(٥)، نحو

يا أبتا علك أو عساكا(٦)

وكقوله:

فقلت عساها نار كأس، وعلها ... تشكى فآتى نحوها فأعودها(٧)

(٨) لا (النافية للجنس):

إن الستة الأحرف الأولى هى المتفق عليها أخوات (إن)، ومن النحاة من لايعتبر (عسى) من أخواتها، وربما يرجع ذلك إلى أن إجراء (عسى) مجرى (لعل) فى نصب الاسم

(١) طه ٤٤ (٢) هود ١٢ (٣) عبس ٣

(٤) صحيح البخارى ١١٢/٢ (٥) أوضح المسالك ص ٦٣

(٦) مغنى اللبيب ١٥١/١

(٧) مغنى اللبيب ١٥٣/١، شرح التصريح ٢١٣/١

ورفع الخبر(١) قليل. أو فى لغيسة كما أورد ابن هشام(٢)، فضلا عن أن (إن وأخواتها) تتصل بها (ما) الزائدة، أما (عسى) و(لا) فلا تتصل بها(٣).

وجوب كسر همزة (إن):

حدد ابن مالك فى ألفيته مواضع كسر همزة (إن) ستة:

فاكسر فى (١) الابتدا، وفى (٢) بدء صلة(٤).

(٣) وحيث (إن) ليمين مكمله.

أو (٤) حكيت بالقول أو (٥) حلت محل حال كـ(زرته وإنى ذو أمل).

وكسروا من بعد (٦) فعل علقا ... باللام كـ(اعلم إنه لذو تقى)(٥).

أما ابن هشام فالبرغم من أنه يورد عشرة مواضع لكسر همزة (إن) وثمانية يجب فيها فتحها فإنه يورد قاعدة مجملة:

«وتتعين (إن) المكسورة حيث لا يجوز أن يسد المصدر مسدها ومسد معموليها..»(٦).

(١) مغنى اللبيب ١٥١/١، ١٥٣. شرح المفصل ١١٦/٧

(٢) أوضح المسالك ص ٦٣

(٣) أوضح المسالك ص ٦٨

(٤) فى بدء صلة كقوله تعالى: (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة)، وإذا كانت (إن) فى حشو صلة فتحت همزتها كقوله: حضر الذى فى ظنى أنه قائم. شرح المكودى ص٤٥

(٥) أى بعد عامل علق عن عمله فيها باللام الابتدائية. شرح التصريح ٢١٦/١ وفى القرآن: (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) الصافات ١٥٨

(٦) أوضح المسالك ص٦٤

وعندنا أن المواضع الستة التي ذكرها ابن مالك لكسر همزة (إن) لها بالابتداء علاقة، فما يسبقها إذا كان مما يبتدأ به فإن وجوده أو حذفه لا يؤثر إعرابيا على (إن) المكسورة الهمزة.

ففي قولك — مثلا: «والله إن زيدا لقائم»، إذا حذفت القسم كانت العبارة: إن زيدا لقائم.

وفي قوله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) (١) كسرت همزة (إن) لأنها حلت محل الحال — كما يقول النحاة — والواقع أن عبارة «وإن فريقا ..» يصح الابتداء بها، وواو الحال إنما تربط الجملة بعدها بما قبلها.

وبعد القول تكسر همزة (إن) في عباراتك — مثلا: أقول إنه أمين فإذا حذفت الفعل (أقول) بقي «إنه أمين» بهمزة (إن) المكسورة للابتداء، أما إذا فتحت همزة (أن) بعد القول، فيكون معنى القول هو الظن أو الزعم، و(ظن) تنصب مفعولين، ولهذا لا تحذف مع بقاء همزة (أن) مفتوحة.

ويتفق القول بكسر همزة (إن) بعد (ألا) الاستفتاحية (٢) وما ذهبنا إليه فـ(ألا) حرف من حروف الابتداء ولا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم (٣) نحو (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ..) (٤)، وكذا بعد (أما) حرف استفتاح بمنزلة (ألا)(٥)

(١) الأنفال ٥

(٢، ٣) وهي مركبة من الهمزة و(لا) وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق .. مغني اللبيب ٦٨/١

(٤) يونس ٦٢ (٥) أوضح المسالك ص ٦٦

ومما يؤيد نظرنا أنها مفتوحة الهمزة إذا كانت في محل جر مضاف إليه (١) نحو: «إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون» (٢)

وقد التفتت لجنة تيسير النحو إلى مثل ما التفتنا إليه فذكرت أن همزة (إن) تكسر إذا وقعت في ابتداء الجملة، و«إذا حكيت بالقول»، وتفتح همزة (أن) في غير ذلك (٣).

ونحن نكتفي بالقول بأن كسرة همزة (إن) يكون للابتداء (٤) سواء أكان كسر همزتها واجبا أم جائزا.

فهي تكسر أو تفتح بعد (حتى) ويختص الكسر بالابتدائية، والفتح بالجارة والعاطفة، فتقول: مرض زيد حتى إنهم لا يرجونه فتكسر همزتها، وتقول: عرفت أمورك حتى أنك فاضل — فتفتح همزتها (٥)

جواز كسر همزة (إن) وفتحها:

١ — بعد (إذا) الفجائية كقول القائل:

وكنت أرى زيدا كما قيل سيدا ... إذا أنه عبد القفا واللهازم (٦)

(١) شذور الذهب ص٢٠٧ (٢) الذاريات ٢٣

(٣) تحرير النحو العربي ص ١٢١

(٤) لأن مقول القول هو القول، إلا إذا كان القول بمعنى الظن.

(٥) أوضح المسالك ص٦٦، شرح الأشموني ٢٧٨/١

(٦) شرح الأشموني ٢٧٦/١، وحاشية الملوي ص ٤٥
عبد القفا كناية عن البلادة، اللهازم: جمع لهزمة — بكسر اللام — طرف الحلقوم.

٢ — بعد القسم الذى لم يقترن خبرها فيه باللام . كما فى قول رؤبة :

أو تحلفى بربك العلى   أنى أبو ذيالك الصبى (١)

٣ — بعد فاء الجزاء : كقوله تعالى :

(من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم)(٢)

بالكسر على جعل مابعد الفاء جملة تامة أى فهو غفور ..

وبالفتح على تقديرها بمصدر هو خبر مبتدأ محذوف أى جزاؤه الغفران . أو مبتدأ خبره محذوف أى فالغفران جزاؤه . والكسر أحسن فى القياس (٣) .

٤ — إذا وقعت (إن) خبر قول . نحو خير القول إنى أحمد الله ، فالفتح على معنى : خير القول حمد الله والكسر على الإخبار بالجملة لقصد الحكاية (٤) .

فتح همزة (أن) :

تفتح همزة (أن) إذا أولت هى وما بعدها بالمصدر ، ففى قولك ـ مثلا : ، أعجبنى أنك ناجح ، مصدر مؤول فى محل رفع فاعل ، والمصدر الصريح : أعجبنى نجاحك .

عملها :

تدخل الحروف الناسخة على المبتدأ والخبر فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها ، وترفع الخبر ويسمى خبرها ، ويشترط الترتيب :

---

(١) أوضح المسالك ص٦٥ ، شرح المكودى ص ٤٥ ، شرح الشواهد للعينى ٢٧٦/١   (٢) الأنعام ٥٤

(٣ ، ٤) شرح الأشمونى ٢٧٧/١

الاسم فالخبر إلا إذا كان الخبر شبه جملة فيجوز تقدمه على الاسم . — كما فى قوله تعالى :

(إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين) (١) .

وقد يأتى خبرها صلة فى محل رفع . كقوله تعالى:

(فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) (٢)

وتكف (إن وأخواتها) عن العمل باقتران (ما) الزائدة بهـا وكفها واجب (٣) إلا (ليت) فكفها عن العمل جائز (٤) .

ويترتب على إلغاء عملها باقترانها بـ (ما) الزائدة دخولها على الجملة الفعلية . كما فى قول الفرزدق :

أعد نظرا ياعبد قيس لعلما   أضاءت لك النار الحمار المقيدا (٥)

(لعل) فى القرآن الكريم

وردت (لعل) فى القرآن مائة وتسعا وعشرين مرة (٦) وإذا كانت لغة لبعض العرب تنصب بها الاسم والخبر كما حكى يونس ، لعل أباك منطلقا (٧) ، وعقيل تخفض بها المبتدأ كالشاهد :

---

(١) الجاثية ٣   (٢) الدخان ٥٨ ونرى أن (لعل) فى الآية للتعليل .

(٣) فتعرب ، إنما المؤمنون إخوة ، إنما : كافة ومكفوفة ، المؤمنون مبتدأ مرفوع وعلامة الرفع الواو لأنه جمع مذكر سالم ، إخوة: خبر مرفوع وعلامة الرفع الضمة الظاهرة .   (٤) يراجع: أساليب النفى فى القرآن ص ٣٠٨

(٥) شذور الذهب ص ٢٧٩ ، مغنى اللبيب ٢٨٧/١ ، ٢٨٨

(٦) فى معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ١٨٤/٢ أنها وردت ١٣٢ مرة .

(٧) مغنى اللبيب ٢٨٦/١

« لعل أبى المغوار منك قريب »(١)

فإن الاستعمال القرآنى على نصب الاسم ورفع الخبر بها كأخوات (إن) ، ولها معان :

١ ـ التوقع : وهو ترجى المحبوب ، والإشفاق من المكروه (٢) نحو : (لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) (٣) وتختص بالممكن ، وأكثر مايكون خبرها جملة فعلية نحو : (لعلكم تشكرون) ، لعلكم تعقلون ، لعلكم تهتدون ، لعلكم تتفكرون .

يقول ابن هشام : وقول فرعون (لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات) إنما قاله جهلا أو مخرقة وإفكا (٤) .

وهو مايؤيده القرآن فى الآية نفسها (... وكذلك زين لفرعون سوء عمله)(٥)

٢ ـ والذى نلحظه أن التوقع والتعليل هما المعنيان الأساسيان لـ (لعل) سواء أكان هذا التوقع مما يقع فعلا ، أم مجرد أمنية كاذبة .

إن هذا التوقع يعبر عنه الفعل (درى) منفيا أو مسبوقا بأداة استفهام وقد وردت (لعل) بعده فى خمس آيات منها :

(وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين)(٦)

(وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا)(٧)

(وما يدريك لعل الساعة قريب) (٨)

---

(٢) مغنى اللبيب ٢٨٦/١ (٢) مغنى اللبيب ٢٨٧/١ ، شرح ابن عقيل ص ١٣٠ (٣) آل عمران ١٣٠ (٤) مغنى اللبيب ٢٨٧/١

(٥) غافر ٣٦ ، ٣٧ (٦) الأنبياء ١١١

(٧) الأحزاب ٦٣، (٨) الشورى ١٧

ومن المعلوم أن (درى) من أفعال القلوب ، والتوقع مصدره القلب .

٣ ـ ولهذا كان المعنى الاستفهامى مما يرد على (لعل) غير بعيد الصلة بالتوقع.

ولقد ورد الاسم الظاهر بعد (لعل) ثلاث مرات . وضمير المخاطب (لعلك) ويقصد به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أربع آيات نحو (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين)(١)

أما ضمير المخاطبين فيقصد به الناس عامة: (اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٢) وورد ثمانيا وستين مرة . وهو أكثر الضمائر المتصلة بلعل عددا فى القرآن .

وضمير المتكلمين مرة واحدة (لعلنا نتبع السحرة .)(٣)

وضمير الغائب ثلاث مرات .

وضمير الغائبين أربعا وأربعين ، وضمير المتكلم ست مرات .

نحو : (لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون) (٤)

---

(١) الشعراء ٣ (٢) البقرة ٢١

(٣) الشعراء ٤٠ (٤) يوسف ٤٦

الفصل الثانى

لا النافية للجنس

تستعمل (لا) لنفى الواحد أو لنفى الجنس .

ومعنى نفى الواحد إثبات غير الواحد ، فقولك : لارجل قائما برفع الاسم بعدها يعنى احتمال نفى الواحد ، ونفى الجنس .

و(لا) الناسخة للابتداء هى (لا) التى قصد بها ، التنصيص على استغراق النفى للجنس كله ، (١)

وتسمى أيضا (لا) التبرئة لأنها تبرىء اسمها من معنى خبرها . تقول : — لا رجل قائم — بنصب الاسم بعدها (رجل) ورفع الخبر (قائم) فعملها عمل (إن) .

وطبعى أنك إذا كنت تنفى الجنس كله فإنك تنفى الأثنينية أو الجمع فلا تقول : لا رجل قائم بل رجلان .

أحكامها : تكون (لا) النافية للجنس مفردة أو مكررة (٢)، وفى الحالتين يكون اسمها وخبرها نكرة ، ولا يفصل بينها وبين اسمها (٣) .

---

(١) شرح ابن عقيل ص ١٤٧ ونص كل شىء منتهاه .

(٢) نحو : لاحول ولا قوة إلا بالله .

(٣) كما لايجوز أن يفصلوا بين خمسة وعشرة بشىء من الكلام لأنها مشبهة بها .. كتاب سيبويه ٢٧٦/٢ وذلك فى قولك ، خمسة عشر ،

فإن ورد اسمها معرفة وجب تأويله بالنكرة .

كقولهم : قضية ولا أبا حسن لها (١)

أى : قضية ولا مثل أبى حسن لها

ويدل على أنه معامل معاملة النكرة وصفه بالنكرة (٢)، وإن فصل بينهما وبين اسمها ألغيت كما فى قوله تعالى : (لا فيها غول) (٣)

اسم (لا) : يكون :

١ — مضافا
٢ — شبيها بالمضاف (٤)
} وفى هاتين الحالتين يكون اسمها منصوبا .

٣ — مفردا [أى ليس مضافا ولا مشبها بالمضاف] ويدخل فيه المثنى والمجموع .

وفى هذه الحالة يبقى اسم (لا) على ما كان ينصب به : بالفتحة (فى حالة الإفراد) ، بالياء (فى التثنية والجمع) ، بالكسر (فى جمع المؤنث السالم)(٥).

---

(١) شذور الذهب ص ٢١٠ ، شرح ابن عقيل ص ١٤٨

(٢) تقول قضية ولا أبا حسن حلالا لها

(٣) الصافات ٤٧ (٤) المشبه بالمضاف : هو كل اسم تعلق بما بعده بعمل نحو : لا طالعا جبلا ظاهر ، لا خيرا من زيد راكب : أو بعطف نحو : لاثلاثة وثلاثين عندنا . شرح ابن عقيل ص ١٤٩

(٥) يراجع بحثنا ، أساليب النفى فى القرآن ، ص ٢٧ إلى ص ٣٢

الشواهد :

إن الشباب الذى مجد عواقبه   فيه نلذ ولا لذات للشيب (١)

لانسب اليوم ولا خلة   اتسع الخرق على الراقع (٢)

فلا لغو ولا تأثيم فيها   وما فاهوا به أبدا مقيم (٣)

دخول همزة الاستفهام على (لا) النافية للجنس :

إذا قصد بالاستفهام التوبيخ أو الاستفهام عن النفى بقيت (لا) على ما كان لها من العمل .

ألا ارعواء لمن ولت شبيبته   وآذنت بمشيب بعده هرم (٤)

ألا اصطبار لسلمى أم لها جلد   إذن ألاقى الذى لاقاه أمثالى

وإذا قصد بـ (ألا) التمنى فمذهب المازنى أنها تبقى على جميع ما كان لها من الأحكام ، ومذهب سيبويه أنه يبقى لها عملها فى الاسم . ولا يجوز إلغاؤها ولا الوصف أو العطف بالرفع مراعاة للابتداء .

ألا عمر ولى مستطاع رجوعه   فيرأب ما أثأت يد الغفلات (٥)

---

(١) شرح ابن عقيل ص ١٥٠ بنى اسم (لا) على الكسر (لذات) لأنه جمع مؤنث سالم .

(٢) (لا) الثانية زائدة للتوكيد ، نصب (خلة) عطفا على محل اسم (لا) .

(٣) رفع المعطوف عليه (لغو) ، وبنى المعطوف على الفتح .

(٤) شرح ابن عقيل ص ١٥٥

(٥) ألا : الهمزة للاستفهام ، (لا) : نافية للجنس ، عمر : اسم(لا) وجملة (ولى) فى محل نصب صفة لـ (عمر) .
وليس لـ (لا) خبر لأنها بمنزلة أتمنى . شرح ابن عقيل ص١٥٥ .

حذف خبر (لا) النافية للجنس :

يحذف خبر (لا) إذا دل عليه دليل ، ومثاله أن يقال : هل من رجل قائم ؟ فتقول لارجل (١) .

ومن التعبيرات الشائعة المحذوف فيها خبر (لا) : لابأس ، لاضير ، لاريب .

تعبير (لاسيما) :

هذا التعبير مركب من « لا » و « سى » بمنزلة مثل وزنا ومعنى ومعناه : ليس مثل ذلك شىء ما .

فقولك مثلا : أحب مكارم الأخلاق لاسيما الصدق . بمعنى أن حبك للصدق لايعدله حب آخر لمكارم الأخلاق .

لا : حرف مبنى على السكون ، وهو لاستغراق النفى .

سى : اسم (لا) منصوب ، وعلامة النصب الفتحة الظاهرة ، لأنه مضاف .

ما : اسم موصول مبنى على السكون ، فى محل جر مضاف إليه .

الصدق : خبر لمبتدأ محذوف وجوبا تقديره : هو ، والجملة من المبتدأ وخبره لا محل لها من الإعراب صلة الموصول .

ويذهب ابن هشام إلى أن حالة نصب الاسم المعرفة الذى بعد (لاسيما) إنما ترجع إلى أنه مستثنى لأن (لاسيما) بمنزلة (إلا) (٢) .

وتذكر لجنة تيسير النحو أن كلمة (لاسيما) تفيد ترجيح ما بعدها على ماقبلها

---

(١) شرح ابن عقيل ص ١٥٦

(٢) مغنى اللبيب ١/١٤٠

، فهي تشعر بالاختصاص فلهذا نرى أن يكون الاسم الذي بعدها منصوبا على الاختصاص»(١).

وثمة وجه آخر يرى أن جر الاسم بعد (لاسيما) أيسر الوجوه وأقربها إلى معنى الجملة، ففي الشاهد:

ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل(٢)

يقول ابن هشام: «ويجوز في الاسم الذي بعدها الجر والرفع مطلقا، والنصب أيضا إذا كان نكرة، وقد روى بهن و الجر أرجحها، وهو على الإضافة و (ما) زائدة بينهما مثلها في (أيما الأجلين قضيت)»(٣)

ومن المحدثين من يؤثر هذا الوجه فيعرب «أحب الكتب لاسيما كتب الأدب» ......

ما: حرف زائد مبني على السكون لا محل له من الاعراب.

كتب: مضاف إليه (سي) مجرور بالكسرة الظاهرة(٤).

(١) تحرير النحو العربي ص ١٩٧

(٢) الزوزني: شرح المعلقات السبع ص٧. ط. التجارية بمصر ١٣٩٠هـ ١٩٧١م

(٣) مغنى اللبيب ١/١٤٠

(٤) التطبيق النحوي ص١٧٧، وتؤثر لوقال: منصوب أو مجرور وعلامة النصب الفتحة أو علامة الجر الكسرة، ففرق بين علة الجر وعلامة الجر.

منهج المتقدمين في درس النواسخ

جرى منهج شراح الألفية على مراعاة ترتيب أبياتها بيتا بعد بيت وربما ساق هذا الترتيب إلى بعض الاضطراب في الشرح، فإذا كان الناظم قد يحمله فن النظم على ترتيب معين فإن النثر ليس فيه ما يدعو إلى قيود النظم.

ولقد كان اهتمام النحاة القدامى بفكرة (العامل) هدفا ينسال منه المحدثون، ذلك الاهتمام الذي بدا في تسمية «كان وأخواتها» العامل في بيت الألفية:

ولا يلي العامل معمول الخبر إلا إذا ظرفا أتى أو حرف جر

وهو في الواقع عامل لفظي يقول الشيخ خالد الأزهري «فإن لم يكن المعمول أحدهما فجمهور البصريين يمنعون مطلقا لما في ذلك من الفصل بينها وبين اسمها بأجنبي منها، والكوفيون يجيزون مطلقا لأن معمول معمولها في معنى معمولها وفصل ابن السراج والفارسي من البصريين، وابن عصفور من المتأخرين فأجازوه إن تقدم الخبر معه نحو: كان طعامك آكلا زيد. لأن المعمول من كمال الخبر وكالجزء منه، ومنعوه إن تقدم وحده نحو: كان طعامك زيد آكلا. إذ لا يفصل بين الفعل ومرفوعه بأجنبي، ويتحصل من هذه المسألة أربع وعشرون صورة ذكرها المرادي في شرح التسهيل واحتج الكوفيون القائلون بالجواز مطلقا بقول الفرزدق:

• ... كان إياهم عطية عودا •(١)

على تقدير أن في (كان) ضمير الشأن مستترا»(٢).

(١) شرح التصريح ١/١٩٠

(٢) يرجع إلى ص ٤٩ من دراستنا هذه.

واذا كان المراد بضمير الشأن التفخيم [١]، فإن تقريره فى مثل هذا الشاهد قد لا يخلو من تمحل، وخير منه — فى نظرنا — الوقوف على المنزع النفسى للقائل حينما خرج عن القاعدة.

وفى زيادة (كان) مجال لتأمل المنزع النفسى لم يلتفت إليه النحاة إذ كان شغلهم تصنيف مواضع زيادتها بين الفعل ومرفوعه — مثلا: كقولهم: «ولدت فاطمة بنت الخرشب الأنمارية الكملة من بنى عبس لم يوجد — كان — أفضل منهم [٢].

وسمع أيضا زيادتها بين الصفة والموصوف كقوله:

فكيف إذا مررت بدار قوم وجيران لنا — كانوا — كرام [٣]

ويقف بعض المعاصرين عند هذا الشاهد ليخالف بعض النحاة فى أن تكون (كانوا) زائدة لأسباب يذكرها [٤] لا تثبت للرد عليها — فى نظرنا، نحسب أنها لو لم تكن زائدة لقال: «كانوا كراما».

وتفيد (كان) الزائدة عندنا التحسر على زمانهم الماضى، والتركيز على فوات الزمن الذى يعاش بين ظهرانيهم فيه، وإلا ماذكرت أصلا، إذ يستقيم الكلام بدونها فى غير إظهار المنزع النفسى: وقد قال الخليل وسيبويه بزيادتها ولتأكيد

(١) شرح الرضى على الكافيه ٣٦٢/٢ . ط استامبول ١٣٠٥هـ.
كما فى قوله تعالى (قل هو الله أحد) ويبدو أن معنى التفخيم يغيب فى الاستعمالات العادية.

(٢، ٣) شرح ابن عقيل ص ١٠٨ ، مغنى اللبيب ٢٨٧/١ .

(٤) د. أمين على السيد: دراسات فى علم النحو ص ١٥٥ وما بعدها.

مافهم من المضى قبل دخولها [١].

وفى الشاهد:

أنت — تكون — ماجد نبيل إذا تهب شمأل بليل [٢]

يكتفى النحاة بالقول بأن ورودها بلفظ المضارع زائدة تخرج عن شرط كونها بلفظ الماضى لزيادتها، وهذا الشرط هم الذين استخلصوه من النصوص، فلا بأس عندنا من القول بأنها ترد زائدة دون شرط أو شرطين.

أما بعض المعاصرين فيقول: «وهى — فيما أزعم — فعل الكينونة الذى يدل على الإسناد» [٣]

والإسناد رابطة عقلية للمسند بالمسند إليه يفهم دون لفظ يدل عليه فى العربية على غير لغات أخرى.

ومعنى الشاهد عندنا: أنت ماجد الآن، وستكون ماجدا إذا تهب ريح ندية، فثمة زيادة فى المعنى بزيادة (كان) بلفظ الماضى أو المضارع..

أما فى حذف (كان) فيقول ابن عقيل: «ولم يسمع من لسان العرب حذف (كان) وتعويض (أما) عنها وابقاء اسمها وخبرها إلا إذا كان اسمها ضمير مخاطب. ولم يسمع مع ضمير المتكلم نحو: أما أنا منطلقا انطلقت، والأصل أن كنت منطلقا، ولا مع الظاهر [٤] نحو: أما زيد ذاهبا انطلقت، والقياس

(١) شرح التصريح ١٩٢/١

(٢) شرح ابن عقيل ص ١٠٩ ، أوضح المسالك ص ٥١ ، شرح التصريح ١٩١/١ ، حاشية الصبان ٢٤١/١

(٣) د. المخزومى: فى النحو العربى ص ٣٢

(٤) تعنى كلمة (الظاهر) مقابل الضمير.

جوازهما ، وقد مثل سيبويه — رحمه الله — فى كتابه بـ (أما زيد ذاهبا)(١)

ومفاد هذه العبارة أن ابن عقيل يأخذ بالسماع والقياس معا كما كان سيبويه يأخذ بهما(٢). وهما مصدران لإثراء المعارف اللغوية والنحوية بل وتبسيط الدراسة النحوية .

وهكذا كان يدلو بعين بصيرته فى أطواء الزمن القديم إلى شيخ النحاة ، كذلك فعل غيره من قبل ومن بعد مما أعطى للدراسة النحوية وتأصيلها وزنا ينوء بذوى الجهد .

وقد يكتفى ابن عقيل — مثلا لشراح الألفية — بسرد مذهب سيبويه ومن تابعه دون أن يرجح مذهبا على آخر ، فحذف النون من (لم يكن) جائز لا لازم تخفيفا لكثرة الاستعمال غير أن النون لا تحذف عند سيبويه عند ملاقاة ساكن فلا تقول : لم يك الرجل قائما وأجاز ذلك يونس(٣) . وقد قرىء شاذا (لم يك الذين كفروا)(٤) .

ثم يعقد ابن عقيل فصلا للحروف الناسخة التى تعمل عمل (كان) ، وقد كان له أن يرجىء الحديث عن تلك الحروف بعد أن يستوفى الحديث عن أفعال المقاربة وظن وأخواتها لولا أن تلك الحروف لها بإحدى الأخوات صلة أو كما يقال مشبهات بـ (ليس) .

وابن عقيل يساير فى هذا الترتيب ألفية ابن مالك وكذلك فعل غيره من الشراح ، يستهلون الفصل ببيتى الألفية :

---

(١) شرح ابن عقيل ص ١١١
(٢) د صابر بكر : القياس فى النحو العربى ص ٧٨ . ط. ١٩٧٨ . مصر
(٣) شرح ابن عقيل ص ١١٢ (٤) البينة ١

إعمال (ليس) أعملت (ما) دون (إن) مع بقا النفى وترتيب زكن (١)
وسبق حرف جر أو ظرف كـ (ما بى أنت معنيا) أجاز العلما

يقول ابن عقيل : « .. ففهم من تخصيص المصنف وجوب الرفع بعد (ما) إذا وقع الاسم بعد (بل) و (لكن) أنه لا يجب الرفع بعد غيرهما (٢)

وعندنا أن ابن هشام الأنصارى كان أكثر توفيقا فى هذا الصدد لربطه هذه الملحوظة بالشرط الثانى من شروط إعمال (ما) عمل (ليس) وهو ألا ينقض نفى خبرها بـ (إلا) إذا قال : « ولم يجز نصبه بالعطف لأنه موجب (٣)

وفى « زيادة الباء فى الخبر المنفى » نلحظ أن بيت الألفية فى تقرير تلك القاعدة لم يخصص (ما) حجازية أم تميمية :

وبعد (ما) و (ليس) جر البا الخبر .
وبعد (لا) ونفى (كان) قد يجر

وهنا يبدو ابن عقيل ميسرا فى شرحه حينما يوصل المسألة بقوله :

« وقد نقل سيبويه والفراء — رحمهما الله تعالى — زيادة الباء بعد (ما) عن بنى تميم فلا التفات إلى من منع ذلك »(٤)

ويأخذ ابن عقيل على بيت ابن مالك :

---

(١) زكن « بالبناء للمجهول » : علم . (٢) شرح ابن عقيل ص ١١٥ .
ونلحظ أن عبارة ابن عقيل « لا يجب الرفع بعد غيرهما » غير دقيقة ، إذ معنى (لا يجب) هو (يجوز) وقد ذكر من قبل أنه « تعين رفع الاسم » يراجع ص ٥٨ من دراستنا هذه .
(٣) أوضح المسالك ص ٥٤ (٤) شرح ابن عقيل ص ١١٦

كـ (كان) كاد وعسى لـكن ندر   غير مضارع لهذين خبر

قوله « غير مضارع » إذ يدخل تحتـه الاسم والجار والمجرور ، والجملة الفعلية بغير المضارع ، ولم يندر مجىء هذه كلها خبرا عن (عسى) و (كاد) بل الذى ندر مجىء الخبر اسما ، وأما هذه فلم يسمع مجيئها خبرا عن هذين » (١)

وهكذا نرى الدرس النحوى عند القدامى يؤخذ من أقوالهم أو ترد فى هدوء نبرة ، أما المعاصرون فأمام الرغبة فى إنشاء جديد تصدت جهود إلى النواسخ ترى فيها نظرة غير التى رآها السالفون .

ففى (كان وأخواتها) يقول الدكتور مهدى المخزومى : « إن من يستعرض هذه الأبنية واستعمالاتها يعجب من جمعها كلها فى إطار واحد .. فليست هـــذه الأفعال بمنزلة واحدة لا فى الدلالة ولا فى الاستعمال ، ولا جامع لها إلا ما لاحظوه من شبه فيما يأتى بعدها فهى تشترك فى أن يليها مرفوع ومنصوب »(٢) ويستطرد قائلا : « ينبغى أن نفصل (صار) من هذه المجموعه لأنها إنما تدخل فى الغـالب على ما ليس أصله مبتـــدأ وخبرا .. »(٣) ثم يقول : « والمنصوب بعـدها — فيما يبدو لى — ليس خبرا ولا مفعولا ، وإنما هو تمييز » ويضرب لذلك مثلا قولنا : امتلأ الوعاء عسلا ، فنسبة الامتلاء إلى الإناء مبهمة تفتقر إلى ما يوضحها فإذا قيل : عسلا بان المعنى ، وزال الإبهام ، وكذلك عنده « صار الطين إبريقا » أتى بكلمة (إبريقا) لتزيل ذلك الإبهام . (٤)

وعندنا أن التصنيف يكتفى فيه بوجه جامع لمجموعة دون أخرى ، فإذا كان

(١) شرح ابن عقيل ص ١٢٢ ، يرجع إلى ص ٦٤ من بحثنا هذا .

(٢) فى النحو العربى - نقد وتوجيه ص ١٧٨

(٣ ، ٤) المرجع السالف ص ١٧٩

ثمة غير وجه من وجوه التشابه كان التصنيف أدق .

وفى (كان وأخواتها) وجه واضح يسوغ تصنيف الأقدمين هو نسخها للابتداء من جهة ، والدلالة الزمنية فـ (أصبح) و (أمسى) و (أضحى) إنما تدل على وقوع الفعل فى وقت بعينه .

أما (صار) فإنها لا تشير إلى وقت معين ، ولـكنها إذ تشير إلى حـــدث فإنها تدخل على ما أصله مبتدأ وخبر كقولك : صار الولد ناجيا فتفهم من العبارة أن الولد لم يكن ناجيا من العقوبة ، وتحول الحال فـ (صار) ناجيا فهـل نقول بإعراب (ناجيا) حال منصوبة ؟

إنها وجهة إعرابية تقابل (التمييز) الذى قال به باحثنا، وهنا يكون الاختلاف الذى حسمه النحاة حينما جعلوا (صار) فى تصنيف لا تبدو فيه نشازا فيما نرى بل ألحقوا بها أفعالا أخرى مثل « ارتد » فى قوله تعالى « ارتد بصيرا » و « رجع » كما فى الحديث : (لا ترجعوا بعدى كفاراً) و « استحال » وفى الحديث : (فاستحالت غربا)(١) و « تحول » كقول امرىء القيس :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة   فيالك من نعمى تحولن أبؤسا

و « غدا وراح » وفى الحديث « ... يرزق الطير تغـــدو خماصا وتروح بطانا »(٢)

وقد يكون من الأوفق إعراب مثل تلك الكلمات حالا ، فالحال تعرب إجابة عن كيف ؟ ، إذ أن الأفعـال التى توافق (صار) فى المعنى كثيرة حتى وقع فيها

(١) غربا : أى دلوا عظيمة . حاشية الصبان ٢٢٩/١

(٢) شرح الأشمونى ٢٢٩/١

الخلط أو على الأقل التشكيك فيها من الأقدمين أنفسهم ، قال فى شرح الكافية وزعم الزمخشرى أن (بات) ترد أيضا بمعنى (صار) ولا حجة له على ذلك ولا لمن وافقه »(١). فضلا عن أنه ليس حتما أن تستتبع الموافقة فى المعنى الموافقة فى العمل ، ففى تعبيرنا المعاصر تقول — مثلا : أعرف تماما أنك مخلص ، وقد ساغ هذا التعبير تأثرا باللغات الأجنبية ، ومعنى (تماما) فى المثال هو « المعرفة كلها » ومع ذلك فنحن لانعرب « تماما » توكيدا لأن للتوكيد ألفاظا بعينها ولا يعرب توكيدا ما يغنى غناءها .

وما يقال فى (صار) يقال فى (ليس) من حيث إن كليهما ينسخ الابتداء ، أما كون (ليس) للنفى ، وأنها مركبة وسائر أخوات (كان) مفردة فاعتبارات لاتثبت أمام العمل الإعرابى لها مما يسوغ عندنا إدخالها فى تصنيف النحاة القدامى .

إن تصنيف النحو العربى وفق العمل للافعال أو للحروف .. يسمح لـ (ليس) ولـ (عسى) أن تكونا ضمن أخوات (كان) مع شذوذهما كما يروق للباحث أن يدرجهما تحت عنوان « الأفعال الشاذة ، ولدلالة (عسى) على الرجاء أكثر من غيرها كانت على رأس طائفة من الأفعال تدل على الرجاء (حرى) ، (أخلولق) « فدلالتهما على الرجاء مستفادة من دلالتهما على الجدارة ، فكون زيد جديرا بالوفاء - مثلا - يدل التزاما على أن الوفاء مما يطمع فيه أو يتوقع منه »(٢)

ويستطرد الباحث قائلا: (٣) « دعا النحاة إلى جمع هذه الأشتات التى لايربطها

(١) شرح الأشمونى ١/٢٣٠

(٢) فى النحو العربى ص٦٨٦ — بتصرف.

(٣) وذلك فى فصل عنونه « مايسمى أفعال المقاربة ».

رابط من دلالة هو ما تصوروه من عمل لهذه الأفعال ، ولاحظوه من شبه بينها فى الاستعمال وطريقة (العمل) ، وكان تشبثهم بفكرة العامل ، وتحديد الدرس النحوى بالحدود التى رسمتها لهم (فكرة العمل) قد أوقعهم فى هذا الخلط وأمثاله . »(١)

ونحن نرى أن تسمية أفعال الرجاء ، وأفعال الشروع تتفق إلى حد كبير و (المقاربة) ، فمعنى الرجاء توقع حدوث الفعل .. إنه قريب الوقوع فى ذمن المستعمل لأفعال (عسى ، حرى ، اخلولق) .

ومعنى الشروع بدء الفاعل بإيقاع الفعل ، وبين البدء وقرب الفعل من الحدوث خيط رفيع .

ولم يفت القدامى أن يلحظوا مانلحظه فى عصرنا بل بلغت بهم الدقة أن يناقشوا فى « أفعال المقاربة » التى تجمع الرجاء والشروع إلى المقاربة قضية لغوية « باب تسميه الكل باسم الجزء »(٢) و « التغليب »(٣) والفرق بين المصطلحين ، فينقل الصبان : أن « تسمية الكل باسم جزئه عبارة عن إطلاق اسم الجزء على ماتركب منه ومن غيره كتسمية المركب كلمة ، وأما تسمية الأشياء المجتمعة من غير تركيب منها فتغليب كالعمرين ، والقمرين هذا وقد قيل إن فى أفعال الرجاء وأفعال الشروع أيضا مقاربة (٤) .

ويستطرد قائلا : « المقاربة تختلف فتارة تكون لمقاربة الفعل من الرجاء كـ (عسى) لأن رجاء الفعل دنو لتقدير نيله ، وتارة تكون للأخذ فيه لأن

(١) فى النحو العربى ص ١٨٧ (٢) أوضح المسالك ص٥٧

(٣) شرح المكودى ص ٤٢ (٤) حاشية الصبان ١/٢٥٨

الشروع فى الفعل يلزمه القرب منه، وعلى هذا لا تغليب أيضا لأن الكل عليه أفعال مقاربة ولو بطريق الاستلزام[١].

من ذلك يتبين أن فكرة (العمل) لم تكن بمعزل عن (المعنى) فى ذهن النحاة ودرسهم، لأنها ليست بمعزل عن المعنى فى الواقع اللغوى.

وإذا انتقلنا إلى (ظن وأخواتها) نجد أن النص على تسميتها أفعال القلوب لأن معانيها تمس القلب يتصدر الشرح ثم يأتى عملها فى نصب اسمين أصلهما المبتدأ والخبر.

وأفعال التحويل يمثل لها بـ (صير) ومن هذا الفعل تسمى أيضا أفعال التصيير، فإذا قلت: «صيرت الطين خزفا» فـ (الطين) مفعول أول، خزفا: مفعول ثان، ومثلها (جعل) إذا دلت على الصيرورة كقوله تعالى: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)[٢]، و (وهب) فى قولك - مثلا: وهبنى الله فداك أى صيرنى[٣].

بل إن النظر إلى (العمل) و (المعنى) معا وراء كثرة اختلاف المذاهب فى المسألة الواحدة فيما نرى، حتى ليأمن القارئ لمسألة نحوية أن يقول: فيها قولان، دون أن يطلع على أحد هذين القولين.

ويبدو أن النحاة أعانوا على شيوع هذه العبارة: «فيها قولان» بتتبعهم - من فرط حرصهم على إثبات العلم - لمسائل الخلاف. فابن عقيل - مثلا - بصدد حديثه عن (إن) المكسورة الهمزة إذا وقعت أول الكلام يذكر أنك «لا تقول: أنك

---

(١) حاشية الصبان ١/٢٥٨ (٢) الفرقان ٢٣
(٣) شرح ابن عقيل ص ١٦١

- بفتح الهمزة - فاضل عندى، بل يجب التأخير فتقول «عندى أنك فاضل»، وأجاز بعضهم الابتداء بها»[١] فإيراده جواز بعضهم تزيد - فى نظرنا - إذ لم يورد شاهدا على هذا الجواز.

كذلك قوله فى جواز حذف الخبر أن يقال: من عندكما؟ فتقول: زيد. التقدير: زيد عندنا، ويستطرد ابن عقيل قائلا: «ومثله - فى رأى - خرجت فإذا السبع»، التقدير: «فإذا السبع حاضر»[٢].

فقوله «فى رأى» يشير إلى تتبعه للاختلافات مع أن الأمر فى المسألة أيسر من أن يثير اختلافا. وهو ما اتجه إليه ابن عقيل فى بعض المواضع.

ففى مواضع كسر همزة (إن) قيل إنه يجب أن تكسر همزة (إن) إذا وقعت بعد (ألا) الاستفتاحية وبعد (حيث)، وإذا وقعت فى جملة هى خبر عن اسم عين[٣]، وهو ما لم يورده ابن مالك تفصيلا فى ألفيته، ويرد عقيل بأن «هذه إنما كسرت لكونها أول جملة مبتدأ بها»[٤]. وهو يجمعها قول ابن مالك. «فاكسر فى الابتدا».

فهو هنا ينزع إلى القاعدة العامة التى تطوى تحتها أوجه النظر المختلفة. وهو منزع طيب جدير بالقبول. وهو لا يتنافى وإطلاق النظر فى النصوص لتبين معانيها المختلفة وفق القواعد النحوية. ففى الشاهد:

هذا لعمركم الصغار بعينه ... لا أم لى إن كان ذاك ولا أب

لك الرفع فى (ولا أب) من وجوه ثلاثة: (لا) زائدة و (أب)

---

(١) شرح ابن عقيل ص ١٢٣.
(٢) شرح ابن عقيل ص ٩٣ (٣) نحو: زيد إنه قائم
(٤) شرح ابن عقيل ص ١٣٤.

معطوف على محل (لا) واسمها لأنهما فى موضع رفع بالابتداء .

الثانى — أن تكون (لا) الثانية عملت عمل (ليس).

الثالث — أن يكون مرفوعا بالابتداء دون أن تعمل فيه (لا) (١).

بذلك يتبين فى نظرنا التجنى على النحاة باتهامهم بالعناية بالصنعة الشكلية دون المعانى ، وليس أدل على النظر منهم إلى المعنى من تعبيرهم « أمن اللبس » أو قولهم مثلا بحذف خبر (لا) النافية للجنس إذا دل عليه دليل (٢) ، وفى ذلك تقول الألفية :

وشاع فى ذا الباب إسقاط الخبر　　　إذا المراد مع سقوطه ظهر .

---

(١) شرح ابن عقيل ص ١٥١

(٢) يرجع إلى ص ٩٧ من بحثنا هذا .

⇐ المفعولات الخمسة

نقسم الحديث فى المفعولات الخمسة إلى :

١ — تناول كل مفعول بالشرح المزود بالأمثلة والشواهد من القرآن والشعر .

ونبدأ بالمفعول فيه ، ولعل التسمية الأدق أن يطلق عليه ظرف زمان أو مكان ، وهى التسمية الشائعة .

وإذا كان التأليف العلمى هو فى حقيقته محاورة مع السابقين ومذاهبهم نوافقهم أحيانا ، ونختلف أحيانا أخرى ، فإننا فى « المفعول فيه » نتخذ المحاورة بين أستاذ وطالب علم أسلوبا للدرس .

ونستهدف من المحاورة تقديم لون فى التأليف النحوى ، لا يبعد كثيرا عن الفنقلة فى كتب التراث أى « فإن قيل ... قيل » .

ثم نعود إلى الدرس السردى فى المفعول به ، والمفعول من أجله ، والمفعول معه ، والمفعول المطلق .

وقد يلفت القارىء أن « المفعول المطلق » يجىء آخرا ، وذلك عندنا لأن المفاعيل غيره مقيدة بأداة فاستحقت أن تأتى مرتبة .

وقبله المفعول معه لأنه أقلها استعمالا فيما نرى .

٢ — منهج المتقدمين فى درس المفعولات :

وهو عرض عام لبعض ما تيسر من كتب النحو فى القديم والحديث فى تناولها للمفعولات لتتبين الملامح المنهجية لعلنا نفيد منها فى تيسير الدرس النحوى .

٣ ـ المفعولات فى القرآن الكريم :

دراسة تطبيقية على سورة المائدة إحدى طوال السور لم نقصد إلى اختيارها قصدا ، وإنما كانت النموذج العفوى ، الذى قد يغرى بعض الباحثين بتتبع استعمال المفعولات فى القرآن جميعا .

توطئة :

الطالب — لست أدرى ما الذى يجعل موضوعا كالمفعولات الخمسة يلح على أن يكون موضوع محاورتنا .

الأستاذ : ربما كان ذلك الذى يلح عليك إلحاحا رغبة منك فى استكمال أبواب النحو مجموعات ، فالمفعولات الخمسة مجموعة ، والتوابع مجموعة ...

الطالب : هكذا درس النحاة النحو أبوابا ، باب المرفوعات ، باب المنصوبات ...

الأستاذ : ذلك التصنيف يجعل التصور للموضوعات أكمل وأوضح مما إذا درست الموضوعات تفاريق .

الطالب : الغريب أستاذى أنى أعد المفعولات : المفعول به ، المفعول معه ، المفعول المطلق ، المفعول لأجله ، وأجد الخامس يفلت من ذاكرتى .

الأستاذ : إنه لم يفلت فهو فى وعاء الذاكرة يتحين الوقت ليظهر .

الطالب : حينما ذكرت سيادتك كلمتى (وعاء) و (الوقت) تذكرته .. إنه الظرف أو المفعول فيه .

الأستاذ: ولعلك نسيته أول الأمر لأنه مصطلح غير شائع الاستعمال.. المفعول فيه .. أما الشائع فتسميته بالظرف . . ظرف الزمان والمكان .

الطالب : إن كلمة ظرف تستعمل لخفة الدم ، والعوام ينطقونها بضم الظاء ربما للتمييز بينها وبين الظرف فى النحو ، أوظرف مخرطة المعادن أو الظرف الذى تودع فيه المكاتبات .

الأستاذ: مابال العرب الأولين لم يفعلوا ذلك التمييز ؟

الطالب : (بشيء من الحيرة) : قبل أن تسألنى البحث عن ذلك .. أبحث .

الأستاذ : وأضيف مراجعة ماسألتنى عنه فى كتب التراث قبل المحاورة .

الطالب : لقد بحثت بحثا عميقا ، بحث المتخصص ، وإن كنت لم أعن نفسى كثيراً .

الأستاذ : كيف ؟

الطالب : إنى أتذكر أن العقاد — رحمه الله — شبه عبقرية جوت بالزرافة، ماعليها إلا أن تمد عنقها لتصل إلى أعلى الشجرة . وها أنا ما إن فتحت صفحة القاموس حتى حصلت على بغيتى ؛ الظرف : الوعاء .. والكياسة(١) ، والكياسة مستودعها القلب أو وعاؤها وحينئذ نقول : ظريف ، فقد نضح الإناء بما فيه ، لقد ظهر الظرف على اللسان ، واللسان دليل القلب ، ولهذا قال المعجميون إن الظرف يكون فى الوجه واللسان .

الأستاذ : لقد رجعت إلى الفيروزبادى فوجدته يعرف الظرف بأنه البراعة وذكاء القلب ، فقد نقلت منه ما أردت أن توهمنى بأنه استنتاجك .

الطالب : معذرة أستاذى ، لقد استنتجت المعنى أو الصلة بين الوعاء والكياسة قبل أن أصل إلى قول الفيروزبادى الذى ذكرته سيادتك ، واستحسنت منه ومن غيره من أصحاب المعاجم البدء بالمعنى المادى ثم المجازى أو المعنوى .

---

(١) القاموس المحيط ٣/١٧٠ وما بعدها.

الأستاذ : وهل كنت تعرف معنى البزاعة وأحسبها غير مستعملة فى عصرنا ؟

الطالب : صراحة لا ، فرجعت إليه نفسه ، فوجدته يقول : بزع الغلام ككرم فهو بزيع وهى بزيعة صار ظريفا مليحا كيسا(١) ، فاطمأننت إلى استنتاجى إذ أن الفعل بزع وظرف من اللازم الذى يدل على الخلق وأصل الفطرة فى الإنسان مثل عظم — بالضم — أى كبر ، وقصر ضد طال .. وغيرها من المعانى النفسية والخلقية وكذلك ظرف — بضم الراء — .

الأستاذ : لقد كنت مثلك متذوقا فى زملائى ، حتى ليطلقون على بقسم اللغة العربية فراء القسم ، وأنا طالب بالفرقة الثالثة .

الطالب : ما معنى (فراء) ؟

الأستاذ : أسمعت عن جوت الألمانى ولم تسمع عن الفراء صاحب كتاب معانى القرآن ؟

الطالب: لقد سمعت عنه منك حينما أغلى البائع سعر أحد كتبك فطلبت إلينا ألا نشترى منه وإن اضطررت إلى إملاء الكتاب كما فعل الفراء وقد طلب النساخ سعراً غاليا فى كتابه من الناس فأملى عليهم معانى القرآن مرة ثانية فكان دروسا لهم نتذكره نحن بعد وفاته سنة ٢٠٧ هـ .

الأستاذ : وهو رائد لمدرسة الكوفة فى النحو ، ومنهجنا فى الدرس النحوى ألا نغفل الجوانب الخلقية المتصلة بالعلم أو بالسلوك ، لكى نتمثل حياتهم فى وضوح .

الطالب : الحقيقة أستاذى ، أننا نفتقد الرباط الذى يربطنا بعلم الأقدمين فى

(١) القاموس المحيط ٥/٣

اعتزاز ، نمتدحهم فخورين أحيانا دون أن نعيش مناخهم الثقافى أو جوهم العلمى ، فنخطىء الفهم عنهم أحيانا ، كما نخطىء تقديرهم .

الأستاذ : إن التصور التاريخى ليس بالشىء الهين فيما نرى ، ولكننا نحاول أن نقترب من الصورة الحقيقية بحيث لايكون بيننا وبين المتقدمين مجافاة .

الطالب : لقد قرأنا لزعيم راحل شكواه من الأنانية ... كل من يلقاه يقول أنا صاحب المعرفة .. وسمعنا زعيما آخر يتحدث عن الحقد ، فإذا كانت أقوال الزعماء تشخيصا صادقا للوباء المنتشر ، فإن الأنانية والحقد شىء رهيب ويجول بخاطرى لو أننـــا تعودنا تقدير آراء الأقدمين سيكون ذلك بداية لتقدير آراء المعاصرين .

الأستاذ : وبالعكس أيضا .

الطالب : أذكر أن فندريس فى كتابه (اللغة) ذكر فى مقدمته أن يتقدم بالكتاب لكى يعرف العالم أن فرنسا كانت سباقة لمثل ذلك النوع من التأليف . إن فرنسا وليس هو ...

الأستاذ : إن لنا غنية عن هـذا القول مع تقديرى له فى (إننى من المسلمين) القرآنية .. إن انتماءنا لعقيدة أسمى من الانتماء إلى الدول إذا حكم هذه الدول البغاة كره الناس البغاة وما يحكمون .

الطالب : أستاذى ، لقد لمست وترا فى القلب حساسا .. الحب ، إننى أبداً أحب الناس لكى يبادلونى الشعور نفسه ، وأتقدم إليهم بما ينفعهم خير من كلمات جوفاء أو قليلة النفع .

الأستاذ : إن ذلك صحيح ليس مع الناس فحسب ، ولكن فى التعامل مع الأشياء أيضا ، إذا أحببت مثلا مهنتك ابتكرت فيها .

الطالب : نعم إن الحب مرونة وليس جموداً ، والمرونة ابتكار .. أقصد قد تدفع إلى الابتكار ، كما أن الابتكار يدل على المرونة .

الأستاذ : أحيي فيك تلك الروح ، ونصيحتي أن تحتفظ بما تراه مبتكرا حتى تهضم القديم بحثا ثم تخرج على الناس بالجديد المبتكر .

الطالب : إنها نصيحة قديمة حينما رأى أحد الشيوخ تلميذه يتصدر مجالس العلم فقال له : تزببت وأنت حصرم .

الأستاذ : وعلى كل إذا لم يكن الجديد في المضمون فليكن في الشكل .

الطالب : مثل محاورتنا تلك إذا نشرت للناس ، وأنا أرى فيها جديدا في الروح الذي يتمثل في الشكل وبعض المضمون .

تسمح لي أستاذي أن نبدأ بالمفعول فيه ، ليس ابتكارا مني ، وإنما لأن في بحثي عن المعنى اللغوي لكلمة (الظرف) دافعا لتكملة الموضوع عن الظرف عند النحاة ، والظرف بنوعيه هو مايطلق عليه جماعة من البصريين المفعول فيه .

الأستاذ : لقد جرى مؤلفو (تحرير النحو العربي) على البدء بالمفعول فيه ، التكملة لبيان الزمان أو المكان ثم تابعوا المكملات : التكملة بالمفعول ، التكملة بالحال ، التكملة لبيان السبب ...

الطالب : ما الذي أقحم الحال في المفعولات ؟

الأستاذ : إنهم إذ عدلوا عن التسمية والمفعولات الخمسة ، كان لهم أن يدخلوا من المكملات التكملة بالحال والتكملة بالجار والمجرور .

الطالب : إن الحال يدخل ضمن المنصوبات الخمسة عشر ، أما الجار والمجرور

الأستاذ : عرفت ماتريد أن تكمل به كلامك ، لقد بدا لنا تقسيم النحاة

القدامى ينظر إلى العمل الإعرابي ، أما نظرة التحرير فتقسم الجملة إلى ركنين أساسيين : مسند إليه وهو ما تتحدث عنه ، ومسند : وهو ماتتحدث به ثم المكملات ومنها المفعول المطلق ، والاستثناء ، والتمييز .

الطالب : أفضل مجموعة المفعولات الخمسة ضمن باب المنصوبات كما هي عند قدامى النحاة .

الأستاذ : أخشى أن تكون عدلت عن الابتكار .

الطالب : إن للقديم سلطانه لأنه يحكم فيما أرى وتعبير (المكملات) صادق بالنظر إلى الجملة ، ولكنه عندي نظرة شكلية لاتسوغ العدول عما جرى عليه النحو القديم .

(١ — المفعول فيه)

الطالب : كنت أود أن أعرف لماذا نصبت كلمة (الصيف) في المثل العربي « الصيفَ ضيعت اللبن » ، بينما ترفع في قولنا : الصيفُ حار .

الأستاذ : لقد أيدت النحاة القدامى إذن في درس المنصوبات ؛ ذلك أن الظرف ليس كل اسم من أسماء الزمان والمكان على الإطلاق ، بل الظرف منها ماكان منتصبا على تقدير (في) واعتباره بجواز ظهورها معه(١) .

الطالب : يعني أنني أستطيع القول : في الصيفِ ضيعت اللبن ، ولهذا حينما حذف حرف الجر نصب الاسم (الصيف) على الظرفية ، فالزمان وعاء للافعال . ولكني لا أستطيع أن أقول : في الصيف حار إذ لاحاجة لحرف الجر ، وإنما الجملة مبتدأ وخبر .

(١) شرح المفصل ٢/٤١

الأستاذ : أرجو أن ألفتك إلى أن الأمثال تنطق كما هى ، و (فى) فى مثلنا مقدر على غير ما تقول : ولدت فى الصيف أو ولدت صيفا .

الطالب : ولماذا نقدر (فى) ولا نقدر الباء — مثلا — وفى القرآن : (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين)(١) . وفيه (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا)(٢) ، (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر)(٣) ، والغد من الغدو والغدوة(٤) .

الأستاذ : من معانى الباء الظرفية (٥) نحو (نجيناهم بسحر) (٦) ، أما المعنى الأصلى للباء فهو الإلصاق ، قيل : وهـو معنى لا يفارقها ، فلهذا اقتصر عليه سيبويه(٧) ، أما (فى) فأول معانيها الظرفية مكانية أو زمانية(٨) ، يقول الرازى : وهو للوعاء والظرف وما قدر تقدير الوعاء ... وربما استعمل بمعنى الباء(٩) .

الطالب : تعنى أن المعانى الأولى أولى بالتقدير ، وأن حروف العطف قد يستعمل بعضها محل بعض .

الأستاذ : وفى هذا الصدد ذكر بعض النحاة قاعدة نعمل بها وهى أن ما يكثر استعماله كان أولى بتقديره أصلا (١٠) . ويذكر ابن يعيش أن الظرفية مفهومة من تقدير (فى) ولذلك يصح ظهورها (١١) .

(١) الأعراف ٢٠٥ (٢) لقمان ٣٤ (٣) القمر ٢٦
(٤) ابن القيم : بدائع الفوائد ٩٨/١ ط . الفجالة ١٣٩٢ هـ.
(٥) مغنى اللبيب ١٠٤/١ (٦) القمر ٣٤ (٧) مغنى اللبيب ١٠١/١
(٨) مغنى اللبيب ١٦٨/١ (٩) مختار الصحاح : ف ى
(١٠) مثلا : مغنى اللبيب ١٠٢/١ — بتصرف يسير
(١١) شرح المفصل ٤١/٢

الطالب : ولهذا كانت دقة التسمية فى قولهم « مفعول فيه » ، غير أن الذى يحيرنى قولهم بالنصب على الظرفية ، وإذا قلت : أتيته غدوة فبغير تنوين .

الأستاذ : إن النصب على الظرفية أو المفعولية تعليله العام هو استعمال العرب والنحاة إنما يصنعون القواعد من هذا الاستعمال ، وقد يقوم أحدهم بتعليل خاص يخالفه فيه آخر ، يقول سيبويه فى تعليل النصب « لأنه موقوع فيها ، وتكون فيها ، وعمل فيها ما قبلها » (١) .

وفى أتيته غدوة — غير مصروف لأنها مثل سحر .

الطالب : إن وجوه التعريف : الإضمار : العلمية ، الاشارة ، الصلة ، التعريف بأل ، الإضافة إلى معرفة . فأين (سحر) من هذه الوجوه الستة ؟

الأستاذ : تستطيع أن تعـدها وأمثالها وجها سابعـا . يقول ابن يعيش « فلما تعرف من غير جهة التعريف المعهود خرج عن نظائره فمنع التصرف لذلك ، فإن صغرته وأنت تريد سحر يوم بعينه انصرف ودخله التنوين ولم يتصرف فلا يدخله الرفع والجر ولا يكون إلا منصوبا)(٢) .

الطالب : أهم بمناقشته فى هذا التعليق ، ولكنى استرحت للتعليل العـام « استعمال العرب » .. فماذا مثل (سحر) ؟

الأستاذ : كل ما أوردته من يوم بعينه ، فإن لم ترده من يوم بعينـه فهو متصرف (٣) .

الطالب : أراك أجبتنى بقاعدة عامة مكتفيا بغدوة وسحر ، وقد قرأت لابن القيم

(١) الكتاب ٤٠٤/١ (٢) شرح المفصل ٤٢/٢
(٣) شرح ابن عقيل ص ١٣٤ .

إن أمس صيغ من فعل ماض وهو أمسى ، وذلك مبنى فوضعوا أمس على وزن الأمر من أمسى يمسى (١) ، وحديثـــا مستفيضا عن سحر (٢) . وأحسب أن ابن مالك كان موفقا فى جمعه قاعدة تشمل ظرفى الزمان والمكان ، وذلك فى قوله :

وما يرى ظرفا وغير ظرف — فذاك ذو تصرف فى العرف

وغير ذى التصرف الذى لزم — ظرفية أو شبهها من الكلم

الأستاذ : لقد قال « فى العرف » أى « العرف اللغوى أو النحوى » فقوله تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » غير قولك : صمت شهرا إن كلمة (شهر) متصرفة أى تستعمل ظرفا وغير ظرف ، فهى فى الآية مبتـــدأ ، وفى قولك : ظرف زمان . وكذلك « سرت يومين » ظرف زمان .

الطالب : لأول مرة أقرأ تعبير شبه الظرفية .

الأستاذ: أى الظرف الذى يخرج من الظرفية باستعماله مجرورا بـ (من) نحو: خرجت من عند المدير راضيا : وكذلك (لدن) وهى ظرف مكان وردت مجرورة بـ (من) فتقول : من لدن ..

الطالب : أما فى بيت الألفية :

وقد ينوب عن مكان مصدر — وذاك فى ظرف الزمان يكثر

فقد أظهر ابن مالك أن المصدر يكثر إنابته عن ظرف الزمان ؛ بينما يقـــل ورود المصدر نائبا عن ظرف المكان .

---

(١) بدائع الفوائد ٩٧/١

(٢) بدائع الفوائد ١٠٩/٢ وما بعدها .

الأستاذ : الأمثلة ...

الطالب : حضرت طلوع الشمس أو مغيب الشمس أى وقت طلوع الشمس فحذف المضاف وأعرب المضاف إليه باعرابه . وجلس قرب زيد أى مكان قرب زيد فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فأعرب باعرابه وهو النصب على الظرفية (١) .

الأستاذ : على شفتيك كلام .

الطالب : يودى لو تحدثنى عن (لدن) والفرق بينها وبين (عند) ، و (لدى)

الأستاذ:(عند) تنطقها بكسر العين، وبفتحها كما قد تستعملها فى عصرنا،وبالضم وهو اسم يعرب ظرف زمان أو مكان بحسب ما تضاف إليه ، فى قوله تعالى :

(يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) (٢) تعرب ظرف مكان .

وكذا (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) (٣) .

(ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) (٤) .

(إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين)(٥)

وتعرب ظرف زمان فى قولك: عند الصباح ...

وقد وردت مائة وستاوتسعين مرة فى القرآن الكريم مضافة إلى لفظ الجلالة كثيرا نحو (.. يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليـــلا) (٦) وضمائر المخاطب (عندك) تسع مرات ، والمخاطبة (عندكم) ثلاث مرات ، جمع الملكية

---

(١) شرح ابن عقيل ص ٢٣٤ (٢) الأعراف ٣١

(٣) الأنفال ٢٥ ، مكاء : صفيرا . تصدية : تصفيق

(٤) النجم ١٣ ، ١٤ (٥) التكوير ١٩ ، ٢٠ (٦) البقرة ٧٩

للمتكلمين (عندنا) خمس عشرة مرة، الغـائب (عنده) أربعين مرة ، الملكية للمفرد (عندى) ست مرات .

فاضافتها إلى الاسم الظاهر أكثر استعمالا من إضافتها إلى الضمائر .

أما (لدن) فظرف مبنى على السكون فى محل نصب . وقد وردت فى القرآن ثمانى عشرة مرة مضافة إلى الاسم الظاهر مرتين، وهو اسم الله (الحكيم). وهما: (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)(١)

(وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم)(٢)

أما الضمائر (لدنك ، لدنا ، لدنه) فكلها تعود إلى المولى جل وعلا. وأضيفت إلى ضمير المتكلم مرة واحدة فى قوله تعالى (قد بلغت من لدنى عذرا) (٣) على لسان موسى عليه السلام .

ومن الاستعمال القرآنى يتبين أنها أخص من (عند) تقول : هذا القـول عندى صواب ، ولا تقول : هو لدنى صواب (٤) وتقول : عنـدى مال عظيم والمال غائب عنك ، ولدن لما يليك لاغير (٥) .

و(لدن) حرف يخفض ، وربما نصب بها ، وتنصب غدوة خاصة :

مازال مهرى مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب (٦)

---

(١) هود ١ (٢) النمل ٦ (٣) الكهف ٧٦ وفيها قراءات أجودها تشديد النون (٥،٤) لسان العرب ٢٦٨/١٧

(٦) لسان العرب ٢٦٨/١٧ والشاهد : نصب (غدوة) بعد (لدن) ، وقد يستشهد بعبارة (مزجر الكلب) على إنابة المصدر عن ظرف المكان . أوضح المسالك ص ١٢٠

ونحن نلحظ فى البيت أن (لدن) بمعنى ، من عند ... إلى ... ، إذا اتصل مابين الشيئين .

وفى حديث الصدقة ، عليها جنتان من حديد من لدن ثديهما إلى تراقيهما ، (١) ويعقب ابن الأثير (٥٤٤ — ٦٠٦ هـ) بقوله ، لدن ظرف مكان بمعنى عند إلا أنه أقرب مكانا من عند وأخص منه فإن (عند) تقع على المكان وغيره ، (٢)

أما (لدى) فهى أيضا ظرف زمان أو مكان منصوب بفتحة مقدرة منع عن ظهورها التعذر ، وهى تقرب عـدد مرات من (لدن) فى الاستعمال القرآنى إذ وردت اثنتين وعشرين مرة.

وهى تفترق من (لدن) فى الاستعمال القرآنى فى أن (لدن) مجرورة بـ (من) فى كل المرات ، أما (لدى) فجرها ممتنع .

وتفترق عن (عند) فى أن (عند) تكون ظرفا للاعيان والمعانى ، ويمتنع ذلك فى (لدى) (٣) .

وقد وردت مضافة إلى ضمير المتكلم (لدى) يعود على لفظ الجلالة ثلاث مرات : (إنى لا يخاف لدى المرسلون)(٤) .

(قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) (٥) .

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢٤٦/٤

(٢) تقول: لى عند فلان مال أى فى ذمته، ولا يقال ذلك فى (لدن). النهاية ٢٤٦/٤، لسان العرب ٢٦٩/١٧

(٣) مغنى اللبيب ١٥٧/١ (٤) النمل ١٠ (٥) ق ٢٨ ، ٢٩

و(لدينا) يعود على لفظ الجلالة ست مرات منها :

(ولدينا كتاب ينطق بالحق) (١)

(وإن كل لما جميع لدينا محضرون) (٢)

(وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) (٣)

أما (لديهم) فوردت سبع مرات منها :

(كل حزب بما لديهم فرحون) (٤)

وأضيفت إلى الاسم الظاهر مرتين نحو :

(وألفيا سيدها لدى الباب) (٥)

الطالب : فى قوله تعالى (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) (٦) يذكر ابن هشام : ولو جىء بـ (عند) فيهما أو بـ (لدن) لصح ، ولكن ترك دفعا للتكرار (٧) .

الأستاذ : إن فى قوله تعالى « وعلمناه من لدنا علما » إشارة — فى نظرنا — إلى أن مصدر العلم هو الله — جل شأنه — ويقوم العبد بكسبه ، إذ أن (من لدن) ابتداء غاية .

الطالب : إن ابن هشام أشار إلى محل الابتداء . ولكنه لم يلتفت إلى هذه النكتة البلاغية فى الآية . يقول : وإنما حسن تكرار «لدى» فى (وما كنت لديهم

(١) المؤمنون ٦٢ (٢) يس ٣٢ وأيضا ٥٣
(٣) الزخرف ٤ (٤) الروم ٣٢
(٥) يوسف ٢٥ (٦) الكهف ٦٥
(٧) مغنى اللبيب ١/١٥٦

إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) (١) لتباعد ما بينهما ، ولا تصلح (لدن) هنا لأنه ليس محل ابتداء (٢) .

الأستاذ : إن التكرار فى الآية لم يحسن لتباعد ما بينهما فقط ، وإنما لعطف جملة على جملة بالألفاظ نفسها لتوحى بشىء من التوكيد ، فيكون إنباء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالغيب مما يعرفه أصحاب الدين قبل الإسلام معجزة لنبي الإسلام.

الطالب : إن فى قول النحاة (لدن) محل ابتداء يستثيرنى لسؤال : كلمة (أول) هل تعرب ظرفا ؟

الأستاذ : فى نحو قوله تعالى (ولا تكونوا أول كافر به) (٣) .

تعرب خبر (تكونوا) منصوب وعلامة النصب الفتحة الظاهرة .

وفى قوله تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) (٤) تعرب ظرف زمان وقد ورد تعبير (أول مرة) فى القرآن تسع مرات . منصوبة فإذا لم تكن مضافة نونت كقوله : حضرت أولا .

الطالب : وإذا قلت « ذات مرة » ؟

الأستاذ : «ذات» تضاف إلى بعض الأزمان فتعرب ظرف زمان ، ومثلها ذا تقول : قابلته ذا صباح ، ذات غداة ، ذا عشاء ، ذات ليلة .

الطالب : (مكملا) ذات سنة ، ذات شهر .

الأستاذ : لقد نص المعجميون على أن «ذا أكلته» لا يقال (٥) فالمسألة فيها سماعية فيما يبدو .

(١) آل عمران ٤٤ (٢) مغنى اللبيب ١/١٥٦
(٣) البقرة ٤١ (٤) الأنعام ٩٣
(٥) مثلا : مختار الصحاح ص ٢٢٥ . ط الأميرية ببولاق ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م

الطالب : ذات اليمين وذات الشمال .. هذه تعرب ظرف مكان (١) .

الأستاذ : إن النظر إلى معنى الظرفية (المكان والزمان) وتقدير (فى) معيار صالح لإعراب الكلمة ظرفا (أو مفعولا فيه) ، وأسماء المكان لا ينتصب منها على الظرفية إلا ما كان مبهما ، وهو أنواع ثلاثة : ١ — أسماء الجهات الست وما أشبهها (فوق ، تحت ، أمام ، وراء ، يمينا ، شمالا . وما يرادفها : أعلى ، أسفل ، قدام ، خلف ، يسارا) .

٢ — أسماء مقادير المساحات : ميل ، فرسخ (٢) ، متر ...

٣ — المصوغ من مصدر الفعل كـ (مجلس) إذا أردت مكان الجلوس .

وفى الشاهد: (٣)

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين قالا خيمتى أم معبد

قالا بمعنى : نزلا وقت القيلولة نصب (خيمتى) على الظرفية أو على نزع الخافض (أى حذف حرف الجر « فى »).

ومن الظروف المبهمة (بين) ، وقد يوصل بالألف إشباعا للفتحة فيقال (بينا) فتكون ظرف زمان يضاف إلى الجمل أو إلى المصدر ، أو لا تقع إلا للمفاجأة ، يقول الشاعر (٤)

---

(١) الكتاب ١/٤٠٤

(٢) الفرسخ ثلاثة أميال ، الميل ، ١٧٦٠ ياردة ، ياردة ٣٢/٣٥ من المتر

(٣) نأخذ على مؤلف «دراسات فى علم النحو» ص ٢٦٢ نسبة الشاهد إلى شاعر من الجن . وكثير من الشواهد مما يجهل قائله .

(٤) نسب إلى المخلب الهلالى

فبيناه يشرى رحله قال قائل لمن جمل رخو الملاط ذلول (١)

ويقول أبو ذؤيب : بينا تعنقه الكماة وروغه (٢) .

وكذلك (نحو) بمعنى فى اتجاه تعرب ظرف مكان ؛ تقول : غدوت نحو البيت .

ظروف لها استعمالات خاصة

وتعرب ظروفا (إذ) و (إذما) و (إذا) كذلك و (لما) و (قط) و(عوض) و (مذ) و (منذ) و (حيث) و (ريث) و(وسط) و (أمس) و (قبل) و (بعد)

١ — (إذ) قد تكون اسما للزمن الماضى ، وفى القرآن :

(.. نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا) (٣) . إذ : ظرف لما مضى من الزمن ، مبنى على السكون فى محل نصب .

وشبه الجملة متعلق بالفعل (نصر) . وقد تقع (إذ) مضافا إليها اسم زمان صالح للاستغناء عنه (٤) نحو (يومئذ) ، (ساعتئذ) ، (حينئذ) ...

وتكون (إذ) اسما للزمن المستقبل (٥) نحو (.. فسوف يعلمون إذ الأغلال فى أعناقهم) (٦) .

---

(١) فى رواية : « نجيب » ، والملاط : ما ولى العضد من الجنب ، ويقال للعضدين: ابنا ملاط . بكسر الميم . والمعنى : بينما هو يبيع رحل جمله الذى ضل منه وجد من يعرفه ليرده إلى صاحبه .

(٢) الشاهد إضافة (بينا) إلى المصدر ، وإذا ولى لفظة (بينا) المصدر فالأجود الجر . الخزانة ٥/٢٥٨ . إما إذا وليها الاسم العلم رفعت . تقول : بينا زيد — بالرفع — قائم جاء عمرو .

(٣) التوبة ٤٠ (٤) مغنى اللبيب ١/٨٠

(٥) مغنى اللبيب ١/٨١ (٦) غافر ٧٠ ، ٧١

وتكون (إذ) بعد (بينا أو بينما) فتفيد المفاجأة :

* فبينما العسر إذ دارت مياسير (١) *

بينما : ظرف زمان مبنى على السكون فى محل نصب .

العسر : مبتدأ مرفوع . حذف خبره تقديره : موجود أو كائن .

إذ : ظرف ، عاملها الفعل الذى بعدها ، لأنها غير مضافة إليه (٢) .

دارت : فعل ماض ، والتاء للتأنيث ، مياسير : فاعل مرفوع .

٢ — (إذا) : اسم يدل على زمان مستقبل ، والدليل على أنها اسم وقوعها موقع قولك : آتيك يوم يقدم فلان ، وهى ظرف وفيها مجازاة (٣) .

ولم يقع الخبر معها فى التنزيل إلا مصرحا به (٤) نحو قوله تعالى : (فإذا هى شاخصة) (٥) ، (فإذا هم خامدون) (٦) .

وقالت العـــرب : « قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعا من الزنبور فإذا هو هى » .

وقالوا أيضا : « فإذا هو إياها » ، وهذا هو الوجه الذى أنكره سيبويه لما سأله الكسائى حينما قدم على البرامكة فى مجلس يحيي بن خالد ، فقال الكسائى : العرب ترفع كل ذلك وتنصب ، تقول : « خرجت فإذا عبد الله القائم — بالرفع أو القائم — بالنصب .

وربما نصبوا على الحال بعد أن رفعوا مابعد (إذا) على الابتداء ، فيقولون

(١) مغنى اللبيب ٨٣/١
(٢) مغنى اللبيب ٨٣/١
(٣) مختار الصحاح : إذا
(٤) مغنى اللبيب ٨٧/١
(٥) الأنبياء ٩٧
(٦) يس ٢٩

« فإذا زيد جالسا (١) » والمعنى : فإذا زيد فوجئت به جالسا .

والقول عندى أن مايستغنى عن التقدير أولى بالقول : وأستحسن لذلك مذهب ابن هشام فى « فإذا هو هى » إذ عقب بقوله : هذا هو وجه الكلام مثل (ونزع يده فإذا هى بيضاء) (٢) ، (فألقاها فإذا هى حية) (٣) وأما (فإذا هو إياها) إن ثبت فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء كالجزم بـ (لن) ، والنصب بـ (لم) ، والجر بـ (لعل) وسيبويه وأصحابه لايلتفتون لمثـــل ذلك وإن تكلم بعض العرب به (٤) .

٣ — (لما) : ظرف زمان مبنى على السكون فى محل نصب ، وإضافته إلى الجملة واجب عنـــد من قال باسميتها (٥) يقول الله (فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه) (٦) .

٤ — (قَطُّ) : بفتح القاف وتشديد الطاء مضمومة ، وتختص بالنفى .

تقول : مافعلته قط أى فيما انقطع من عمرى ، وبنيت لتضمنها معنى (مذ) و (إلى) إذ المعنى مذ أن خلقت إلى الآن . وإعرابها : ظرف زمان لاستغراق مامضى ، مبنى على الضم فى محل نصب (٧) .

٥ — (عوض) : ظرف لاستغراق المستقبل ، يختص بالنفى ، ومبنى على الحركات الثلاث . تقول : عوض لاأفارقك . أى لا أفارقك أبدا (٨) .

(١) مغنى اللبيب ٩٠/١
(٢) الشعراء ٣٣
(٣) طه ٢٠
(٤) مغنى اللبيب ٩١/١
(٥) مغنى اللبيب ٤١٩/٢
(٦) يوسف ٩٦
(٧) وتأتى بمعنى حسب . مغنى اللبيب ١٧٥/١ ، النهاية ٧٨/٤
(٨) لايجوز أن تقول : عوض مافارقتك لأنه للمستقبل .

وهو بمعنى قسم . يقال : عوض لا أفعله يحلف بالدهر ، لهذا فيما نرى ساغ بناؤه على الكسر (١) .

ومن كلامهم : لا أفعله عوض العائضين ، ولا دهر الداهرين (٢) ، فيعرب إن أضيف (٣) .

وسمي الدهر عوضا لأنه كلما مضى جزء منـــه خلفه جزء آخر يكون عوضا منه (٤) .

وفي الحديث « فلما أحل الله ذلك للمسلمين — أي الجزية — عرفوا أنهم قد عاضهم أفضل مما خافوا (٥)

٦ — (مذ ومنذ) : مذ - مركبة من (من) و (ذو) الطائية (٦)

حرفا جر بمعنى (من) إن كان الزمان ماضيا ، وبمعنى (في) إن كان حاضرا (٧) ويصلح أن يكونا اسمين فترفع مابعدهما على التاريخ أو على التوقيت . نحو : ما رأيته مذ يوم الجمعة . أي أول انقطاع الرؤية يوم الجمعـــة . ما رأيته مذ سنة — بالرفع — أي أمـــد ذلك سنة (٨) فهما ظرفان مخبر بها عما بعدهما (٩) ،

(٢،١) قال الأزهري : تفتح وتضم ،ولم يذكر الحركة الثالثة.لسان العرب ٩/٥٦

(٤،٣) مغني اللبيب ١/١٥٠ ، لسان العرب ٩/٥٧

(٥)عضت فلانا ، وأعضته إذا أعطيته بدل ماذهب منه. النهاية ٣/٣٢٠ وتعرب كلمة (بدل) ظرف مكان منصوب ، وعلامة النصب الفتحة الظاهرة

(٦) مغني اللبيب ١/٣٣٥

(٧) تقول : مارأيته مذ الليلة .. تحرير النحو العربي ص ١٦٣

(٨) مختار الصحاح : م ن ذ . (٩) مغني اللبيب ١/٣٣٥

بعبارة أخرى : مبتدآن وما بعدهما خبر (١) .

يقول ابن هشام : وأصل (مذ) منذ بدليل رجوعهم إلى ضم ذال (مذ) عند ملاقاة الساكن نحو : مذ اليوم ، ولأن بعضهم يقول : مذ زمن طويل فيضم مع عدم الساكن (٢) .

٧ — (حيث) ظرف مبني على الضم ، وقد اقتصرت (لجنة تحرير النحو العربي) على قولها : اسم زمان (٣) ، واقتصر مؤلف (التطبيق النحوي) على مايدل من أمثلته على أنها ظرف مكان (٤) . وفي القاموس (حيث) كلمة دالة على المكان كـ (حين) في الزمان (٥)

ويقال : « فلا تحيث ولاتحيير » . وليس إلا وجه العزيز ، (٦) يقصد تنزيه الله عن المكانية .

ويضاف (حيث) إلى الجملة غالبا (٧) ، وقد يضاف إلى المفـــرد كقوله : أما ترى حيث سهيل طالعا .

وقد وردت في القرآن إحدى وثلاثين مرة ظرف مـكان أو زمان ، وتتصل بها (ما) الكافة فيشترط بها ، وتجزم فعلين . يقول الله :

---

(١) مغني اللبيب ١/٣٣٥ (٢) مغني اللبيب ١/٣٣٦

(٣) تحرير النحو العربي ص ١٣٠

(٤) التطبيق النحوي ص ٢٤٩ وما بعدها

(٥) القاموس المحيط ١/١٦٥

(٦) الجويني (ت ٤٧٨ هـ) : غياث الأمم ص ٣ . ط. السفير بالاسكندرية سنة ١٩٧٩ ، تحقيق : د.مصطفى حلمي وآخر .

(٧) ذكر ابن هشام أن إضافتها إلى الجملة لازمة . مغني اللبيب ٢/٤٢٠

(.. فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره)(١)

يقول العكبري : (وحيثما كنتم) ويجوز أن يكون شرطا وغير شرط(٢)

وقد وردت مجرورة بـ (من) في مثل قوله تعالى : (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم)(٣) ، (فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله)(٤).

وتصرفها نادر فتقع مفعولا نحو : (الله أعلم حيث يجعل رسالته)(٥) مثل (يخافون يوما)(٦) فإنهما ليسا على معنى (في) فانتصابهما على المفعول به(٧).

٨ — (ريث) :

وهي مصدر (راث) إذا أبطأ(٨) ، وعوملت معاملة أسماء الزمان في الإضافة إلى الجملة ، كما عوملت المصادر معاملة أسماء الزمان في التوقيت كقولك : « جئتك صلاة العصر »(٩). قال :

خليلي رفقا ريث أقضي لبانة ... من العرصات المذكرات عهودا(١٠).

ريث : ظرف زمان مبني على الفتح في محل نصب .

وقد تتصل به (ما) حرف زائد مبني على السكون لامحل له من الاعراب ومنه « فلم يلبث إلا ريثما .. » أي : إلا قدر ذلك(١١).

(١) البقرة ١٤٤ (٢) إملاء مامن به الرحمن ١/٦٩
(٣) البقرة ١٩١ (٤) البقرة ٢٢٢ (٥) الأنعام ١٢٤
(٦) النور ٣٧ (٧) أوضح المسالك ص ١١٩
(٨) القاموس المحيط ١/١٦٨
(٩، ١٠) مغني اللبيب ٢/٤٢١ ، أوضح المسالك ص ١١٨
العرصة — بسكون الراء — : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء
(١١) النهاية ٢/٢٨٧

٩ — (مع)

— بفتح العين ، ولغة غنم وربيعة على التسكين(١) — اسم لمكان الاصطحاب أو زمانه(٢) ، نحو : (إن الله معنا)(٣) ، جئت مع أذان العصر .

وهي تدل على الحضور والقرب نحو : (إن الله مع المتقين)(٤) ، (فلتقم طائفة منهم معك)(٥) .

وقد وردت في القرآن إحدى وستين ومائة مرة .

وتكون (مع) بمعنى (عند)(٦) كقراءة بعضهم (هذا ذكر من معي ، وذكر من قبلي)(٧) . وتقول : أخذت من معه مالا . وحكمها النصب على الظرفية إن كانت مضافة ، فإذا قطعت عن الإضافة نصبت منونة ، وتعرب حالا مثل (جميعا) . تقول : فاز محمد وأبو بكر معا ، أصيب ثلاثة رجال معا فتستعمل للاثنين وللجماعة .

وقد فرق بعض النحاة بين (معا) و (جميعا) فقال ثعلب : « إذا قلت « جاءا جميعا » احتمل أن فعلهما في وقت واحد أو في وقتين ، وإذا قلت « جاءا معا » فالوقت واحد » ، ويعقب ابن هشام بقوله : وفيه نظر وقد عادل بينهما من قال :

كنت ويحيى كيدي واحد ... نرمي جميعا ونرامي معا(٨)

والذي نراه أن (جميعا) تعني عدم تخلف أحدهما بصرف النظر عن اتفاق الزمان والمكان .

(١) مغني اللبيب ١/٣٣٣ (٢) تحرير النحو العربي ص ١٣٢
(٣) التوبة ٤٠ (٤) التوبة ١٢٣ (٥) النساء ١٠٢
(٦) القاموس المحيط ٣/٨٥
(٧) الأنبياء ٢٤ بتنوين (ذكر) ، (من) : حرف جر . يقول العكبري والتقدير : هذا ذكر من كتاب معي ، ومن كتاب قبلي ، ونحو ذلك فحذف الموصوف . إملاء مامن به الرحمن ٢/٣٢ (٨) مغني اللبيب ١/٣٣٤

أما (معا) فوراءها معنى الزمان أو المكان ، فقد صح عندنا قول ثعلب(١) ولعله يزيد دقة إذا قال ، .. فالوقت واحد ، أو قريب منه ، وذلك فى مثاله : جاءا معـا .

١٠ — (وسط) — بسكون السين — ظرف زمان أو مكان متصرف نحو : لقى مصرعه وسط النهار . جلس الرئيس وسط القـــوم .

وتقول : جلست فى وسط الدار — بالتحريك — لأنه اسم .

وكل موضع يصلح فيه (بين) فهو وسط — بالتسكين — وإن لم يصلح فيه (بين) فهو وسط — بالتحريك(٢)

١١ — (أمس) ظرف زمان مبنى على الكسر إن دل على اليوم الذى يليه اليوم الذى أنت فيه ، ويتجرد من أل . يقول : قابلته أمس .

ويعرب إذا كان نكرة ومضافا ومعرفا باللام نحو : كل غـــد صائر أمسا ، ومضى أمسنا ، وذهب الأمس المبارك(٣) . وفى حالة التعريف بـ (أل) يدل على يوم قبل يومك من غـــير تعيين . وقد ورد فى القرآن الكريم أربع مرات لمطلق الزمن الذى مضى ، مجرورا بحرف البــاء ، ثلاثة منها فى سورة القصص ، والرابعة فى سورة يونس يقول الله :

(١) هو أحمد بن يحيى زيد مولى بنى شيبان ، توفى ببغداد سنة ٢٩١ هـ

(٢) مختار الصحاح : وس ط .
والوسط — بالتحريك — من كل شىء أعدله كما فى قوله تعالى (وكذلك جعلنا كم أمة وسطا) . وشىء وسط : بين الجيد والردىء ، ويقال أيضا بين بين منصوبة الجزءين .

(٣) وفى ضرورة الشعر : مذ أمس — بالفتح ، مختار الصحاح : أ م س .

(.. يترقب فإذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه ..)(١)

(أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس)(٢) .

١٢ ، ١٣ — (قبل وبعد) : (قبل) ضد (بعد) وكلاهما ظرف متصرف(٣) يكونان مضافين وقد يقطعان عن الاضافة(٤) وقـــد وردا فى القرآن الكريم مجرورين بـ (من) كما فى قوله تعالى :

(كذلك قال الذين من قبلهم)(٥)

(ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه)(٦)

وفى قوله تعالى : (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل)(٧) بضم (قبـل) لقطعها عن الإضافة ظرف زمان .

(لله الأمر من قبل ومن بعد)(٨)

(ليس عليهم ولا عليهن جناح بعدهن)(٩) ظرف زمان منصوب بالفتحة مضاف إلى الضمير .

وتقول : منزلى بعد منزله أو مكتبى قبل مكتبكم فتعربان ظرف مكان .

صفوة القول أن (قبل) و (بعد) إذا قطعت من الإضافة لفظا ومعنى كان

(١) القصص ١٨ (٢) القصص ١٩

(٣) أوضح المسالك ص ١٢٠

(٤) تحرير النحو العربى ص ١٢٩ ، وفى شذور الذهب ، يقطعان عن الاضافة (لفظا) لا معنى ص ١٠٣ (٥) البقرة ١١٨

(٦) البقرة ٢٧ (٧) البقرة ٢٥ (٨) الروم ٤

(٩) النور ٥٨ والضمير فى الآية يعود إلى أوقات ، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء)

حكمها البناء على الضم ؛ فإذا أردت الإضافة أعربتها ، وذلك كقولك : « ابدأ بذا أولا » إذا أردت ابدأ به متقدما ، ولم تتعرض للتقدم على ماذا (١) والشواهد :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا ... أكاد أغص بالماء الفرات

ونحن قتلنا الأسد أسد خفية ... فما شربوا بعدا على لذة خمرا

فـ (قبلا و (بعدا) بالنصب مع التنوين لأن الشاعر قطع هذه الكلمة عن الإضافة فى اللفظ ، ولم ينو المضاف إليه لا لفظه ولا معناه (٢).

وقرىء (لله الأمر من قبل ومن بعد) بالخفض والتنوين على إرادة التنكير وقطع النظر عن المضاف إليه ، وفى قراءة شاذة قرأ الجحدرى (٣) والعقيلى بالجر من غير تنوين على إرادة المضاف إليه وتقدير وجوده (٤).

النائب عن الظرف : ثمة كلمات تنوب عن الظرف فى دلالتها الزمنية أو المكانية ، وتعرب بالنصب على الظرفية ؛ فقولهم : لقيته صكة عمي . أى فى الهاجرة (٥) ، تعرب « صكة » ظرف زمان منصوب وعلامة النصب الفاتحة ، وهى مضاف ...

ولذا حينما عرف النحاة الظرف قالوا : ماضمن معنى (فى) باطراد من اسم

---

(١) شرح شذور الذهب ص ١٠٤ . ونرى عدم الدقة فى تعبير بعض المحدثين أن (بعد) ظرف زمان معرب ملازم للاضافة . التطبيق النحوى ص ٢٤٨ .

(٢) محمد محيي الدين عبد الحميد : منتهى الأرب ص ١٠٥ . ط . السعادة . القاهرة ١٣٧٦ هـ

(٣) هو عاصم أحد القراء السبعة (٤) شذور الذهب ص١٠٦

(٥) النهاية ٤٣/٣ ، ٣٠٥ ولا يقال إلا فى شدة الحر لأن الإنسان إذا خرج وقتئذ لم يقدر أن يملأ عينيه من ضوء الشمس .

وقت أو اسم مكان أو اسم عرضت دلالته على أحدهما أو جار مجراه ، والذى عرضت دلالته على أحدهما أربعة :

١ — أسماء العدد المميزة بهما : كـ (سرت عشرين يوما ثلاثين فرسخا)(١)

وتعبير أسماء العدد المميزة باسم زمان أو اسم مكان أدق من تعبير بعض المحدثين « العدد المضاف إلى الظرف » (٢) فإذا كان العدد مضافا إلى الظرف فى قوله تعالى (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما)(٣) وتعرب ألف : ظرف زمان منصوب ، وهو مضاف ، فإن العدد ليس مضافا - بالاصطلاح النحوى - فى العدد من ١١ — ٩٩ .

٢ — ما أفيد به كلية أحدهما أو جزئيته نحو : سرت نصف اليوم بعض الفرسخ (٤) ، أو مثل فرسخ ، ونحو : انتظرتك أى وقت تحب .

٣ — ما كان صفة لأحدهما : كـ (جلست طويلا من الدهر شرق الدار)(٥)

٤ — المصدر فى نحو قولك : انتظرتك قدوم الحاج ، جلست قرب زيد أى مكان قربه (٦).

وتستعمل بعض الظروف لمعنى فوق الزمان والمكان بل إن كلمة (مكانك)

---

(١) أوضح المسالك ص ١١٨

(٢) التطبيق النحوى ص٢٤٦ (٣) العنكبوت ١٤

(٤) فـ (نصف) ظرف زمان ، بعض : ظرف مكان ، وكذلك (مثل) ظرف مكان ، و (أى) ظرف زمان .

(٥) طويلا : ظرف زمان ، وقد حسن عندنا أن يذكر ابن هشام عبارة « من الدهر » أوضح المسالك ص١١٨ لكيلا يلتبس المعنى بما ينوب عن المفعول المطلق

(٦) أوضح المسالك ص ١١٨ ، باختصار .

من الممكن أن نتصور ما توحى به من تهديد يشل حركة الإنسان فى الزمان والمكان عندما ترد فى سياق معين .

وفى القرآن الكريم : (مكانكم أنتم وشركاؤكم) (١)

وفى عصرنا استعمل الظرف « حولك » للتحذير من كثرة السكان وتقول : « عندك » أو « بين يديك » بمعنى خذ بيسر ، فهى اسم فعل أمر (٢).

٣ - المفعول به

يطلق الكوفيون وبعض البصريين اصطلاح المفعول على « المفعول به » وحده، ولا يسمون غيره بالمفعول ، وإنما مشبه بالمفعول (٣). وعلى هذا المصطلح جرت لجنة تحرير النحو العربى فى عصرنا فذكرت فى باب (المكملات) التكملة لبيان الزمان أو المكان على ما تطلق عليه المفعول فيه، والتكملة لبيان السبب على ما تطلق عليه « المفعول لأجله » ، وهكذا عندها « التكملة لتوكيد الفعل أو بيان نوعه أو عدده» أى المفعول المطلق ، أما المفعول به فهو عندها « التكملة لبيان المفعول (٤)، وهى تكملة للمسند وهو (الفعل) ، والمسند إليه (أى الفاعل) فى الجملة لبيان ما وقع عليه الفعل.

---

(١) يونس ٢٨

(٢) ثمة تسعة من الظروف تناولها النحاة تحت عنوان « أسماء الأفعال » هى : أمام - بعد - بين - خلف - عند - لدى - مكان - وراء - دون . يراجع بحث زميلنا د. محمد جبر - أسماء الأفعال وأسماء الأصوات ص ١٥٤ ط. السفير بالاسكندرية سنة ١٩٨٠ وبحثنا « أساليب النفى فى القرآن » حديثنا عن « دون » .

(٣) شرح التصريح ١/٣٣٣

(٤) تحرير النحو العربى ص ١٢٥ وما بعدها .

ولهذا يعرب مفعولا به التكملة التى تصح إجابة عن (ماذا) أو (من ذا)؟ والفعل الذى يسأل عن تكملته بهما يسمى فعلا متعديا ، وغيره يسمى لازما (١).

ففى قوله تعالى : (.. قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) (٢) نجد الأفعال : يدعوك — نصب مفعولا به واحدا هو الضمير (الكاف) .

يجزى — نصب مفعولين : الضمير (الكاف) ، (أجر).

نجا — لم ينصب مفعولا .

فالفعلان الأول والثانى متعديان إلى مفعول واحد واثنين ، وثمة ما يتعدى إلى ثلاثة (٣).

أما الفعل (نجا) فقد لزم عمله رفع الفاعل لم يتعده إلى غيره بصيغته هذه (٤)

---

(١) تحرير النحو العربى ص ١٣٤ (٢) القصص ٢٥

(٣) وهى: أعلم ، أرى ، نبأ ، أنبأ ، حدث ، خبر ، أخبر .
نحو : أعلمت طارقا محمدا فائزا .

(٤) شاعت تسميته باللازم ، ويسمى أيضا الفعل « القاصر » ، لأنه لا يصل إلى المفعول إلا بحرف الجر ، وقد يحذف حرف الجر فيصل إليه الفعل بنفسه توسعا، وهو الذى يسمى منصوبا على إسقاط الخافض ، كما فى الشواهد :

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكم على إذن حرام

أى تمرون على الديار

إذا قيل أى الناس شر قبيلة أشارت كليب بالأكف الأصابع

بجر (كليب) أى إلى كليب .

حاشية يس العليمى ١/٣١٠ ، شرح ابن عقيل ص ٢٠٩ ، أوضح المسالك ص ١٠٦ ، شرح التصريح ١/٣١٢

فإذا أردت تعديته : (أ) فبزيادة همزة فى أوله : أنجاه .

(ب) بتضعيف عينه : نجاه

والتعدية بالهمزة أو بالتضعيف سماعية .

والمفعول به يكون اسما ظاهرا (اسما صريحا أو مصدرا مؤولا) أو ضميرا متصلا أو منفصلا (١)

والمفعول الثانى فى (ظن وأخواتها) يكون مفردا ، أو ظرفا ، أو جارا ومجرورا ، أو جملة فعلية (٢).

وقد ينوب المصدر عن الفعل فى نصب المفعول به كما فى قوله تعالى :
(.. وأكلهم السحت) (٣) المصدر مضاف إلى الفاعل ، والسحت : مفعوله (٤)
وكذلك اسم الفاعل واسم المفعول .

وقد يحذف المفعول به كما فى قوله تعالى (.. لأكلوا من فوقهم)(٥) أى رزقا كائنا من فوقهم (٦) . ويقع الحذف على المفعول به والمفعولين اللذين ليس أصلها المبتدأ والخبر لأنه « تكملة » أو فضلة - بتعبير قدامى النحاة(٧)، يفهم المعنى بدونه .

---

(١) ثمة فرق بلاغى بين اتصال الضمير بالفعل أو انفصاله وهو مفعول به فى الحالين . فـ (أعبدك) غير (إياك نعبد) ... فى الأخيرة خصوصية العبادة لله دل عليها انفصال الضمير وتقديمه .

(٢) يراجع باب (ظن وأخواتها) فى دراستنا هذه ص ٦٥

(٣) المائدة ٦٣ (٤) إملاء مامن به الرحمن ١/٢٢١

(٥) المائدة ٦٦ (٦) إملاء مامن به الرحمن ١/٢٢١

(٧) « الفضلة » خلاف « العمدة » الذى لا يمكن الاستغناء عنه كالفاعل .

وفى قوله : « لا تخف » ، حذف المفعول أى لا تخف شيئا .. ظلما أو غيره .

وقد يحذف ناصب المفعول به وفى ذلك تقول الألفية :

وحذف فضلة أجز إن لم يضر   كحذف ماسيق جوابا أو حصر (١)

ويحذف الناصبها إن علما   وقد يكون حذفه ملتزما (٢)

أسلوب الاختصاص :

من أساليب العرب فى القول ما تقصد به الاختصاص للفخر أو التواضع فعلى سبيل الافتخار قول حميد بن حريث بن بحدل :

أنا سيف العشيرة فاعرفونى   حميدا قد تذريت السناما

(حميدا) منصوب على المدح(٣)   ويقول الشاعر :

أبى الله إلا أننا آل خندف   بنا يسمع الصوت الأنام ويبصر (٤)

---

(١) أى لا يجوز حذف المفعول به إذا كان جوابا عن استفهام نحو : من كافأت ؟ فتجيب : كافأت عليا ، ومثال الحصر قولك : ما كرهت منه إلا النفاق .. فلا يحذف المفعول به بعد (إلا) .. وما أشبه هذين المثالين .

(٢) يقال : من ضربت ؟ فتقول : زيدا ، التقدير — ضربت زيدا ، فحذف الفعل جائز لدلالة ماقبله عليه ، وقد يكون حذف الفعل واجبا نحو : زيدا ضربته التقدير - ضربت زيدا ضربته فحذف (ضربت) وجوبا .. شرح ابن عقيل ص ٢١٢

(٣) يقول البغدادى : « كأنه قال : فاعرفونى مشهورا ، وأناب قوله (حميدا) مناب قوله « مشهورا » لكونه علما » . خزانة الأدب ٥/٢٤٣ ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م

(٤) شرح المفصل ٢/١٨

فـ (آل خندف) هم ضمير المتكلمين فى (أننا)

وتقول : نحن — معشر الشباب — مثال لنهضة بلادنا . بنصب (معشر) مضمرا فعل « أختص » .

وتقول : بك الله — بالنصب — نرجو الفضل (١)

وعلى سبيل التواضع قول امرأة : إنى - أيتها المذنبة - فقيرة إلى عفو ربى (٢)

فقد جرى هذا الأسلوب مجرى النداء ، وإن لم يكن نداء على الحقيقة « وذلك من قبل أنه منصوب بفعل مضمر غير مستعمل إظهاره ولا يكون إلا للمتكلم والمخاطب ، وهما حاضران ولا يكون لغائب . والذى يدل على أنه ليس بنداء أن الاسم المفرد الذى يقع فيه لا يبنى على الضم كما يبنى الاسم المفرد فى النداء على الضم نحو يازيد ... (٣) ، كما أن الاسم المنصوب بالاختصاص لا يقع فى أول الكلام (٤) ، بل فى أثنائه .

وقد يسبق المخصوص بـ (أيها) أو (أيتها) وفى هذه الحال يكون (أى) وصفتها مرفوعا (٥) بالابتداء ، ففى قولك : « أنا أفعل كذا أيها الرجل » ، أى أنا أفعل كذا متخصصا من بين الرجال (٦) .

(١) الكتاب ٢٣٥/٢ ، أوضح المسالك ص ٢٣٣ (٢) تحرير النحو العربى ص ١٩٦

(٣) شرح المفصل ١٨/٢ « باختصار » (٤) أوضح المسالك ص ٢٣٣

(٥) بضم (أيها) وتوصف لزوما باسم لازم الرفع محلى بـ (أل) ، ومثلها (أيتها) كما فى النداء .

(٦) شرح المفصل ١٧/٢ وما بعدها « باختصار » ، أوضح المسالك ص ٢٣٣ ، شرح المكودى ص ١٥٨ ، تحرير النحو العربى ص ١٩٦

فـ (أى) مبتدأ مرفوع وعلامة الرفع الضمة الظاهرة .

(ها) حرف تنبيه مبنى على السكون لا محل له من الإعراب .

(الرجل) صفة مرفوعة ، وعلامة الرفع الضمة الظاهرة .

وخبر المبتدأ محذوف تقديره : المراد أو المختص (١)

أسلوب التحذير :

التحذير : تنبيه المخاطب على أمر يجب الاحتراز منه (٢) .

صور التحذير :

١ — أن يذكر المحذر منه تاليا لكلمة (إياك) معطوفا أو مجرورا بـ (من) أو مصدرا مؤولا . نحو :

إياك والفتنة . أو إياك من الفتنة . أو إياك أن تثير فتنة . وقد ورد بغير (واو) فى ضرورة الشعر (٣) .

فإياك إياك المراء فإنه ... إلى الشر دعاء وللشر جالب

٢ — أن يذكر المحذر منه مكررا أو مفردا . نحو :

الطفل الطفل . العبث — بالنصب .

(١) ذكر مؤلف « التطبيق النحوى » فى إعراب (أى) أنها مفعول به مبنى على الضم فى محل نصب ، ثم قال فى الحاشية : « هذا الإعراب فيه إشكال ؛ فالصفة تتبع موصوفها ، والموصوف هنا مبنى فى محل نصب ، فعلى أى أساس كان الرفع ؟ ص ٢٢٠ ونحسب أن الإعراب الذى نورده يرفع الإشكال .

(٢) شرح ابن عقيل ص ٤٢٤ ، المكودى ص ١٥٩ يقال نبهه على الشىء : وقفه عليه .

(٣) شرح المفصل ٢٥/٢

فإذا كرروا منه الأسماء لم يجز ظهور الأفعال العوامل فيهما ، ولو أفردت جاز ظهور العامل (١). نحو الطريق أو خل الطريق .

٣ — أن يذكر المحذر منه معطوفا عليه : نحو :

الكذب والغش ، الغدر وقتل النفس.

والفعل المحذوف فى أسلوب التحذير هو (احذر) أو ما فى معناه . والمحذر منه مفعول به منصوب .

وإذا كرر الاسم أعرب المكرر توكيدا لفظيا ، وكذا الضمير المنفصل (إيا).

وإعراب (إياك) وأخواتها : إياكما ، إياكم ... مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب ، وحرف الخطاب مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفعله محذوف وجوبا تقديره : احذر ، والفاعل مستتر وجوبا تقديره (أنا) .

أسلوب الاغراء :

الإغراء : حث المخاطب على لزوم ما يحمد عليه (٢) .

صور الإغراء :

(هى نفسها صور التحذير فيما عدا استعمال « إيا ») (٣) .

١ — أن يذكر المغرى به معطوفا عليه . نحو :

المروءة والعدل — ينصبها .

٢ — أن يذكر المغرى به مكررا . نحو :

الصلاة الصلاة ، الأمانة الأمانة .

---

(١) شرح المفصل ٢٩/٢

(٢) وهو من « الغراء » مادة لاصقة .. يقال : سهم مغرو . إملاء ما من به الرحمن ٢١١/١

(٣) شرح المكودى ص ١٥٩

٣ — أن يذكر المغرى به مفردا . نحو :

الرحمة . النجدة

يجب حذف العامل فى العطف والتكرار فقط ، بتقدير (الزم) وإن كان المغرى به مفردا جاز إظهار العامل (١). تقول : الجد أو الزم الجد .

٣ - المفعول من أجله (السبب)

يقال : فعلت ذلك من أجلك — بفتح الهمزة وكسرها — أى من جراك .

والمفعول من أجله فى المصطلح النحوى : المصدر المنصوب لبيان علة الحدث (٢).

نحو : عمل شكرا لله .

وقد اشترط النحاة شروطا للمفعول له : المصدرية ، بيان سبب الحدث ، اتحاد الوقت ، اتحاد الفاعل (٣) .

وعندنا أن اتحاد الوقت ليس بشرط ، بل يكفى عدم ظهور المنافاة (٤) ، وفى القرآن الكريم : « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم » (٥) فالمفعول من أجله متجه أصلا إلى الآخرة (عقبى الدار) مع أن الفعل بلفظ الماضى « صبروا » .

وتقول : قبض على رأس الفتنة أمس خوفا من شرور الغد .

---

(١) أوضح المسالك ص ٢٣٤ ، شرح التصريح ١٩٥/٢ ، شرح ابن عقيل ص ٤٣٥ .

(٢) شرح الأشمونى ١٢٢/٢ «بتصرف».

(٣) شرح ابن عقيل ص ٢٢٧ «بتصرف».

(٤) شرح الأشمونى ١٢٣/٢ (٥) الرعد ٢٢

وكذلك لايشترط الاتحاد فى الفاعل كما فى قوله تعالى : « يريكم البرق خوفا وطمعا (١) » .

ويخرج باشتراط النصب مايذكره النحاة من حروف التعليل وهى : الباء ، فى ، من ، الكاف ، اللام ، حتى ، كى (٢) .

كما يخرج مايشترطونه من تنكير المصدر بالشواهد :

لا أقعد الجبن عن الهيجاء ولو توالت زمر الأعداء (٣)

* * *

فليت لى بهم قوما إذا ركبوا شدوا الإغارة فرسانا وركبانا (٤)

وقد يرد المفعول له مضافا :

واغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما (٥)

---

(١) الرعد ١٢ ، والروم ٢٤ (٢) حاشية الصبان ٢/١٢٤

من استعمالات حروف السبب : (إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) ،

فى الحديث : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ... » أى لأجل هرة .

ويقول الله : (مما خطيئاتهم أغرقوا) نوح ٢٥ ،

(واذكروه كما هداكم) البقرة ١٩٨

ومن الشعر : * من أمكم لرغبة فيكم جبر *

وتقول : أسلم حتى تدخل الجنة

(٣) أوضح المسالك ص ١١٧ ، شرح الأشمونى ٢/١٢٥ ، شرح ابن عقيل ص ٢٢٨ ، شرح المكودى ص ٧٧

(٤) مغنى اللبيب ١/١٠٤ أى تفرقوا فرسانا وركبانا لأجل الإغارة .

(٥) شرح ابن عقيل ص ٢٢٩ .

٤ — المفعول معه

المفعول معه هو الاسم المنتصب بعد (واو) بمعنى (مع) ، والناصب له الفعل قبله أو اسم يشبهه (١). نحو : جلست والجدار ، سائر والبحر ، محمد مكرم وأبا بكر ، أعجبنى سيرك والطريق ، رويدك والنساء .

وإذا كانت صيغة الفعل مما تقتضى مشاركة للفاعل نحو ، اقتتل ، تقاتل ، اختصم ، تخاصم ، اشترك ، شارك ... فما بعد الواو معطوف على ما قبلها وليس مفعولا معه نحو تصافح محمد وكريم .

يقول ابن مالك فى (الواو) العاطفة : « وكونها للمعية راجح ، وللترتيب كثير ، ولعكسه قليل (٢) .

وعندنا أن معيار التفرقة بين (الواو) العاطفة و (واو) المعية هى الرفقة أو المقارنة كما فى قوله :

فكونوا أنتم وبنى أبيكم مكان الكليتين من الطحال (٣)

وقد ينصب المفعول معه بعد (ما) و (كيف) الاستفهاميتين من غير أن يلفظ بفعل ، تقول الألفية :

وبعد (ما) استفهام أو (كيف) نصب بفعل (كون) مضمر بعض العرب

كقولهم : ما أنت وزيدا و كيف أنت وقصعة من ثريد ؟

( ) شبه الفعل هو اسم الفاعل ، اسم المفعول ، المصدر ، اسم الفعل .

(٢) استشهد ابن هشام بالقرآن الكريم للاحوال الثلاث . مغنى اللبيب ٢/٣٥٤

(٣) أوضح المسالك ص ١٢١

والتقدير : ماتكون وزيدا ؟ وكيف تكون وقصعة من ثريد ؟

فـ (زيدا) و (قصعة) منصوبان بـ (تكون) المضمرة (١). يقول أسامة بن الحارث الهذلى :

ما أنت والسير فى متلف … يبرح بالذكر الضابط (٢)

٥ المفعول المطلق

هو الاسم المنتصب توكيدا لعامله أو بيانا لنوعه أو عدده . فهو مؤكد لعامله فى نحو قوله تعالى :

(قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) (٣)

(لقد أحصاهم وعدهم عدا) (٤)

وبيان نوع المصدر يكون بوصفه أو إضافته :

أ ــ بوصفه ــ نحو : (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية) (٥)

ب ــ بإضافته ــ نحو : (وقد مكروا مكرهم …) (٦)

وبيان العدد نحو : قرأت قراءتين .

---

(١) شرح المكودى ص ٨٠

(٢) يقصد « بالذكر الضابط » الذكر من الإبل القوى . والاستفهام إنكارى . والشاهد : انتصاب « والسير » بفعل محذوف أى ماتصنع والسير .

شرح الشواهد للعينى ١٣٨/٢ ، ديوان الهذليين ١٩٥/٢ وفيه ـ « يعبر بالذكر الضابط » ، وعبر به الأمر اشتد عليه .

(٣) مريم ٧٥ (٤) مريم ٩٤ (٥) الحاقة ١٠

(٦) ابراهيم ٤٦

وأكثر مايكون المفعول المطلق مصدرا ، وقد لايكون مصدرا نحو « ضربته سوطا » (١) ، ويلفتنا فى كتب الإعراب حتى القرن السابع الهجرى عبارة « منصوب على المصدر » ، والمقصود المفعول المطلق .

يقول العكبرى (٥٣٨ ــ ٦١٦ هـ) فى الآية الكريمة (ولا تبسطها كل البسط) كل : منصوبة على المصدر لأنها مضافة إليه (٢) .

ماينوب عن المصدر :

قد ينوب عن المصدر مايدل عليه كـ (كل) و (بعض) مضافين إلى المصدر : نحو : (فلا تميلوا كل الميل) (٣) وقولنا : اطمأنت أمورهم بعض الاطمئنان .

٢ ــ المصدر المرادف لمصدر الفعل المذكور (مصدر على المعنى) :

نحو (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) (٤)

أى تقربكم قربى (٥)

وقوله : افرح الجذل ، فالجذل هو الفرح ، وليس من لفظ « افرح » لكنه فى معناه (٦) ، شنئته بغضا ، وأحببته مقة ، وقعدت جلوسا (٧) .

٣ ــ اسم الإشارة الذى ينوب مناب المصدر :

---

(١) شرح المكودى ص ٧٢ (٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٩٠

(٣) النساء ١٢٤ (٤) سبأ ٣٧

(٥) إملاء ما من به الرحمن ١٩٨/٢

(٦ و ٧) شرح المكودى ص ٧٣ ، أوضح المسالك ص ١١٣ ، شرح ابن عقيل ص ٢٢٠

كقولك : سرت ذلك السير ، ظننت ذاك أى ذاك الظن(١)

٤ ــ الضمير العائد إلى المصدر :

كقوله تعالى (... فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين)(٢) .

٥ ــ وعدده :

كقوله تعالى (فاجلدوهم ثمانين جلدة)(٣)

٦ ــ آلة الفعل :

نحو : أوثقه رباطا ، طعنه سكينا(٤) ، اغتاله رصاصة .

٧ ــ صفة المصدر :

نحو : أحبه كثيراً .

حذف عامل المصدر :

المصدر المؤكد لا يحذف عامله غالبا لأنه مسوق لتقوية عامله(٥) ، وأما غير المؤكد فقد يحذف لدليل مقالى أو حالى كأن يقال :

---

(١) شرح ابن عقيل ص ٢٢٠

(٢) المائدة ١١٥ (٣) النور ٤

(٤) أى طعنه طعنة سكين فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه .

(٥) يمتنع عند ابن مالك حذف عامل المؤكد ، ورده ابنه بأنه قد حذف جوازا فى نحو : أنت سيرا ، ووجوبا فى نحو : سقيا ورعيا .
أوضح المسالك ص ١١٤ ويراجع اعتراض ابن عقيل على ابن الناظم ص ٢٢١ وما بعدها .

ماجلست . فتقول : بلى ، جلوسا طويلا (١) .. وكقولك لمن حج : حجا مبرورا ، وتقول للضيف : ما أكلت ، فيقول : بلى ، وجبتين .

ويجب حذف عامل المصدر فى ستة مواضع :

١ ــ إذا وقع المصدر بدلا من الفعل وهو نوعان :

(أ) مالا فعل له ــ نحو : ويل زيد ، وويحه . فيقدر له فعل من معناه(٢)

(ب) ماله فعل ــ نحو : (فضرب الرقاب)(٣) وقول الشاعر :

على حين ألهى الناس جل أمورهم ... فندلا زريق المال ندل الثعالب(٤)

٢ ــ إذا وقع تفصيلا لعاقبة ما تقدمه :

نحو (فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء)(٥) .

٣ ــ أن يكون مكررا أو محصورا ، وفعله خبر عن اسم عين(٦) :

نحو : أنت سيرا سيرا فحذف الفعل (يسير) لقيام التكرير مقامه(٧)

مازيد إلا سيرا أو إنما زيد سيرا ــ وذلك لما فى الحصر من التأكيد

---

(١) أوضح المسالك ص١١٤

(٢) أوضح المسالك ص ١١٤ (٣) محمد ٤

(٤) الندل : النقل والاختلاس ، يقول : اندل يازريق ــ وهى قبيلة ــ ندل الثعالب يريد السرعة . لسان العرب ١٤/١٧٦

(٥) محمد ٤

(٦) احترز باسم العين من اسم المعنى نحو : أمرك سير فإن المصدر فيه مرفوع . شرح المكودى ص ٧٤

(٧) شرح ابن عقيل ص ٢٢٥

القائم مقام التكرير (١) .

٤ ، ٥ — أن يكون مؤكدا لنفسه أو لغيره .

وسمى مؤكدا لنفسه لأنه واقع بعد جملة هى نص فى معناه ؛ ففى قوله : له على ألف عرفا أى اعترافا — « له على ألف » هى نفس الاعتراف (٢)

واعترافا مفعول مطلق منصوب بفعل محذوف وجوبا والتقدير : اعترف اعترافا .

أما المؤكد لغيره فهو الواقع بعد جملة تحتمل معناه وغيره ، فتصير بذكره نصا فيه ، نحو : زيد ابنى حقا أى على سبيل الحقيقة وليس المجاز (٣) .

لا أفعل كذا ألبتة (٤) وكذلك بتاتا أى لقد قطعت هذا الأمر ولا رجعة فيه من البت وهو القطع (٥) .

٦ — أن يكون فعلا تشبيهيا بعد جملة مشتملة على فاعل المصدر فى المعنى :

نحو : لزيد صوت صوت حمار

فـ (صوت حمار) مصدر تشبيهى ، وهو منصوب بفعل محذوف وجوبا والتقدير : يصوت صوت حمار .

وله بكاء بكاء الثكلى

ويقول أبو كبير الهذلى يصف فرسا :

(١) شرح المكودى ص ٧٤

(٣،٢) شرح ابن عقيل ص ٢٢٥ ، المكودى ص ٧٤

(٤) أوضح المسالك ص ١١٥

(٥) مختار الصحاح : ب ت ت .

ما إن يمس الأرض إلا منكب   منه وحرف الساق طى المحمل (١)

طى : بالنصب لأن ما قبله بمنزلة : له طى (٢).

منهج المتقدمين فى درس المفعولات

نلحظ أن المفعولات الخمسة لم يتناولها النحاة القدامى بمجموعة متتابعة فعنوان سيبويه فى المفعول فيه . هذا باب ماينصب من الأماكن والوقت ، ثم يستهل الباب بقوله : وذلك لأنها ظروف تقع فيها الأشياء ، وتكون فيها (٣) ، ويكرر كلمة النصب وتعليله . كما أن العلم إذا قلت : أنت الرجل علما . عمل فيه ماقبله ، وكما عمل فى الدرهم عشرون إذا قلت : عشرون درهما . وكذلك يعمل فيها ما بعدها وما قبلها (٤) .

بعد ذلك يسوق الأمثلة ، فالمكان قولك هو خلفك ، وهو قدامك وهو تحتك وقبالتك ، وما أشبه ذلك (٥) .

ثم يقول : وزعم الخليل — رحمه الله — أن النصب جيد إذا جعله ظرفا ، وهو بمنزلة قول العرب : هو قريب منك ، وهو قريبا منك أى مكانا قريبا منك (٦) .

فعناية سيبويه انما اتجهت إلى عمل النصب ، وسار النحاة من بعده مسيرته فى

(١) ديوان الهذليين ٩٣/٢ الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م المعنى إذا اضطجع لم يمس الأرض إلا منكبه وحرف ساقه لأنه خميص البطن ، فلا يصيب بطنه الأرض ، والمحمل : محمل السيف .

(٢) أوضح المسالك ص ١١٦

(٣) الكتاب ٤٠٢/١   (٥،٤) الكتاب ٤٠٤/١

(٦) الكتاب ٤٠٩/١

العمل الإعرابى ، وإن اختلف ترتيب الأبواب اختلافا يسيرا .

ففى المفصل مثلا المفعول به ، المفعول فيه ، المفعول معه ، المفعول له .

أما شراح الألفية فكان الترتيب منهم بعد بيان تعدى الفعل ولزومه والتنازع فى العمل ، المفعول المطلق ، المفعول له ، المفعول فيه ، المفعول معه .

وإذا تجاوزنا الشكل إلى المضمون فإن لنا ملاحظات على شروح الألفية . ففى باب المتعدى واللازم من الأفعال يقول ابن عقيل :

ويتحتم اللزوم لكل فعل دال على سجية نحو : كرم ، ظرف ، أو على وزن افعلل نحو اقشعر ، اطمأن ، أو على افعنلل نحو اقعنسس ، احرنجم ، أو دل على نظافة كطهر الثوب ونظف أو على دنس كدنس الثوب ووسخ ، أو دل على عرض نحو مرض زيد وأحمد ، أو كان مطاوعا لما تعدى إلى مفعول واحد نحو مددت الحديد فامتد ، ودحرجت فتدحرج ...(١)

ونحن نأخذ على ابن عقيل عبارته « ويتحتم اللزوم » لبعض الأفعال ، فالفعل طهر ورد فى القرآن تعديه « وثيابك فطهر »(٢) ، ونظف الشىء ونظفه غيره تنظيفا (٣) وكذلك عكسها تقول وسخ الثوب — بالكسر — وأوسخه غيره (٤) . ودنس (بالكسر) : توسخ ودنسه غيره تدنيسا (٥) ومرض بالكسر وأمرضه (٦) ، مما يؤكد عندنا أن المسألة سماعية على غير

(١) شرح ابن عقيل ص ٢٠٨ وما بعدها (٢) المدثر ٤

(٣) مختار الصحاح : ن ظ ف

(٤) « « : و س خ

(٥) « « : د ن س

(٦) ومرض تمريضا : قام عليه فى مرضه : مختار الصحاح : م ر ض

ما ذهب إليه ابن مالك من أن تعدية الفعل اللازم بزيادة الهمزة فى أوله قياسا مطردا وأقر رأيه مجمع اللغة العربية (١).

ويبدو لنا أن شراح الألفية كانوا يلتزمون البيت دون خروج على ابن مالك أحيانا فيما جزم به كقوله :

ولازم غير المعدى وحتم | لزوم أفعال السجايا كـ (نهم)

كذا افعلل والمضاهى اقعنسسا | وما اقتضى نظافة أو دنسا (٢)

فمعنى اقعنسس الجمل : أبى أن ينقاد(٣) فكيف أجعله يأبى أن ينقاد لكى نفترض تعدية الفعل ؟

وإذا كان الحديث عن المفعول فى كتب الأقدمين قد ورد فى باب الفاعل (٤) فهل يعنى ذلك أن الناصب للمفعول هو الفاعل أو أن المفعولية صفة قائمة بذات المفعول أو أن الفعل والفاعل كالشىء الواحد ولا يعمل بعض الكلمة دون بعضها الآخر فهما معا علة نصب المفعول (٥).

إن الرأى الذى نطمئن إليه أنه استعمال العرب الذى اعتمد على الفعل فى نصب المفعول وفى رفع الفاعل ونائبه فهو أصل العوامل (٦) فى النظر النحوى .

(١) تحرير النحو العربى ص ١٣٤

(٢) شرح ابن عقيل ص ٢٠٨ (٣) شرح التصريح ٣١١/١

(٤) مثلا : شرح المكودى ص ٦١

(٥) أشار إلى هذا الخلاف الأزهرى فى شرح التصريح ٣٠٩/١

(٦) التطبيق النحوى ص ١٩٥

وإذا كان صاحب المفصل يتحدث عن الاختصاص فى باب النداء ثم يتحدث عن التحذير ثم حذف المفعول به فالمفعول فيه ، فإن شروح الألفيــة تتحدث عن الاختصاص بعد الترخيم فى النداء لأن الاختصاص كنداء دون « يا » - كما يقول ابن مالك - مع بعض وجوه المخالفة .

ثم تتحدث شروح الألفية عن « التحذير والإغراء » بعيدا عن درس المفعول

وقد وجه المكودى ملحوظة صائبة — فيما نرى — حين قال فى باب الاختصاص « أجحف الناظم بهذا الباب إذلم يصرح بما يتعلق به من المعنى والإعراب وحاصله أن المختص على قسمين : قسم مبنى على الضم وهو أيها الفتى ونحوه ، وبنى لشبهه بالمنادى لفظا وموضعه نصب بفعل واجب الحذف ، فإذا قلت : أنا أفعل كذا أيها الرجل فتقدير عامله أخص بذلك أيها الرجل والمراد بـ (أيها) المتكلم نفسه . وقسم معرب نصبا وهو المضاف وذو الألف واللام نحو : نحن العـــرب أقرى الناس للضيف ، فـ (نحن) مبتدأ وخـــبره (أقرى الناس) ، و (العرب) منصوب بفعل واجب الحذف تقديره (أخص) وكذلك المضاف نحو قوله - عليه الصلاة والسلام - نحن معاشر الأنبياء لانورث .فـ (نحن) مبتـــدأ ، و (معاشر الأنبياء) مفعول بفعل واجب الحذف (١) .

أما الدرس المعاصر فيتمثل فى نظرنا فى (تحرير النحو العربى) وما بعده ، وقد طبع تحرير النحو العربى سنة ١٩٥٨م . ولم يكتب له الذيوع بعد أكثر من عشرين عاما - ولعـــل مرجع ذلك إلى مافيه من جديد لايخلو من قصور (٢) ، والتقديم

(١) شرح المكودى ص ١٥٩

(٢) يراجع - مثلا - بحثنا « الشواهد النحوية » ص ٥٩ ط . دار المعارف ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

سلطانه ، وقد ظلت شروح الألفية — دونه — تدرس فى الجامعات والمعاهد المتخصصة .

وما بعد (تحرير النحو العربى) كتب كثيرة نتخير منهـــا كتابين جامعين لأبواب النحو :

١ — (دراسات فى علم النحو) وقد أراد به مؤلفه سنة ١٩٦٧م حل طلبة الفرقة الأولى بكلية دار العلوم عليه بديلا عن كتب التراث .

٢ — (التطبيق النحوى) ويؤمن مؤلفه بضرورة تدريس النحو فى جامعاتنا فى مظانه القديمة إلى جانب الدرس التطبيقى ، وقد صدر سنة ١٩٧١م (١٣٩١هـ)

وقد سار (تحرير النحو العربى) سيرة القـــدماء فى مبحث الاختصاص فبعد أسلوب النداء أساليب الاستغاثة ، الندبة ، الإغراء ، التحذير ، الاختصاص ، (لاسيما) وقد وفى أسلوب الاختصاص حقه فى بساطة - فيما نرى .

أما بعد (تحرير النحو العربى) فقد سار المؤلفان على أن أسلوب الاختصاص مكمل المفعول به بعيدا عن درس النداء ، ولهـــذا لم يشر مؤلف « دراسات فى علم النحو » إلى مقارنة هذا الأسلوب بأسلوب النداء ، بينما اتجه « التطبيق النحوى » إلى إفاضة تتناول أمثلة مشبهه بالنداء كقوله : أنا — أيها العربى — كريم . دون أن يشير إلى المقارنة بالنداء وإن كرر أقوال القدامى بشىء من عـــدم الاقتناع فى (أى) مفعولا به مبنى على الضم فى محـــل نصب قائلا « والأفضل أن نعربه هكـــذا لأنه هو الاستعمال الذى جاءت به اللغة » (١) .

وفى مبحث التحذير نجـــد صاحب المفصل يستهله بقوله : « ومن المنصوب

(١) التطبيق النحوى ص ٢٣٠

باللازم إضماره قولك فى التحذير إياك والأسد ... »(١)، فالعمل الإعرابى أساس عنده للدرس النحوى ، وكان التعريف بالأمثلة .

أما شراح الألفية كابن هشام فقد بدأوا بالتعريف أنه « تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليجتنبه »(٢) ، ويلفتنا أن الأمثلة التى أوردوها تكاد تكون هى هو أمثلة السابقين كـ (إياك والأسد) (٣) ، مازِ رأسك والسيف (٤) أى يا مازن ق رأسك واحذر السيف (٥) .

أما الكتب المعاصرة لنا فقد بدأ بعضها بالتعريف المنطقى ، بينما سار غيرها على البدء بإيراد الأمثلة ليستخلص القاعدة من بعد .

وإذا كانت مرحلة شروح الألفية فى التأليف النحوى تتميز بجمع أقوال النحاة ، سواء أكانت مبسطة أم صعبة ، تتفق والواقع اللغوى أم لا تتفق بينما تتميز مرحلة تحرير النحو برغبة مؤلفيها فى التبسيط وتيسير القواعد بصرف النظر عن المذاهب النحوية وأسماء روادها فإننا قد نفتقد الفقه النحوى فى الكتب المعاصرة ، وبعض شروح الألفية كالذى نراه — مثلا — فى مبحث التحذير عند ابن يعيش (٦٤٣ هـ) شارح المفصل فهــو يجيب عن الاستفهام : كيف جاز أن يكون (الأسد) معطوفا على (إياك) والعطف بالواو يقتضى الشركة فى الفعل ؟ بقوله: « ... إذا تباعد عن الأسد فقد تباعد عنه فاشتركا فى البعد ... » (٦)

وقد يرى قارىء أن الإجابة من الوضوح بحث لا تثير جدلا غير أننا نرى أن

(١) شرح المفصل ٢/٢٥ (٢) أوضح المسالك ص ٢٣٣

(٤٠٣) شرح المفصل ٢/٢٥ ، أوضح المسالك ص ٢٣٣

(٥) شرح ابن عقيل ص ٤٣٥ ، شرح المفصل ٢/٢٦

(٦) شرح المفصل ٢/٢٥ باختصار .

الوضوح هنا هو إقناع القارىء بإيضاح الشارح ، أما الاستفهام فى ذاته فمن شأنه أن تتفتح معه الملكة النحوية والذوق اللغوى ، ولهــذا لا يخلو التأليف النحوى القديم من الفنقلة أى عبارة « فإن قيل ... قيل » ، وهو ما يجب فى نظرنا أن تفيد منه طرق التدريس إذا ساغ للعقل الافتراض .

صحيح أن « استعمال العرب » هو التعليل العام للقواعد اللغوية ، ولكننا نرى فى تعليل النحاة منطقا متقبلا .

كما يقول خالد الأزهرى : « ولا يعطف فى التحذير والإغراء إلا بالواو خاصة لأن المراد فيهما الجمع والاقتران فى الزمان »(١).

وفى المفعول لأجله لا يخلو الدرس النحوى القديم من اشتراطات حبــذا لو طرحت للتيسير كاشتراطهم أن يكون المصدر قلبيا ليعرب مفعولا لأجله، فلا يجوز عندهم — مثلا — « جئتك قراءة للعلم »(٢). ولا « قتلا للكافر »(٣) فمعيار صحة إعراب المصدر مفعولا لأجله هو أن يصح إجابة عن سؤال بـ (لماذا ؟) ، ولهذا كان الفارسى مصيبا — فى نظرنا — حين أجاز « جئتك ضرب زيد » أى لتضرب زيدا (٤) .

وقد تفاوت اهتمام النحاة فى شروط نصب المفعــول له ؛ ففى حين يذكر المكودى — مثلا — الشروط (٥) وكأنها لازمة نجد ابن عقيل يعرض الوجوه المختلفة بقوله « وزعم قوم أنه لا يشترط فى نصبه إلا كونه مصدرا ، ولا يشترط اتحاده مع عامله فى الوقت ولا فى الفاعل » (٦)

(١) شرح التصريح ٢/١٩٥ (٣٠٢) أوضح المسالك ص ١١٦

(٤) أوضح المسالك ص ١١٦ (٥) شرح المكودى ص ٧٥

(٦) شرح ابن عقيل ص ٢٣٦

أما الدراسات الحديثة فى علم النحو فقد ارتضت التعريف القــديم للمفعول لأجله بأنه : « كل مصدر قلبى ، معلل لحدث ، مشارك له فى الزمان والفاعل» ؛ فإذا كان المصدر قلبيا – أى ليس مما يتصل بالحواس الظاهرة كالمشى والقعود ... وفقد الاتحاد فى الزمان مع الفعل وجب جره ، تقول زرتك اليوم للرغبـــة فى عطائك غدا (١) .

وقد اكتفى تحرير النحو فى تعريفه بأنه المصدر يأتى تكملة لبيان سبب الفعل»(٢) ولم يقل « لابد أن يشاركه فى الزمان وفى الفاعل » كما قال غيره (٣) .

وفى المفعول المطلق يسير النحاة فى فلك بيت الألفية :

المصدر اسم ما سوى الزمان من   مدلولى الفعل كأمن من (أمن) .

مما وجه منهجهم إلى تشعب الخلاف : الفعل أصل ، والمصدر مشتق منه أو العكس أو كلاهما أصل برأسه .

ويذهب بعضهم إلى أن المصدر أصل والفعل والوصف بالنسبة إلى المصدر كذلك ، والفعل يدل على المصدر والزمان ، والوصف يدل على المصدر والفاعل .

ويتساءل ابن عقيل إذا كان يجوز تثنية المصدر المبين للنوع ، ويجيب بأنه يجوز تثنيته وجمعه إذا اختلفت أنواعه نحو : سرت سيرى زيد : الحسن والقبيح وظاهر كلام سيبويه أنه لا يجوز تثنيته ولا جمعه قياسا بل سماعا وهـــذا اختيار الشلوبين (٤) .

---

(١) دراسات فى علم النحو ص ٢٦٥   (٢) تحرير النحو العربى ص ١٤٠

(٣) التطبيق النحوى ص ٢٣٦

(٤) شرح ابن عقيل : باب « المفعول المطلق »

ويشير المكودى إلى أن المصدر والمفعول المطلق غير مترادفين ، وذلك على غير بيت ابن مالك : – المصدر اسم ماسوى الزمان – فقد يكون المفعول المطلق غير مصدر نحو ضربته سوطا ، ويكون المصدر غير مفعول مطلق نحو أعجبنى ضربك (١) . وهى تفرقة دقيقة ســار عليها شراح الألفية ، وظلت التفرقة إلى دراساتنا المعاصرة .

ويتعين درس « المفعول معه » عند النحاة عامــة بمقارنة « واو المعية » بالواو العاطفة .

٢ – الإعراب التقديرى فى قولك – مثلا – ماشأنك وزيداً وبعض الشواهد .

والمقارنة سبيل تميز المعانى مما يحمـــل النحو شاهداً على البلاغة ، ففى قول الراعى (عبيد بن حصين) :

أزمان قومى والجماعة كالذى   لزم الرحالة أن تميـل مميـلا

نصب « الجماعة » على المعية(٢) لأن معنى الرفقة والمصاحبة هو المراد الذى دل عليه « لزم الرحالة » .

والنصب على المعية – عندهم – مختار لدى ضعف النسق إما من جهة المعنى وإما من جهة اللفظ .

ففى « لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها » يرجح النصب على معنى لو تركت الناقة مع فصيلها ، أما العطف فضعيف(٣) . وكذا فى الشاهد :

---

(١) شرح المكودى ص ٧٢

(٢) شرح الأشمونى ١٣٨/٢

(٣) « « ١٣٩/٢

إذا أعجبتك الدهر حال من امرىء ... فدعه وواكل أمره والليالي(١)

أما المانع اللفظى للقول بالعطف فى عبارتك : مالك وزيداً فلأن العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار ممتنع عند الجمهور وإن صح عند ابن مالك(٢).

وكذلك يرجح بعضهم إعراب ما بعد الواو مفعولا معه على إعرابه معطوفا فى قولك - مثلا : سرت ومحموداً لأن العطف على الضمير المتصل يقتضى فى الغالب وجود فاصل بينه وبين المعطوف(٣).

والمسألة عندنا تتعلق بالمعنى ، فإذا قصدت الملازمة أو المعية فإعراب ما بعد الواو مفعول معه ، وإذا أردت معنى السير - فى مثالنا - دون الصحبة فى السير فإعراب ما بعد الواو معطوف على ماقبلها . فتقول : سرت ومحمود .

المفعولات فى الدرس البلاغى :

ولقد كان لنا منهج فى ترتيب درس المفعولات وهو ماعنى به بعض البلاغيين حسبما يكون من استعمال فى الواقع اللغوى فـ (إن العاقل يرتب فى نفسه مايريد أن يتكلم به)(٤) ، وذلك أنك إذا قلت : ضرب زيد عمراً يوم الجمعة ضربا شديداً تأديبا له فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان كما يتوهمه الناس ، وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها ،

(١) نصب « والليالي » على أنه مفعول معه أرجح من العطف . شرح الشواهد للعينى ١٣٩/٢

(٢) حاشية الصبان ١٤٠/٢

(٣) شرح المكودى ص ٨٠ - بتصرف ، التطبيق النحوى ص ٢٥٩.

(٤) عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز ص ٢٥٦ - تحقيق : أحمد مصطفى المراغي ط. المطبعة العربية . القاهرة ١٣٦٩ هـ

وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق التى بين الفعل (ضرب) وبين ماعمل فيه ، والأحكام التى هى محصول التعلق ، وإذا كان الأمر كذلك فينبغى لنا أن ننظر فى المفعولية من عمرو وكون يوم الجمعة زمانا للضرب وكون الضرب ضربا شديداً وكون التأديب علة للضرب ، يتصور فيها أن تفرد عن المعنى الأول الذى هو أصل الفائدة وهو إسناد ضرب إلى زيد ، وإثبات الضرب به له حتى يعقل كون عمرو مفعولا به ، وكون يوم الجمعة مفعولا فيه ، وكون ضربا شديداً مصدراً وكون التأديب مفعولا له من غير أن يخطر ببالك كون زيد فاعلا للضرب ، وإذا نظرنا وجدنا ذلك لايتصور ، لأن عمراً مفعول لضرب وقع من زيد عليه ، ويوم الجمعة زمان لضرب وقع من زيد ، وضربا شديداً بيان لذلك الضرب كيف هو وما صفته والتأديب علة له .. وإذا كان ذلك كذلك بان منه أن المفهوم من مجموع الكلم معنى واحد .. (١)

وفى قضية التقديم واتصاله بالعناية والاهتمام يلفت الجرجانى إلى معرفة وجه العناية ؛ فإذا قلت : قتل زيد الخارجى فليس للناس فى أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى .. فتقول : قتل الخارجى زيد لأنه قد يكون من أغراض الناس فى فعل ما أن يقع بانسان معين ولا يبالون من أوقعه(٢).

وفى حذف المفعول تختلف أغراض الناس فى ذكر الأفعال المتعدية ؛ فهم قد يقتصرون على إثبات المعانى التى اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين ، ففى قولهم - مثلا - فلان يحل ويعقد ، ويأمر وينهى .. لاترى مفعولا لا لفظا ولا تقديرا(٣) وعلى ذلك قوله تعالى (هل يستوى الذين يعلمون والذين

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٦١ - باختصار

(٢) « « ص ٧٤

(٣) « « ص ١٠١ - بتصرف -

لا يعلمون)(١) ، (وأنه هو أضحك وأبكى)(٢).

وقسم ثان وهو أن يكون له مفعول مقصود إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه وينقسم إلى جلي لاصنعة فيه ، وخفي تدخله الصنعة .

فمثال الجلي قولهم : أصغيت إليه ، وهم يريدون أذني، وأغضيت عليه، والمعنى جفني . وأما الخفي فنوع منه أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه إما لجري ذكر أو دليل حال إلا أنك توهم أنك تثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى شيء أو تعرض فيه لمفعول كقول البحتري(٣) :

شجو حساده وغيظ عداه ... أن يرى مبصر ويسمع واع

ومنه أن تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل وتخلص له كقول طفيل الغنوى :

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقي الذي لاقوه منا لملت

.. فإن المعنى : ذلك حكم كل أم مع أولادها .. ولو قلت (لملتنا) فقيدت لم يصلح لأن يراد به معنى العموم وأنه بحيث يمل كل أم من كل ابن(٤) .

ومن الإضمار والحذف ما يسمى « الإضمار على شريطة التفسير » ، وذلك مثل قولهم : أكرمني وأكرمت عبد الله ، أردت : أكرمني عبد الله وأكرمت عبد الله ثم تركت ذكره في الأول استغناء بذكره في الثاني(٥) .

---

(١) الزمر ٩
(٢) النجم ٤٣
(٣) يمدح المعتز بالله المتوكل ويعرض بالمستعين بالله أخيه ، وكان ينازعه الخلافة.
(٤) دلائل الإعجاز ص ١٠٥
(٥) « « ص ١٠٧

ومنه قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى)(١) . التقدير: لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم .

ويجيء المشيئة بعد (لو) وبعد حروف الجزاء غير معداة إلى شيء شائع(٢)، ومتى كان مفعول المشيئة أمراً عظيما أو بديعا غريبا كان الأحسن أن يذكر ولا يضمر(٣) . كقول الشاعر :

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

المفعولات في القرآن

اتساقا ومنهجنا في ربط الدرس النحوي بالقرآن الكريم لنتخير سورة منه تعد من طوال السور إذ بلغت مائة وعشرين آية ألا وهي سورة المائدة لنعرض لبعض آياتها مما يتصل بالمفعولات .

ولعل « المفعول معه » أقل تلك المفعولات استعمالا في العربية عامة ، والقرآن بخاصة حتى يقول ابن هشام : « ولم يأت في التنزيل بيقين »(٤) ، فأما قوله تعالى (فأجمعوا أمركم وشركاءكم)(٥) في قراءة السبعة (فأجمعوا) بقطع الهمزة و (شركاءكم) بالنصب فتحتمل الواو فيه ذلك ، وأن تكون عاطفة مفرداً على مفرد بتقدير مضاف أي وأمر شركائكم .. (٦) .

وفي قوله تعالى (والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من

---

(١) الأنعام ٣٥
(٢) دلائل الإعجاز ص ١٠٨
(٣) دلائل الإعجاز ص ١٠٩
(٤) مغنى اللبيب ٢/٣٦٠
(٥) يونس ٧١
(٦) مغنى اللبيب ٢/٣٦٠ ، إملاء مامن به الرحمن ٢/٣١

هاجر إليهم)[١] قيل المعنى : وأخلصوا الإيمان ، وقيل التقدير : ودار الإيمان ، وقيل : أى جعلوه ملجأ لهم[٢]. وقد يكون من الأوفق أن تكون الواو للمعية أى تبوأوا الدار ومعهم الإيمان سكنا لهم وأمنا ، يقول الصبان : الإيمان لايتبوأ ونصبه لكونه مفعولا معه ..[٣].

وربما كان المفعول به أكثر المفعولات استعمالا فى سورة المائدة ، وتزخر هذه السورة بطائفة من الأفعال التى تنصب مفعولين ، وفى تقديم المفعول وحذفه من مواطن البلاغة ما يجب الالتفات إليه .

الأفعال التى تنصب مفعولين : (١) جرم وأصل الجرم القطع[٤] (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) (٢) أى ولا يحملنكم بغض قوم لصدكم عن المسجد على الاعتداء . الفعل يجرم نصب مفعولين. الضمير (كم) و (أن تعتدوا) .

يقول العكبرى : كأنه قدر حرف الجر مراداً مع (أن تعتدوا)[٥]. ذلك أنه قيل أن الذى ينصب مفعولين الفعل أجرم أما جرم فتعدى إلى واحد[٦] .

وحسب أن عدم التقدير أولى فى لغة القرآن .

---

(١) الحشر ٩ (٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/٢٥٨

(٣) راجع تقديرات أخرى للمعنى ... حاشية الصبان ٢/١٤٠

وحسب أن معنى (بوأه) منزلا أى هيأه ومكن له فيه يليق بالإيمان ... يقول المهاجرون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين تبوءوا الإيمان من قبل .

الفراء : معانى القرآن ٣/١٥٤ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

(٤) لسان العرب ١٤/٣٥٧ ، النهاية ١/٢٦٢ ، القاموس ٤/٨٨

(٥ ، ٦) إملاء ١/٢٠٦

(٢) رضى : ورد أيضا ينصب مفعولين فى قوله تعالى :

(ورضيت لكم الإسلام دينا) (٣)

معنى (رضيت) - هنا - جعلت وصيرت ، وفى غير الآية يتعدى إلى مفعول واحد وهو هنا (الإسلام) و (دينا) حال[١].

(٣) وعد : يقول الله : (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم) (٩)

(الذين آمنوا) مفعول أول ، وقد اقتصرت الآية عليه ، أما المفعول الثانى فمحذوف استغنى عنه بالجملة التى هى قوله (لهم مغفرة) ولا موضع لها من الإعراب، لأن (وعد) لايعلق عن العمل كما تعلق (ظن) وأخواتها[٢] .

(٤) جعل : (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ..) (١٣) جعلنا هنا بمعنى صيرنا[٣] .

(.. جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا ..) (٢٠)

(.. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة..) (٤٨).

(٥) هدى : (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ..) (١٦) سبل : المفعول الثانى لـ (يهدى) ويجوز أن يكون (بدلا) من رضوانه .

---

(١) إملاء ١/٢٠٠ بتصرف يسير .

(٢) إملاء ١/٢١٠ بتصرف يسير .

(٣) إملاء ١/٢١١ .

(٦) اتخذ : (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ..) (٥١)

(٧) رأى : (فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم ...) (٥٢)
يجوز أن يكون من رؤية العين أو بمعنى (تعرف) فيكون (يسارعون) فى الوجهين حالا .

ويجوز أن يكون من رؤية القلب المتعدية إلى مفعولين فيكون (يسارعون) المفعول الثانى (١) .

وفى تقديم المفعول به اهتمام ومزيد عناية ، ونحسب أن هذا المعنى وراء قولة ابن جنى : « الأمر فى كثرة تقديم المفعول على الفاعل فى القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر ، فلما كثر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضع له حتى إنه إذا أخر فموضعه التقديم (٢) » .

وينقل عن أبى على الفارسى : إن تقدم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه ، كما أن تقدم الفاعل قسم قائم برأسه (٣) .

وفى سورة المائدة (أفحكم الجاهلية يبغون) (٥٠) بفتح الميم ، والناصب له (يبغون) (٤) .

---

(١) إملاء مامن به الرحمن ١/٢١٨ (٢) الخصائص ١/٢٩٧

(٣) الخصائص ١/٢٩٥ ط. دار الكتب ١٣٧١ . القاهرة . تحقيق : محمد على النجار

(٤) إملاء مامن به الرحمن ١/٢١٨

وفى حذف المفعول به لدلالة السياق عليه :

(... مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ...) (٦) أى مايريد الله الرخصة ليجعل ... (١)

وحذف المفعول هنا من شأنه ـ عندنا ـ اللفت إلى رخصة التيمم وهى تبدو فى نظر الأجانب عن الإسلام غير سائغة ، وفى غير القرآن نقول: يريد أن يجعل ، يريد أن يطهر ...

(... فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) (٢٢)
أى داخلون الأرض المقدسة (٢) ، فحذف المفعول لدلالة الكلام عليه (٣) .

وكذلك : (قال إنما يتقبل الله من المتقين) (٢٧)
مفعول (يتقبل) محذوف أى يتقبل من المتقين قرابينهم وأعمالهم (٤)
فحذف المفعول فى الآية يطلق للذهن التفكير فى كل عمل أساسه التقوى ، ولا يحصره فى القربان .

يقول عبد القاهر الجرجانى بعد درس حذف المبتدأ « ... أتبع ذلك ذكر المفعول به إذا حذف خصوصا فإن الحاجة إليه أمس ، ... واللطائف كأنها فيه أكثر ، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر » (٥)

---

(١) إملاء ١/٢١٠

(٢) الآية قبلها (ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة ...) المائدة ٢١

(٣) إملاء ١/٢١٢ (٤) إملاء ١/٢١٣

(٥) الايجاز شرح دلائل الإعجاز ص ١٠١ ـ تعليق : أحمد مصطفى المراغى المطبعة العربية ـ القاهرة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م

ثم يقول: «إن أغراض الناس تختلف فى ذكر الأفعال المتعدية فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعانى التى اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين، فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدى كغير المتعدى — مثلا — فى أنك لا ترى له مفعولا لا لفظا ولا تقديرا» (١).

وفى قوله تعالى: (... قربا قربانا ...) (٢٧)

استعمل المصدر، وقد وقع موضع المفعول به (٢). ونحسب أن معنى المفعول المطلق والمفعول به معا يتسايران فى هذه الآية بإعجاز، إذ المراد توكيد الفعل — فى نظرنا — بصيغة (فعلان) بضم القاف (٣) وهى للمعانى الدينية أو العلمية المتخصصة (٤).

والقربان اسم لما يتقرب به إلى الله وقد وقع عليه الفعل، فهو مفعول به، والأصل إذ قربا قربانين، لكنه لم يثن لأن المصدر لا يثنى، وقال أبو على: تقديره إذ قرب كل واحد منهما قربانا (٥).

ويلوح لى أيضا أن إفراد قربان للاهتمام بما تقبله الله، أما قربان الابن الآخر فلا يعد أو يعتد به.

---

(١) الإيجاز شرح دلائل الإعجاز ص ١٠١

(٢) إملاء ١/٢٢٣، تفسير ابن كثير ٢/٤١ وما بعدها.

(٣) القياس أن الفعل إذا كان رباعيا مضعف العين كان مصدره على صيغة «تفعيل» أو «تفعلة» نحو جرب تجريبا أو تجربة.

(٤) أساليب النفى فى القرآن ص ٢٦٣، ص ٢٦٤

(٥) كقوله تعالى (فاجلدوهم ثمانين جلدة) أى كل واحد منهم - إملاء ١/٢١٣

ويلفتنا فى إعراب لفظ الجلالة فى قوله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ..) (٣٣) قول العكبرى: أن أولياء الله فحذف المضاف (١)، والمعنى صحيح، غير أننا فى غنية عن تقدير الحذف، وإنما كان التعبير القرآنى لبيان فظاعة القتل بغير ما أمر الله (٢).

المفعول فيه:

تستعمل الظروف كثيرا فى العربية، وكذلك كانت سورة المائدة حافلة بظروف الزمان والمكان، فنجد فيها مثلا (اليوم)، (قبلكم)، (من تحتها)، (بينهم)، (أبدا)، (بعد)، (إذ)، (إذا) يقول الله:

(اليوم أحل لكم الطيبات ...، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن ...) (٥)

(إذا) ظرف لـ (أحل) (٣)

يقول ابن هشام إن الغالب على (إذ) المذكورة فى أوائل القصص فى التنزيل أن تكون مفعولا به بتقدير «أذكر»، وبعض المعربين يقول فى ذلك إنه ظرف لـ (اذكر) محذوفا، وهذا وهم فاحش لاقتضائه حينئذ الأمر بالذكر فى ذلك الوقت، مع أن الأمر للاستقبال، وذلك الوقت قد مضى قبل تعليق الخطاب بالمكلفين منا، وإنما المراد ذكر الوقت نفسه لا الذكر فيه (٤) وقول ابن هشام توجيه صالح لفهم (إذ) القرآنية. يقول ا:

---

(١) إملاء ١/٢١٤

(٢) لأنه — سبحانه — خالق الناس جميعا وأنه كما يقول — عز وجل — فى الآية السابقة (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ...) (٣٢)

(٣) إملاء ١/٢٠٨ (٤) مغنى اللبيب ١/٨٠

(واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا..)(٧)

(إذ) ظرف لـ (واثقكم) ، ويجوز أن يكون حالا .. (١) وكذلك :

(.. اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ...) (١١)

(إذ) ظرف للنعمة (٢) ومثلها : (.. ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء ...) (٢٠)

(بين) : (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء ...) (١٤)

بينهم : ظرف لـ (أغرينا) أو حال من (العداوة) ولا يكون ظرفا للعداوة لان المصدر لايعمل فيما قبله (٣) .

وتتعدد الظروف لعامل واحد كما فى الآية : (٣)

(قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) (٢٤)

أبدا : ظرف لاستغراق الزمن المستقبل منصوب وعلامة النصب الفتحة .

ماداموا : ما مصدرية زمانية ، وجملة (ماداموا) بدل من (أبدا).

هاهنا : ها ـ حرف للتنبيه ، هنا ، ظرف مكان (٤).

والقاعدة أنه إذا كان الظرفان من نوع واحد فيعرب الأول ظرفا ، والآخر بدلا.

---

(١) إملاء ١/٢١٠ (٢) إملاء ١/٢١١

(٣) إملاء ١/٢١١ (٤) إملاء ١/٢١٣

كذلك ورد العدد ظرفا لتمييزه بظرف متصرف (أى يأتى طورا ظرفا وطورا على حسب إعرابه فى الجملة : مبتدأ أو فاعل ...)

(قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ..) (٢٦)

أربعين : ظرف زمان . سنة : تمييز مفرد منصوب .

وقد ذكر العكبرى أن (أربعين) ظرف لـ (محرمة) فيكون التحريم مقدرا بأربعين سنة ، أو لـ (يتيهون) . فالتحريم على هذا غير مؤقت (١) .

والذى نراه أنها ظرف لـ (محرمة) وحالهم فى هذه الأربعين سنة (يتيهون فى الأرض) غير الأرض المقدسة (٢) فلأن يعمل العامل الأول أجدر عندنا من عمل العامل المتأخر .

ومن الظروف المستعملة فى سورة المائدة (بعـد) ظرف زمان أو ظرف منصرف : يقول الله : (.. ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون)(٣٢)

(بعد) ظرف لـ (مسرفون) ولا تمنع لام التوكيد ذلك . (٣)

ويقول سبحانه (.. يحرفون الكلم من بعد مواضعه ..) (٤١) ، (.. ثم يتولون من بعد ذلك ..) (٤٣)

والظرف إذا سبق بـ (فى) أو (من) دل على أن الفعل ينقضى شيئا فشيئا كما فى قوله تعالى :

---

(١) إملاء مامن به الرحمن ١/٢١٣

(٢) هى الطور وما حوله ... ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢/٣٧ وما بعدها طبعة دار إحياء الكتب العربية القاهرة .

(٣) إملاء ٦/٢٦٤

(ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ...) (٧٧) أى كان ضلالهم شيئا فشيئا (١) .

أما فى استعمال المفعول لأجله فيحسن أن أشير إلى أنه :

ورد تعبير « من أجل » مرة واحدة فى القرآن الكريم هى تلك التى فى سورة المائدة (من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل) (٣٢) غير أن السببية معنى ورد فى غير آية .

يقـــول الله (... يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ...) (١٩) .

أن تقولوا : أى مخافة أن تقولوا(٢) . ومثلها (واحذرهم أن يفتنوك(٣)) (٥٠)

وقد ورد المفعول من أجله مرتين فى آية واحدة :

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ...) (٣٨)

يقول العكبرى : (جزاء) مفعول من أجله أو مصدر لفعل محذوف : أى جازاهما جزاء وكذلك (نكالا)(٤)

ومن حروف السببية الباء تسبق فى القرآن باسم الاشارة (ذلك) فى نحو قوله تعالى (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبـــا ذلك بأنهم قوم لايعقلون) (٥٨)

---

(١) تظهر (فى) مع ظرف الزمان إذا كان الفعل مما ينقضى شيئا فشيئا نحو « صنعت المكتبة فى شهر » .

(٢) إملاء مامن به الرحمن ٢١٢/١ (٣) إملاء ٢١٨/١

(٤) إملاء ٢١٥/١ ونلحظ أنه قدم ماتستريح إليه النفس ، إذ أن عدم تقدير محذوف أولى فى نظرنا .

ذلك : ذا ـــ اسم إشارة مبنى على السكون فى محل رفع مبتدأ ، اللام ـ حرف يدل على البعد مبنى على الكسر ، الكاف : حرف خطاب مبنى على الفتح ، أى واقع بسبب جهلهم (١) .

ومثله : (... ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (٨٧)

(... ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) (٨٢)

وإذا كان الإلصاق معنى لايفارق الباء كما يقول ابن هشام ، فلهذا اقتصر عليه سيبويه ، (٢) فإن معنى السببية فيها يكون ـــ فى نظرنا ـــ أوثق بالمسبب بحيث لايحتمل الظن .

كذلك استعملت (على) و (من) للتعليل فى قوله تعالى :

(حرم عليكم الميتة والدم ... وما ذبح على النصب) . (٣)

فى (على) وجهان . أحدهما ـــ هى بمعنى اللام (٢) أى لأجـــل الأصنام فتكون مفعولا له ، والثانى أنها على أصلها وموضعه حال . (٤)

ويقول الله : (ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) (٨٣)
وإذا كان الغالب على (من) ابتداء الغاية حتى ترجع معانيها إلى هذا الوجه عنـد بعضهم (٥) فإننا نلمس المعنيين معا : ابتداء الغاية والتعليل من تكملة الآية (يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) (٦)

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢٢٠/١ (٢) مغنى اللبيب ١٠١/١ ، ١٠٣

(٣) أى للتعليل ـ مغنى اللبيب ٤٢/١

(٤) إملاء مامن به الرحمن ٢٠٧/١ (٥) مغنى اللبيب ٣٢٠/١

(٦) راجع السيوطى : أسباب النزول ص ٢٦ ، ط التحرير بالقاهرة ١٣٨٢هـ

و (فى) حرف سببى فى قوله تعالى : (... يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) (٩١) أى بسبب الخمر ، (فى) متعلقة بـ (يوقع) وهى بمعنى السبب(١) ، ونحسب أن دلالتها على الإغراق واضحة فى هذه الآية، ولهذا لا يغنى غناءها لام التعليل .

ويقول جل شأنه : (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) . (٤٦)

ف (هدى) مفعول من أجله أى قفينا ... وآتيناه الإنجيل للهدى وموعظة للمتقين ، وإذا كان (مصدقا) حالا فيجوز أن يكون (هدى) و (موعظة) فى محل نصب حال (٢) .

ونختم هذا الدرس بالمفعول المطلق فى سورة المائدة - يقول الله :

(وأقرضتم الله قرضا حسنا ...) (١٢)

قرضا : مفعول مطلق محذوف الزوائد إذ أن المصدر (إقراضا) ويجوز أن يكون القرض بمعنى المقرض فيكون مفعولا به (٣) .

وفى قوله تعالى : (.. فلن يضروك شيئا) (٤٢)

(شيئا) فى موضع المصدر : أى ضرا (٤) أو بتعبيرنا نائب عن المفعول المطلق (٥) .

---

(١) إملاء مامن به الرحمن ١/٢٢٥ ، مغنى اللبيب ١/١٦٨ .

(٢) إملاء مامن به الرحمن ١/٢١٧

(٣) إملاء ١/٢١١ بتصرف يسير (٤) املاء ١/٢١٦

(٥) وفى استعمال (شيئا) مايدل على نفى الضرر بأى صورة من صوره ، ولو كان الضرر صغيرا جدا ، ولو استعمل المصدر (ضرا) ما أفاد هذا المعنى الدقيق .

ويقول الله : (أقسموا بالله جهد أيمانهم) ٥٣

جهد - حال .. أو مصدر يعمل فيه (أقسموا) وهو من معناه لا من لفظه(١) .

ويقول : (لا تغلوا فى دينكم غير الحق) ٧٧

(غير) صفة لمصدر محذوف أى غلوا غير الحق(٢) .

فإذا كان لباحث أن يستخلص خصيصة مشتركة فى استعمال المفعولات فى القرآن الكريم كما ظهرت محاولات من النحاة فى القديم فإن التنوع لغرض بلاغى هو تلك الخصيصة حتى لترى أن الكلمة تعرب على غير وجه - فى كثير من الآيات - بحسب فهم المتلقى وإدراكه لأسرار القول .

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/٢١٩

(٢) المرجع السابق ١/٢٢٣

النـــداء

ندرج درس النداء بعد المفعولات لأن المنادى عند النحاة نوع من المفعول به بتقدير فعل : أنادى أو أدعو . والأصل فى كل منادى أن يكون منصوبا .

وقد نظم النحاة المنصوب على الاختصاص والتحذير والمنادى فى سلك واحد للصلة التى لحوها بين هذه المباحث ؛ فهى كلها تحت « المنصوب باللازم إضماره » .

أما الدرس الحديث فهو على ما أثبتنا من ترتيب ، وإن كانت لجنة تحرير النحو العربى جعلت أساليب الإغراء والتحذير والاختصاص بعد أسلوب النداء .

وفى أسلوب النداء نبدى ملحوظتين :

الأولى — أنه يكثر فى لغة الحديث والخطابة ، ويقل فى لغة الكتابة حتى فى القصة أو المسرحية مما يتطلب محاورة .

الثانية — أنه لم يخل من الشذوذ فى القاعدة كغيره من موضوعات النحو .

ولعل هاتين الملحوظتين معا وراء عزوف القارىء عن درس النداء أو عدم فهمه باستيعاب .

و (النداء) رأس باب يشمل المنادى ، والمستغاث ، والمندوب ولهذا كان الحديث فى هذه الثلاثة متصلا .

ومباحث النداء : المعنى اللغوى والاصطلاحى لكلمة (النداء) ، حروف النداء ، المنادى المبهم ، ونداء مافيه (أل) ، أحكام المنادى : البناء (فى العلم المفرد والنكرة المقصودة) ، والإعراب (فى النكرة غير المقصودة والمضاف والشبيه بالمضاف) ... ترخيم المنادى .

ثم نعرف بالاستغاثة والندبة وهما نوعان من أنواع النداء .

ونود توجيه النظر إلى أن درس النداء كما فى الدرس النحوى بعامة يجب أن ينظر فيه إلى دقة الاستعمال اللغوى ؛ فـ (يا) إذا كانت هى الحرف الوحيد للاستغاثة ؛ فإننا فى الإعراب نقول (يا) : حرف الاستغاثة ، والاسم بعدها مستغاث ، ومن التزيد فى نظرنا أن يقال : منادى مستغاث كما ليس من الدقة أن يقال فى أسلوب الاستغاثة (يا) حرف نداء ، كما وقع فى كتب المعاصرين .

بل ذكر بعضهم أن (وا) : حرف ندبة معقبا بقوله « أى حرف نداء » مع أن (وا) فى الشائع من الاستعمال ليس من حروف النداء الحقيقى .

أ ـ المنـــادى

النداء (لغة) : الصوت ، وناداه مناداة ونداء : صاح به ، والندا (بفتح النون) : بعد ذهاب الصوت[1].

والنداء (اصطلاحا) : أسلوب يقصد به الاستدعاء ، أو التنبيه[2]، بأدوات هى: يا ، أيا ، هيا ، أى ، الهمزة ، آ ، وأجاز بعضهم استعمال (وا) فى النداء الحقيقى[3].

ومن استعمال الهمزة قول ليلى الأخيلية : « أحجاج لا تعط العداة مناهم »

(١) يقال : فلان أندى صوتا من فلان إذا كان بعيد الصوت . مختار الصحاح : ن د ا .

(٢) الكتاب ٢/٢٢٩

(٣) مغنى اللبيب ١/٣٦٩ ولم يورد ابن هشام مثلا أو شاهداً لهذا الاستعمال .

يقول سيبويه : « الأربعة غير الألف قد يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المتراخى عنهم ، والإنسان المعرض عنهم ... أو النائم المستثقل ؛ وقد يستعملون هذه التى للمد فى موضع الألف ولا يستعملون الألف فى هذه المواضع التى يمدون فيها ... »(١).

وقد يحذف حرف النداء نحو « يوسف أعرض عن هذا »(٢) إذا كان المنادى « بمنزلة من هو مقبل عليه بحضرته يخاطبه »(٣) ويقول سبحانه : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم »(٤). أى ياهؤلاء (٥) إلا أن هذا لا يجوز عند سيبويه لأن (أولاء) مبهم ، ولا يحذف حرف النداء مع المبهم ، فلا يحسن — عنده — أن تقول : هذا ، وأنت تريد : ياهذا ... (٦) ، وقد يحذف حرف النداء إن كان المنادى اسم جنس لمعين كما فى المثل (أطرق كرا)(٧) أى ياكروان.

ويعد ابن هشام حذف حرف النداء فى اسمى الجنس والإشارة شاذاً فى نحو : « أصبح ليل » ، وقوله :

إذا هملت عينى لها قال صاحبى ... بمثلك هذا لوعة وغرام(٨)

---

(١) الكتاب ٢/٢٣٠ وسيبويه يذكر الألف على ماتطلق عليه الهمزة .

(٢) يوسف ٢٩

(٣) الكتاب ٢/٢٣٠

(٤) البقرة ٨٥

(٥) إملاء ما من به الرحمن ١/٤٨

(٦) الكتاب ٢/٢٣٠

(٧) شرح ابن عقيل ص٤١٧ ، مثل يضرب للمعجب بنفسه ليتطامن، والكروان طائر يشبه البط لاينام الليل: سمى بضده من الكرى، حياة الحيوان الكبرى ٢/٤٨٦

(٨) مغنى اللبيب ٢/٦٤١ ونحسب أن ورود الاستعمال فى القرآن الكريم دون تعسف فى فهم الآية « ثم أنتم هؤلاء .... » يخرج ذلك الاستعمال عن الشذوذ .

نداء لفظ الجلالة :

يكون نداء اسم الله ـ سبحانه ـ بحرف (يا) فحسب(١) ، والأكثر أن يعوض من حرف النداء بميم مشددة مزيدة آخرا فيقال : اللهم ، ويشذ الجمع بين الميم وحرف النداء فى قوله :

إنى إذا حدث ألما ... أقول يا اللهم يا اللهما(٢)

وقد تستعمل (اللهم) مع أداة الاستثناء كقولك : سأزورك اللهم إلا أن تسافر . ويجوز حذف (أل) من لفظ الجلالة فتقول : لاهم اغفرلى (٣) .

نداء مافيه (أل) : يجوز نداء مافيه (أل) فى أربع صور :

١ — اسم الله تعالى
٢ — الجمل المحكية
٣ — أن يكون المنادى مشبها به
٤ — ضرورة الشعر .

يجوز الجمع بين حرف النداء و (أل) فى اسم الله فتقول : يا الله بقطع الهمزة (٤) ، ووصلها . وما سمى به من الجمل فتقول فيمن اسمه « الرجل منطلق » :

---

(١) أوضح المسالك ص ٢١٧

(٢) شرح ابن عقيل ص ٤١٧ ، المكودى ص ١٥٠

(٣) قد يكون (لاه) أصل اسم الله . مختار الصحاح : ل ى ه

لاهم : منادى مبنى على الضم فى محل نصب . والميم ـ حرف مبنى على الفتح عوض عن حرف النداء المحذوف .

(٤) وقولهم يا الله بقطع الهمزة إنما جاز لأنه ينوى به الوقف على حرف النداء تفخيما للاسم . مختار الصحاح : ل ى ه ، ص٦١٢

يا الرجل منطلق أقبل (١) ، فى بالله ...

وينادى اسم الجنس المشبه به بـ (أل) كقولك :

يا الخليفة هيبة (٢) أى يا مثل الخليفة فى الهيبة . يا البدر طلعة ...

ومن ضرورة الشعر :

عباس يا الملك المتوج والذى   عرفت له بيت العلا عدنان (٣)

* * *

فيا الغلامان اللذان فرا   إياكما أن تعقبانا شرا (٤)

* * *

من أجلك يا التى تيمت قلبى   وأنت بخيلة بالود عنى (٥)

والمستعمل فى نداء مافيه (أل) أن تحذف (أل) إذا أمن اللبس كقولنا : « ياسادات » فيمن سمى (السادات) (٦)

المنادى المبهم :

المبهم فى النداء (أى) واسم الإشارة ، وتستعمل (أى) أو (أية)

---

(١) أوضح المسالك ص ٢٢٢ ، شرح ابن عقيل ص ٤١٧
وهو — عندنا — مثال يخالف الواقع اللغوى .

(٢) أوضح المسالك ص ٢٢٣

(٣) أوضح المسالك ص ٢٢٢

(٤) شرح المفصل ٢/٩ ، ابن عقيل ص ٤١٦ ، المكودى ص ١٥٠

(٥) شرح المفصل ٢/٨

(٦) لا بأس عندنا من الإبقاء على (أل) للتمييز بين علمين سمى أحدهما (الجرجرى) والآخر (جوهرى) — مثلا .

وإلحاق (ها) التنبيه لها ، فيقال : يا أيها الناس (١) ، وتقول يا أيهذا الرجل فـ (ذا) صفة (أى) ، ويقول طرفة بن العبد .

« ألا أيهذا اللائمى أحضر الوغى » (٢)

يقول سيبويه : صار المبهم وما بعده بمنزلة اسم واحد (٣)

أنواع المنادى: ثلاثة — مفرد (علم ، نكرة مقصودة ، نكرة غير مقصودة .) ، مضاف ، شبيه بالمضاف .

أحكام المنادى :

١ — أ - إذا كان المنادى مفردا معرفة أو نكرة مقصودة بنى على ما كان يرفع به (٤) ويكون فى محل نصب على المفعولية (٥) ، لأن المنادى مفعول به فى المعنى فعله المحذوف (أدعو) ، ونابت (يا) منابه (٦) .

ونحن نلحظ توحد الحكم الإعرابى للمفرد المعرفة نحو (يانوح قد جادلتنا)(٧)

---

(١) أى : منادى مبنى على الضم فى محل نصب ، (ها) : حرف تنبيه ، الناس: بدل مرفوع وعلامة الرفع الضمة الظاهرة .

(٢) شرح المفصل ٢/٨ ، ابن عقيل ص ٤١٨ ، المكودى ص ١٥١

(٣) الكتاب ٢/١٨٩

(٤) ففى قوله - مثلا : يا محمدان أقبلا . (محمدان) منادى مبنى على الألف فى محل نصب ، (ويا مسلمون) مسلمون منادى مبنى على الواو فى محل نصب .

(٥) أوضح المسالك ص ٢١٩ ، شرح ابن عقيل ص ٣١٣ (بتصرف يسير).

(٦) يرجح بعضهم أن حرف النداء هو العامل فى المنادى ، التطبيق النحوى ص ٢٧٨ .

(٧) هود ٣٢

والنكرة المقصودة نحو : يارجل لأن النكرة المقصودة ، تعريف عارض فى النداء بسبب القصد والإقبال (١)، لايكون فى النكرة غير المقصودة (٢) .

وكذلك يبنى على ضم مقدر المنادى المبنى قبل النداء نحو : يا هذا ، (هذا - قبل النداء - مبنى على السكون) ، وياسيبويه (سيبويه قبل النداء مبنى على الكسر) ،

ويجرى مجرى ماتجدد بناؤه بالنداء توابع المنادى ، فيراعى فى هذه التوابع الضم المقدر فى المنادى أو النصب على المحل (٣) .

تقول : ياهذا الحليم .٠ – برفع (الحليم) أو بالنصب .

وفى القرآن الكريم . (ياجبال أوبى معه والطير) (٤) قرأ الأعرج والطير ، فرفع ، وقرىء بالنصب معطوف على موضع (جبال) ؛ فـ (جبال) منادى مبنى على الضم فى محل نصب (٥).

يقول الخليل – رحمه الله – من قال يازيد والنضر . فنصب ، فإنما نصب لأن هذا كان من المواضع التى يرد فيها الشىء إلى أصله ، فأما العرب فأكثر

---

(١) أوضح المسالك ص ٢٠٩ ، شرح المكودى ص ١٤٩

(٢) نضرب مثلا بالنكرة المقصودة فنقول : إذا فوجئت باغلاق حجرة وأنت فيها وتريد من يفتح لك الباب فإذا كنت ترى رجلا قلت : يارجل - بالبناء على الضم - افتح الباب ، فإذا لم تكن تراه أو تعرفه تقول يارجلا .

(٣) التوابع هى : النعت ، العطف ، التوكيد ، البدل .

(٤) سبأ ١٠

(٥) شرح المفصل ٣/٢ ، ويراجع الأوجه الأخرى للنصب . إملاء مامن به الرحمن ١٩٥/٢

ما رأيناهم يقولون : يازيد والنضر بالرفع (١).

ويقولون : ياتميم أجمعون وأجمعين (٢)

وإن كان المنادى مفردا علما متبوعا بكلمة (ابن) (٣) أو (بنت) مضافة إلى علم أيضا جاز فيه الفتح اتباعا لـ (ابن) .. أو البناء على الضم (٤).

يقول عمرو بن كلثوم (فى معلقته) :

بأى مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

وإذا لم يقع (ابن) بعد علم ، أو لم يقع بعده علم وجب ضم المنادى دون فتحه فتقول : ياغلام ابن زيد ، ويا زيد ابن الرجل الطيب (٥) .

والمنادى المفرد العلم إن كان اسما منقوصا مثل من يدعى (شادى) فلك فى يائه الإبقاء (وهو الأفضل) أو الحذف ، شأن حذفها فى حالتى الرفع والجر (٦).

تقول : ياشادى أنت كريم .

---

(١) الكتاب ١٨٧/٢

(٢) الكتاب ١٨٤/٢ ، شرح ابن عقيل ص ٤١٨

(٣) تحذف ألف الوصل من (ابن) إذا وقعت بين علمين ، وإذا كانت أول السطر تثبت .

(٤) اقتصرت لجنة ، تحرير النحو العربى ، على حكم نصب المنادى وتابعه إذا تبع العلم بكلمة (ابن) أو (ابنة) مضافة إلى علم آخر . تحرير ص ١٨٩ وليس لها هذا الاقتصار - فيما نرى - لأنه استعمال العرب .

(٥) شرح ابن عقيل ص ٤١٥ - بتصرف يسير .

(٦) التطبيق النحوى ص ٢٨٠

(شادى) : منادى مبنى على ضم مقدر منع عن ظهوره الثقل فى محل نصب . وإن كان اسما مقصورا مثل (موسى) فى قوله تعالى : (وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)(١). فإعرابه : منادى مبنى على ضم مقدر منع من ظهوره التعذر فى محل نصب (٢).

ب — إن كان المنادى مفردا نكرة غير مقصودة فحكمه النصب ، والشاهد :

... فيا راكبا إما عرضت فبلغن ندماى من نجران ألا تلاقيا (٣)

وتقول : « يامسئولين ابحثوا مقترحى » فيدل على أنك لاتقصد مسئولا بذاته .

٢ — وكذلك إن كان المنادى مضافا أو شبيها بالمضاف (٤) فحكمه النصب . فالمضاف نحو : ياعميد الكلية ... والشبيه بالمضاف نحو : ياسخيفا قوله .

---

(١) البقرة ٥٥

(٢) فى العلم المقصور لك فى ألفه مثل مالك فى ياء المنقوص ، والأفضل إبقاؤها . التطبيق النحوى ص ٢٨٠ وقد ورد (ياموسى) فى المصحف العثمانى أربعا وعشرين مرة بالياء .

(٣) شرح شذور الذهب ص١١١، شرح ابن عقيل ص٤١٩، لسان العرب٩/٣٥ العروض: بالفتح — مكة والمدينة وما حولها، وعرض الرجل: إذا أتى العروض وقد يكون المراد فياراكباه للندبة فحذف الهاء .

(٤) الشبيه بالمضاف كل اسم تعلق به شىء من تمام معناه على غير جهة الصلة أو الإضافة — وهذا التعلق قد يكون بالعمل فى الفاعل أو فى المفعول أو فى المجرور . نحو: ياكثيرا بره ، يامفيضا خيره ، يارفيقا بالعباد. شرح شذور الذهب ص ١١١ ويراجع حديثنا عن اسم (لا) النافية للجنس ص ٩٥

المنادى المضاف إلى ياء المتكلم :

تقول الألفية :

واجعل منادى صح إن يضف لـ (يا) كعبد عبدى عبد عبدا عبديا

إن كان المنادى صحيح الآخر (أى غير معتل) مضافا إلى ياء المتكلم جاز فيه خمسة أوجه :

أ — حذف ياء المتكلم والاستغناء بالكسرة نحو : ياعبد . وفى القرآن : (ياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد)(١).

وقد وردت (ياقوم) فى القرآن سبعا وأربعين مرة محذوفة الياء فى المصحف العثمانى ، « اكتفاء بالكسرة ، وهذا يجوز فى النداء خاصة لأنه لايلبس »(٢) .

ووردت (رب) منادى بحذف حرف النداء سبعا وستين مرة فى القرآن الكريم نحو (وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا) (٣) .

ب — إثبات ياء المتكلم ساكنة نحو : ياعبدى .

ج — قلب الياء ألفا وحذفها والاستغناء عنها بالفتحة نحو : ياعبد .

د — قلب الياء ألفا وقلب الكسرة فتحة نحو : ياعبدا .

---

(١) غافر (أو المؤمن) ٣٢ يوم التناد : يوم القيامة .

(٢) ومنهم من يثبت الياء ساكنة ، ومنهم من يفتحها ، ومنهم من يقلبها ألفا بعد فتح ما قبلها ، ومنهم من يقول: ياقوم بضم الميم . إملاء مامن به الرحمن ١/٣٧

(٣) البقرة ١٢٦ وتعرب (رب) منادى منصوب بفتحة مقدرة ، وهو مضاف والياء المحذوفة فى محل جر مضاف إليه .

٥ – إثبات الياء محركة بالفتح نحو : ياعبدىَ (١)

أما إذا كان المنادى معتل الآخر فتثبت الياء مفتوحة فتقول (يامولاىَ) و (ياقاضيَّ) ؛

وإذا كان المنادى المضاف إلى (ياء) المتكلم وصفا (أى اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة) لم يجز فيه إلا إثبات الياء ساكنة أو مفتوحة نحو (ياباريّ).

وإن أضيف المنادى إلى مضاف إلى ياء المتكلم وجب إثبات الياء مع بنائها على السكون أو الفتح . نحو : يارئيس عملى ... ، ياصفحة كتابى كم بذلت فيك .

أما فى قولك : يابن أم ، وابن عم (أو ابنة أم أو ابنة عم) فتحذف الياء منها لكثرة الاستعمال ، وتكسر الميم أو تفتح .

وفى القرآن ورد (ابن أم) منادى بحذف حرف النداء مرة ، وبـ (يا) مرة أخرى :

(قال ابن أم إن القوم استضعفونى) (٢) – بفتح الميم فى المصحف العثمانى ووجه القراءة ، أن يكون جعل ابن والأم بمنزلة خمسة عشر ، وبناهما على الفتح(٣) وكذلك : (قال يابنؤم لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى)(٤) .

وتقـرأ بكسر الميم ، والكسرة تدل على الياء المحذوفة : إذ أصل الكلام

---

(١) شرح ابن عقيل ص ٤٢١ ، المكودى ص ١٥٢

(٢) الأعراف ١٥٠

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/٢٨٥ ، ٢/١٢٦ وفيه وجه آخر أن الألف محذوفة ، وأصل الألف الياء ، وفتحت الميم قبلها فانقلبت ألفا وبقيت بفتحة تدل عليها ، كما قالوا يابنت عما .

(٤) طه ٩٤

يابن أمى . ومثلها كلمة عم كقوله .

* يابنة عما لاتلومى واهجعى * (١)

فإن كان المنادى المضاف إلى ياء المتكلم هو كلمة أب جاز أنه تعوض التاء بياء المتكلم مع بنائها على الكسر فتقول يا أبتِ(٢) وهذا فى النداء خاصة وأجاز بعضهم ضم التاء لشبهها بتاء التأنيث (٣) ، فيقول العكبرى ، فأما الوقف على هذا الاسم فبالتاء عند قوم لأنها ليست للتأنيث فيبقى لفظها دليلا على المحذوف . وبالهاء عند آخرين شبهوها بهاء التأنيث ، وقيل الهاء بدل من الألف المبدلة من الياء ، وقيل هى زائدة لبيان الحركة ، (٤).

وقد وردت يا أبت فى القرآن الكريم ثمانى مرات نحـو : يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا (٥) ، يا أبت استأجره (٦) ويقرأ بفتحها (٧).

ونحن نلحظ تعدد أحكام المنادى ، وقد كان لمح المعنى من وراء هذا التعدد أو كما يقول الملوى ، لو بنى المفرد على غير الضم لالتبس فى النصب بالنكرة غير

---

(١) الكتاب ٢/٢١٤

(٢) الكتاب ٣/٢١٠

(٣) تعبير ، لشبهها بتاء التأنيث ، أدق مما ورد فى بعض المراجع أنها تاء التأنيث . مثلا – مختار الصحاح : أ ب ا ، التطبيق النحوى ص ٢٨٥

(٤) إملاء مامن به الرحمن ٢/٤٨ (٥) يوسف ٤

(٦) القصص ٢٦

(٧) يراجع توجيه القراءة بالفتح . إملاء مامن به الرحمن ٢/٤٨
وتعرب أبت منادى منصوب وعلامة النصب الفتحة الظاهرة .

المقصودة ، وفى الجر بالمضاف إلى ياء المتكلم »(١) ، وهى ملحوظة تصح — فى نظرنا — لتوجيه الشواهد كقول مهلهل بن ربيعة (٢) :

ضربت صدرها إلى وقالت   ياعديا لقد وقتك الأواقى

يقول ابن هشام : يجوز فى المنادى المستحق للضم أن ينصب إذا اضطر إلى تنوينه (٣) ، والضرورة ضرب من الشذوذ فى الشعر على خلاف ما عليه من النثر ، فإذا ورد نظير له فى النثر سمى شذوذا (٤) لا أن الشاعر غير مستطيع خلاف ما أورد أو أنه أخطأ، فما أيسر أن يقال : ياعدى ، ولكنه عندنا نصب عديا كما فى النكرة غير المقصودة فكأنه عندها ليس هو الذى تعرفه(٥) .

أسماء لازمت النداء :

من الأسماء مالا يستعمل إلا فى النداء نحو : يافل أى يارجل . يقول الكميت :

وجاءت حوادث فى مثلها   يقال لمثلى ويهافل(٦)

(١) حاشية الملوى ص ١٤٩

(٢) قيل إنه لأخيه عدى يرثيه ... منتهى الأدب ص ١١٢

(٣) شذور الذهب ص ١١٢   (٤) خزانة الأدب ٥/٢٧٩ بتصرف

(٥) يعين على هذا الفهم جو التعجب الذى بدا فى ضرب صدرها حين رأت عديا بعد هول المعارك ونجاته من العدو

يراجع حديثنا فى شاهد آخر هو : « سلام الله يا مطر عليها »

كتاب الشواهد النحوية ص ٣١ ، ص ٣٢ . ط. دار المعارف بمصر ١٤٠١ هـ

(٦) الكتاب ٢/٢٤٨ ، شرح ابن عقيل ص ٤٣٣ ، لسان العرب ١٤/٤٨ ، ٤٩

والظاهر أنه ترخيم فلان على اختلاف اللغويين فى التأصيل .

ويقول الشاعر :

وهو إذا قيل له ويهافل   فإنه أحج به أن ينكل (١)

وفى حديث أسامة فى الوالى الجائر يلقى فى النار ... فيقال له : أى فل أين ماكنت تصف ؟ (٢) ، وفى حديث القيامة : « يقول الله تعالى : أى فل ، ألم أكرمك وأسودك ؟ » ، معناه : أى فلان(٣).   ويقال للمرأة يافلة .

ويقال : يالؤمان — للعظيم اللؤم ، يانومان : لكثير النوم (٤)

٢ — ويقاس فى النداء استعمال فعال - بالبناء على الكسر - فى ذم الأنثى ، فيقال : يادفار : أى يامنتنة (٥) ، ياخباث : يامتشذية فى مشيتها شتيمة ، يالكاع ياللئيمة .

ومن كلام عمر — رضى الله عنه — لبعض الجوارى : أتتشبهين بالحرائر يالكاع ؟! ، فأما قوله :

أطوف ما أطوف ثم آوى   إلى بيت قعيدته لكاع

فضرورة شاذة ، ويحتمل أن التقدير : قعيدته يقال لها : يالكاع فيكون جاريا على القياس (٦) . ومن « فجر » : يافجار ، ومن « زنى » يازناء ، ومن

(١) لسان العرب ١٧/٤٦٢ ، ويها : اسم فعل للاغراء والتحريض

(٢) النهاية ٣/٤٧٤   (٣) النهاية ٣/٤٧٣

(٤) مختار الصحاح : ن و م ، شرح المكودى ص ١٥٣

(٥) الدفر - بفتح فسكون - : النتن .

(٦) يلفتنا قول ابن هشام « فضرورة شاذة » أى تستعمل فى الشعر والنثر فيقال : امرأة لكاع — بالبناء على الكسر - شرح شذور الذهب ص ٩٢ وما بعدها ، مختار الصحاح : ل ك ع

« غدر » ياغدار ومن « سرق » ياسراق (١) .

٣ ـ كثر استعمال فعل ـ بضم ففتح ـ فى النداء خاصة لسب الذكور نحو : يالكع ، يافسق ، ياغدر .

ترخيم المنادى :

معنى الترخيم لغة : التليين ، وقيل : الحذف (٢) ، وفى المصطلح النحوى : حذف حرف أو أكثر من آخر المنادى إن كان علما مفردا أو نكرة مقصودة

يقول امرؤ القيس :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل ‏ ‏ ‏ ‏ وإن كنت قد أزمعت هجرى فأجلى

حذف من فاطمة التاء ، وبقى الميم مفتوحا (٣) ، يقول سيبويه : « إن الشعراء إذا اضطروا حذفوا هذه الهاء فى الوقف ، وذلك لأنهم يجعلون المدة التى تلحق القوافى بدلا منها (٤) قال هدبة :

« عوجى علينا واربعى يافاطما » (٥)

وفى ترخيم هبة تقول : ياهب ...

وإذا كان غير مختوم بالتاء فشرطه أن يكون علما غير مضاف زائدا على ثلاثة أحرف ليلى : ياليل ، وفى سعاد : ياسعا ، وفى أسماء : يا أسما .

---

(١) شرح شذور الذهب ص ٩٤ ـ بتصرف يسير .

(٢) مختار الصحاح « رخ م » ، ومن شعر لذى الرمة :

لها بشر مثل الحرير ومنطق ‏ ‏ ‏ ‏ رخيم الحواشى لاهراء ولانزر .

(٣) لك فى إعراب فاطمة وجهان : منادى مبنى على الضم على التاء المحذوفة للترخيم ، فى محل نصب . أو منادى مبنى على الضم ـ الواقع على الميم ـ فى محل نصب

(٤) الكتاب ٢٤٢/٢ ‏ ‏ ‏ ‏ (٥) الكتاب ٢٤٣/٢

وإذا كان الترخيم للتخفيف كما يقول القدماء والمحدثون (١) ، فهو ـ عندنا ـ طريقة فى النطق تتفق والألفة والمداعبة (٢) أيضا .

يقول الفرزدق (يخاطب مروان بن الحكم) :

يامرو إن مطيتى محبوسة ‏ ‏ ‏ ‏ ترجو الحباء وربها لم ييأس (٣)

ويحذف مع الآخر ماقبله إن كان حرف لين زائدا ساكنا رابعا فصاعدا فتقول فى « عثمان » : ياعثم ، وفى « منصور » يامنص (٤) . والعمدة فى الحذف أن يبقى الاسم دالا على مسماه دون لبس .

وفى المركب تركيبا مزجيا يحذف عجز الاسم فيقال يامعـدى ، والمقصود « معد يكرب » (٥) ، ويابعل فى « بعلبك » .

ولا يجوز ترخيم المضاف إلا فى (ياصاح) أى ياصاحبى لأنه سمع من العرب مرخما (٦) لكثرة استعمالهم هذا الحرف ، فحذفوا كما قالوا : لم أبل ،

---

(١) الكتاب ٢٣٩/٢ ، ٢٥٥ ، دراسات فى علم النحو ص ٣٠٩

(٢) روى أنه قيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ « ونادوا يامال » ـ بكسر اللام ـ بدلا من « يامالك ليقض علينا ربك » الزخرف ٧٧ فقال ابن عباس : ما كان أشغل أهل النار عن الترخيم ، وإن ذكر العكبرى أنه يقرأ « يامال » ـ بالكسر والضم على الترخيم ـ إملاء مامن به الرحمن ٢٢٨/٢

(٣) الكتاب ٢٥٧/٢ ، أوضح المسالك ص ٢٣٠ ، شرح التصريح ١٨٦/١

(٤) أما فى « هشام » ـ مثلا ـ فتقول : ياهشا لأن الألف ليس رابعا .

(٥) الكتاب ٢٦٧/٢ ، شرح ابن عقيل ص ٤٣ ، ص ٤٣١

(٦) مختار الصحاح ص . ح . ب .

ولم يك ، ولا أذر (١) .

وقد يرخم الاسم دون نداء بشروط الترخيم فى النداء والشاهد بيت امرىء القيس الكندى :

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره ... طريف بن مال ليلة الجوع والخصر

أى طريف ابن مالك (٢) .

حذف المنادى :

لا يحذف المنادى إلا بعد (يا) فيقع بعدها الحرف(٣)، والفعل ، والجملة الاسمية نحو: يارحم الله من سلف ... فـ (يا) للتنبيه، ويقدر المحذوف بما يليق بالمقام. (٤)

ب ـ المستغاث

يقال غوث الرجل تغويثا قال (واغوثاه) : ويقال : أجاب الله غواثه ـ بالضم والفتح ـ ولم يأت فى الأصوات شىء بالفتح غيره (٥) . واستغاثه فأغاثه والاسم الغياث (٦) أى ينادى من ينجد من شدة أو يعين على دفع مشقة .

وقد ورد فى القرآن الكريم متعديا إلى مفعول واحد (إذ تستغيثون ربكم

---

(١) الكتاب ٢/٢٥٦

(٢) الكتاب ٢/٢٥٤ ، ٢٦٩ ، شرح ابن عقيل ص ٣٣٣ .
الخصر ـ بالتحريك ـ شدة البرد .

(٣،٤) يراجع أساليب النفى فى القرآن حديثنا عن (ياليت).

(٥) وإنما يأتى بالضم كالبكاء والدعاء أو بالكسر كالنداء والصياح .

(٦) مختار الصحاح : غ و ث

فاستجاب لكم)(١) كما ورد بحذف المفعول فى قوله تعالى (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل) (٢)

ومن الآيتين يتبين أن ثمة فرقا بين المستغاث والمستغاث به(٣) .

ويتضمن أسلوب الاستغاثة : المستغاث والمستغاث له . وحرف الاستغاثة (يا) فحسب ، وتدخل اللام على المستغاث والمستغاث له فإن كان المستغاث عاقلا فلامه مفتوحة ، أما غير العاقل فلامه مكسورة أو مفتوحة ، ولام المستغاث له مكسورة . تقول : ياللرئيس للعاملين(٤) .

وتقول : يا للخجل .

ويعد حرف الجر (من) معيارا لمعرفة إذا كان المستغاث من أجله منتصرا له أو منتصرا عليه . فأنت تقول يا للحاكم من الظلم فلا يلتبس على أحد أنك تشكو الظلم (٥) .

وقد تحذف لام الاستغاثة من المستغاث ويعوض عنها بألف فى آخره

---

(١) الأنفال ٩ (٢) الكهف ٢٩

(٣) ليس من الدقة عندنا أن تستعمل الكلمتان بمعنى كما فى الكتاب ٢/٢٣١ ، ودراسات فى علم النحو ص ٣١٩ وغيرها .

(٤) وكذلك إذا قلت : (يا للرئيس من العاملين) ففى عملهم إهمال ـ مثلا ، أما إذا لم يصح (من) فالمعنى أنك تطلب النصفة لهم من الرئيس .

(٥) الإعراب : يا : حرف الاستغاثة مبنى على السكون .
للحاكم ـ اللام حرف جر مبنى على الفتح ، الحاكم مستغاث مجرور ، وعلامة الجر الكسرة الظاهرة .

فتقول : ياحاكما — بدون تنوين (١). وتلحقهما بهاء السكت عند الوقف فتقول : ياحاكماه (٢).

وإذا عطفت على المستغاث بتكرير (يا) فتحت اللام نحو قوله :

يا لقومى ويا لأمثال قومى ‏ ‏ لأناس عتوهم فى ازدياد (٣).

أما فى العطف بدون (يا) المكررة فتكون اللام مكسورة . كقوله :

يبكيك ناء بعيد الدار مغترب ‏ ‏ يا للكهول وللشبان للعجب (٤)

وينصب المستغاث المجرور لفظا بلام مفتوحة على المحل ، وإذا نعت جاز فى نعته الجر تبعا للفظ والنصب تبعا للمحل . تقول : يالمبارك العادل — بالفتح أو الجر — للمظلومين .

ما يجرى مجرى المستغاث :

ونحن نلحظ فى القرآن الكريم أسلوب الاستغاثة، والمستغاث غير عاقل نحو: (يا أسفا على يوسف) (٥) ، (ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله) (٦) (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على مافرطنا فيها (٧) ، (ياويلتنا

---

(١) حاكما : مستغاث مبنى على الضم المقدر منع من ظهوره الفتحة المناسبة للالف . والألف عوض عن لام الجر المحذوفة حرف جر مبنى على السكون .

(٢) تتفق الهاء وزفرة النادب فما الهاء إلا إرسال الهواء خارج الحلق كما يصفها المحدثون .

(٣، ٤) شرح المكودى ص ١٥٤ ، مختار الصحاح : حرف اللام . المبرد : الكامل ٢/١٦٩ ط. دار العهد الجديد . القاهرة

(٥) يوسف ٨٤ ‏ ‏ (٦) الزمر ٥٦ ‏ ‏ (٧) الأنعام ٣١

أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب)(١).

وفى كتابة المصحف (يا أسفى) ، (ياحسرتى) ، (ياويلتى) ولعل ذلك للمح الأصل ؛ فالألف — كما يقول العكبرى — مبدلة من ياء المتكلم ، والأصل أسفى ، فتحت الفاء ، وصيرت الياء ألفا ليكون الصوت بها أتم ، و (على) متعلقة ب (أسفى) (٢) وكذا فى (ياحسرتا) الألف مبدلة من ياء المتكلم (٣) .

وقرىء (حسرتاى) وهو بعيد عند العكبرى (٤).

وفى هذه التعبيرات كأن القائل يستغيث مباشرة الأسف والحسرة والويل فقد حق عليه كل هذا ، أما فى تعبيرنا المعتاد فنقول — يا للاسف ، ياللحسرة ، ياللويل — بفتح اللام أو كسرها (٥) وهو مثل المتعجب منه ، ذلك أن أسلوب الاستغاثة قد يستعمل فى التعجب نحو يا للغلاء ، ياللخضرة الزرع ، وتقول : ياللعجب أو ياعجبا .

وتدخل (اللام) المفتوحة على المنادى المهدد نحو : ياللعوس لأحبسنك .

---

(١) المائدة ٣١ ‏ ‏ (٢) إملاء مامن به الرحمن ٢/٥٨

(٣) إملاء مامن به الرحمن ٢/٢١٥

(٤) وقد وجهت أن الياء زيدت بعد الألف المنقلبة ، وقال آخرون : بل الألف زائدة ، ويعقب العكبرى بقوله ، وهذا أبعد لما فيه من الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، المرجع السالف ٢/٢١٥

وما يراه العكبرى بعيدا نراه يتفق والحال النفسية للمستغيث فيخرج عن المألوف من القواعد ، وهكذا تتميز الاستغاثة عن النداء الحقيقى .

(٥) كما أشرنا منذ قليل لاستغاثة غير العاقل ، والمعنى — يا أسف احضر ، أو للاسف أن يظهر فهذا أوانه . ‏ ‏ الكتاب ٢/٢١٧ بتصرف .

جـ ـ المنـــــدوب

يقال: ندب الميت ـــ من باب نصر ـــ أى بكى عليه معددا محاسنه (١)، يقول عبيد بن الأبرص:

لأعرفنك بعد الموت تندبنى   وفى حياتى مازودتنى زادى (٢)

والاسم: الندبة، وهى فى المصطلح النحوى: نداء المتفجع عليه أو المتوجع منه أوله، وأداتها (وا) خاصة وقد تستعمل (يا) عند وضـــوح التفجع أو التوجع (٣). (أى المصيبة أو المرض)، نحو: «وداعا يافارسى» تقولها امرأة فى مرثية.

والمتفجع عليه نحو: واعماه، والمتوجع منه نحو: واكليتاه، واحر قلباه، يقول سيبويه: والندبة يلزمها (يا) و (وا) لأنهم يختلطون ويدعون ماقد فات وبعد عنهم، ومع ذلك أن الندبة كأنهم يترنمون فيها، فمن ثم ألزموها المـــد، وألحقوا آخر الاسم المد مبالغة فى الترنم (٤).

وللمندوب أحكام المنادى من حيث البناء والإعراب حتى ليعـــرب بعض الباحثين المندوب منادى (٥). وهو تجوز عندنا.

---

(١) يطلق فى مصر على المرأة التى تؤجر لندب الميت معددة، والندبة أكثر ماتكون من كلام النساء.

(٢) الأونى: فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال ص ٢٢١، ط. ١٩٥٨ مصر.

(٣) مختار الصحاح: ن د ب ـ بتصرف يسير، شرح المكودى ص ١٥٤، أساليب النفى فى القرآن ص ٢٠٥

(٤) الكتاب ٢/٢٣١. الاختلاط: الضجر والغضب. النهاية ١/٤٢٤

(٥) مثلا: التطبيق النحوى ص ٢٩٤

فى إعراب وا أنور:

وا ـ حرف ندبة مبنى على السكون.

أنور ـــ مندوب مبنى على الضم فى محل نصب.

فإذا قلت: «وا أنوراه»، فالألف زائدة للندبة، وهاء السكت: حرف مبنى على السكون.

وتقول فى «وا ولدى»، ولد مندوب مضاف إلى ياء المتكلم، منصوب بفتحة مقدرة على ماقبل الياء منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة (١)، والياء: ضمير متصل مبنى على السكون فى محل جر مضاف إليه.

وقد تلحق الألف المضاف إليه نحو: وا أبا طالبـــاه، وا أم كلثوماه فى ندب من يدعى أبا طالب وأم كلثوم (٢). وتقول: وا ولديا أو وا ولدا (بحذف المضاف إليه وهو ياء المتكلم) وإذا كان آخر المندوب ألفا أو هاء كـ (عبدالله) لم تلحقه الألف والهاء فيندب مجردا فرارا من ثقل اللفظ.

ولا يكون المندوب (المتوجع عليه) نكرة كـ (رجل) ولا مبهما كـ (أى)، واسم الإشارة والموصول إلا ماصلته مشهورة فيندب نحو: وا من حفر بئر زمزماه

---

(١) يقصد بتعبير «اشتغال المحل بحركة المناسبة» وجـــود حرف فى الاسم يقتضى حركة معينة تناسبه، فما يناسب ياء المتكلم الكسرة قبلها فى حالة الإضافة إلى مفرد نحـــو: ظهر كتابى، اشتريت كتابى من القاهرة. فلا تظهر علامات الإعراب فى المضاف، وتقدر الضمة فى حالة الرفع، وتقدر الفتحة فى حالة النصب.

(٢) الإعراب: وا: حرف ندبة، أبا: مندوب منصوب وعلامة النصب الألف لأنه من الأسماء الستة، وهو مضاف.

طالباه ـ طالب: مضاف إليه مجرور وعلامة جره كسرة مقدرة منع عن ظهورها فتحة المناسبة للألف الزائدة. وهاء السكت: حرف مبنى على السكون.

فإنه بمنزلة وا عبد المطلباه (١) ، وا من قاد حرب ومضاناه بمنزلة وا ساداناه — أما المتوجع منه فيجوز فيه ذلك ولو لم يكن معروفا نحو: وامصيبتاه .

ويلحظ فى المندوب إطالة الصوت ، وهو ما يتفق والحال النفسية للنادب تنفيسا عن المشاعر ، ولهذا تزاد ألف الندبة فإن أدت إلى لبس جعلت الألف ياء بعد الكسرة ، فللتفجع — مثلا — على غلام مضاف إلى المخاطبة تقول : واغلامكي (٢) ، أو واوا بعد الضمة نحو واغلامهو أو واغلامكمو . وإعراب الواو — هنا — حرف زائد مبنى على السكون لا محل له من الإعراب .

ومما يتفق وإطالة الصوت فى المندوب - ومثله المستغاث - أن كلا المندوب والمستغاث لا يرخمان (٣) ، ولا يجوز حذف حرف الندبة ولا حذف المندوب .

يقول محمود أبو الوفا الشاعر المعاصر :

لهف ، والهفاه قلب ثائر ... حل هذا القلب فى الجسم القعيد (٤) .

---

(١) شرح ابن عقيل ص ٤٢٥ ، الكتاب ٢/٢٢٤ ، أوضح المسالك ص ٢٢٨
عبد المطلب هو حافر بئر زمزم بعد اسماعيل .

(٢) شرح ابن عقيل ص ٤٢٦ . وان قلت : وا غلامكا لأفادت ندب غلام مضاف إلى مخاطب . وتعرب غلامكى - غلام مندوب منصوب وعلامة النصب فتحة مقدرة منع عن ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة . الكاف: ضمير متصل مبنى على الكسر فى محل جر مضاف إليه . الياء : حرف زائد مبنى على السكون .

(٣) أوضح المسالك ص ٢٢٩ .
أشرنا فى ترخيم المنادى أنه قد يكون للمداعبة وهى ليست بذات مجال فى الندبة والاستغاثة .

(٤) شعرى ص ٣٥ ط، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م.
لهف : من باب (فهم) حزن وتحسر ، والملهوف : المظلوم يستغيث .

الاستثناء

يقال ثنى الشىء : عطفه ، وثناه أيضا : كفه ، وثناه : صرفه عن حاجته ، وثناه : صار له ثانيا ، وثناه تثنية : جعله اثنين (١) .

ويعد الاستثناء نوعا من المفعول به بتقدير فعل محذوف هو ، أستثنى ، الذى تنوب منابه أداة الاستثناء : ومعنى الاستثناء إخراج عن الحكم العام إلى حكم ثان ، أو فى المصطلح النحوى صرف حكم المستثنى منه إلى حكم ثان بأدوات بعينها .

وأكثر أدوات الاستثناء استعمالا (إلا) و (حاشا) وهما حرفان ، (سوى) و (غير) وهما اسمان ويلحق بهما (بيد) (٢) ، (خلا) و (عدا) وهما مترددان بين الفعلية والحرفية ، وأقلها استعمالا : (ليس) و (لايكون) وهما فعلان .

ويتضمن أسلوب الاستثناء : مستثنى منه ، ومستثنى ، والأداة . وتعد (إلا) الأصل فى أدوات الاستثناء لأن غيرها يقدر بها (٣) : كما يذهب بعض النحاة إلى أنها العامل فى المستثنى (٤) ، ويقول ابن عقيل فى المنصوب على الاستثناء : « والصحيح ... أن الناصب له ماقبله بواسطة (إلا) (٥) » .

---

(١) مختار الصحاح : ث ن ى

(٢) وقد يلحق بها (لاسيما) لأنها تخرج مابعدها عما قبلها من حيث عدم المساواة فهو مفضل عليه فى الحكم ، وهو توسع عندنا إذ لاتعد (لاسيما) من أدوات الاستثناء حقيقة : يراجع ص ٩٧ من بحثنا هذا .

(٣) شرح المكودى ص ٨١

(٤) شرح المكودى ص ٨٣

(٥) شرح ابن عقيل ص ٢٣٨

(١) أحكام المستثنى بـ (إلا) :

أ ــ النصب : إن كانت الجملة تامة موجبة (١) .

ويسمى الاستثناء متصلا إذا كان المستثنى من جنس المستثنى منه ، فـ (أميمة) ــ مثلا ــ من الطالبات فتقول: أقبلت الطالبات إلا أميمة ـ بالنصب .

ويسمى الاستثناء منقطعا إذا كان المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، نحو : حضـــر الضيوف إلا سيارتهم ـ بالنصب ، فالسيارة ليست من جنس الضيوف (٢) .

ب ــ النصب (أو اتباع المستثنى منه) ـ إن كانت الجملة تامة غير موجبة . نحو : ما أقبلت الطالبات إلا أميمة . بالنصب على الاستثناء ، أو بالرفع يعرب بدل بعض من كل .

وكذلك إن كان المستثنى منقطعا نحو : مافى الشقة أحد إلا مكتبا أو مكتب ومذهب بنى تميم إبدال مالا يعقل ممن يعقل ، إذ قالوا : مافى الدار أحد إلا حمار فجعلوه بمنزلة مافى الدار أحد (٣) . والشاهد :

(١) يقصد بـ (تامة) أن بها مستثنى منه ، وبـ (موجبة) أنها مثبتـــة غير مسبوقة بنفى أو شبهه (النهى والاستفهام) .

(٢) قد يبدو الاستثناء المنقطع غريبا على الذهن إذا شبهنا الاستثناء فى اللغة بالطرح الحسابى ، فنحن نطرح الشىء مما هو أكثر منه ، وهو من جنسه ، ولكن الواقع اللغوى يتسع لاستثناء الشىء مما هو من غير جنسه ، لأن اللغة ليست تعبيرا عن مسائل ذهنية فحسب وإنما تعبر أيضا عن عواطف وانفعالات باستعمال الاستثناء المنقطع ، فإذا لم يكن ذلك الرباط المعنوى (أو النفسى) بين المستثنى والمستثنى منه فلا يصح نحو قوله : قابلت أحبائى إلا خنزيرا . ــ مثلا .

(٣) خزانة الأدب ٣١٥/٢

وبلدة ليس بهـــا أنيس ... إلا اليعافيــير وإلا العيس (١)

عشية لاتغنى الرماح مكانها ... ولا النبل إلا المشرفى المصمم (٢)

والتوسع فى فهم المستثنى منه بحيث يشمل المستثنى المنقطع وجه متقبل عندنا ، ذلك لأنه إذا قيــل ــ مثلا ــ « عاد يسرى والسائق إلا سيارته » ، كان للمتكلم عناية بالسيارة مثلما له عناية بالمستثنى منه (٣) ، كما تدل على موقف نفسى معين من ضيق أو سخرية ... أو الفخر .

وإن تقدم المستثنى على المستثنى منـــه فالغالب على المستثنى النصب ، كما فى الشاهد للعجاج :

وبلدة ليس بها طورى ... ولا ـ خلا الجن ـ بها إنسى (٤)

وتقول : مالى إلا الوالدين بار .

ويجيز بعضهم غير النصب فى المسبوق بالنفى ، والشاهد :

(١) الكتاب ٣٢٢/٢ ، أوضح المسالك ص١٢٤ ، شرح شذور الذهب ص٢٦٥ ، شرح الأشمونى ١٤٧/٢ اليعافير جمع يعفور وهو الظبى الأعفر الذى لونه لون التراب ، العيس بالكسر الإبل التى يخالط بياضها شقرة ، ويقـــال هى كرائم الإبل . والشاهد رفع (اليعافير) و (العيس) على البدلية من (أنيس) ، والتميميون يجيزون الإبدال ، ويختارون النصب فى الاستثناء المنقطع .

(٢) شرح الأشمونى ١٤٧/٢ ، خزانة الأدب ٣١٨/٣ ، والشاهد فيه إبدال (المشرفى) وهو السيف ، من الرماح ، و (النبـل) ، وإن لم يكن من جنسها ، وذلك على المجاز .

(٣) وذلك بالنظر ــ مثلا ــ إلى قيمتها المفقودة فى إصابة ، وكان المأمول أن يعود الثلاثة جميعا .

(٤) خزانة الأدب ٣١١/٣ وبعدها .

« إذا لم يكن إلا النبيون شافع (١) » .

ويقال : مالى إلا أبوك ناصر ، فيجعلون (ناصر) بدلا (٢) .

ج - يعرب مابعد (إلا) حسب موقعها من الجملة إن كان الاستثناء مفرغا (أى فى جملة غير تامة وغير موجبة) . نحو : هل رشيدة إلا مدرسة ؟ يعرب ما بعد (إلا) خبرا .

وفى قوله تعالى: «إن يتخذونك إلا هزوا» (٣) يعرب مابعد (إلا) مفعولا ثانيا.

وفى الشاهد :

وبالصريمة منهم منزل خلق   عاف تغير إلا النؤى والوتد

رفع « النؤى » على الإبدال لأن (تغير) وإن كان موجبا لفظا، ولكنه منفى معنى (٤).

ولعل تسمية الاستثناء المفرغ بهذا الاسم لأن ماقبل (إلا) تفرغ للعمل فيما بعدها (٥) ، أو أن الاستثناء فرغ من معناه الذى يكون فى الجملة التامة والموجبة ولهذا عبر ابن هشام - فيما نرى - بقوله : (وغير الموجب إن ترك فيه المستثنى فلا أثر فيه لـ (إلا) (٦) » .

---

(١) أوضح المسالك ص ١٢٤ ، شرح الأشمونى ١٤٨/٢

(٢) شرح الأشمونى ١٤٨/٢ ، المكودى ص ٨١

(٣) الأنبياء ٣٦ ، والفرقان ٤١

(٤) شرح التصريح ٣٤٩/١، شرح الشواهد للعينى ١٤٥/٢ ، مغنى اللبيب ٢٧٦/١ الصريمة : القطعة المنقطعة من معظم الرمل . لسان العرب ٢٢٨/١٥ ، النؤى : حفرة تكون حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر .

(٥) شرح التصريح ٣٥٨/١

(٦) شرح شذور الذهب ص ٢٥٩

ويجوز فى الاستثناء المفرغ أن يكون ما بعد (إلا) جملة كقولنا : ليس القائد إلا من يحمل الآخرين. وكذا الاستثناء المنقطع نحو: ما أعلنت الطوارىء للشرفاء إلا الذين يعبثون بمصالح البلاد . وتعرب الجملة بعد (إلا) فى محل نصب مستثنى (١) .

وإذا كانت (إلا) قد تهمل فى العمل الإعرابى فإنها لتقوية المعنى (٢) ، وقد ترد فى جملة قسم موجبة ومعناها منفى كقوله : أستحلفك بالله إلا أعنتنى . فـ (إلا) فى هذه العبارة حرف استثناء ملغى (٣) ، ونحو : بالله إلا صدقتنى الخبر أى ما أسألك إلا هذا .

وقد تكرر (إلا) للتوكيد فيكون مابعدها بدلا أو معطوفا . يقول ابن مالك :

وألغ (إلا) ذات توكيد كـ (لا   تمرر بهم إلا الفتى إلا العلا) .

ففى « لاتمرر بهم إلا الفتى إلا العلاء » علاء : بدل من (الفتى) (٤) ...

ومن شواهد تكرار (إلا) فى المعطوف قول أبى ذؤيب الهذلى .

هل الدهر إلا ليلة ونهارها   وإلا طلوع الشمس ثم غيارها (٥) .

وقد اجتمع تكرارها فى البدل والعطف فى قوله :

---

(١) مغنى اللبيب ٤٣٧/٢

(٢) يراجع أساليب النفى فى القرآن ص ٢٢٦ ، ص ٢٢٧

(٣) والمعنى : أستحلفك بالله أن تعيننى . ففى (تعيننى) فعل والضمير فاعل ، والنون للوقاية ، والياء فى محل نصب مفعول به .

(٤) شرح ابن عقيل ص ٢٤١ .

(٥) غيارها : غيوبها . ديوان الهذليين ٢١/١

مالك من شيخك إلا عمله ... إلا رسيمه وإلا رمله (١)

رسيمه : بدل من « عمله » ، ورمله: معطوف على « رسيمه » . وكررت (إلا) فيها توكيدا (٢):

(٢) المستثنى بـ (غير) و (سوى) وملحق بها (بيد) :

يعرب مابعد (غير) و (سوى) مضافا إليه ، أما (غير) و (سوى) فتعربان إعراب المستثنى بعد (إلا). فتقول : قام القوم غير زيد ، بنصب (غير) لأنك فى : « قام القوم إلا زيدا » ، تنصب (زيدا) . وفى قولك : ماقام أحد غير زيد لك رفع (غير) ونصبه كما تقول : ماقام أحد إلا زيد — بالرفع — أو إلا زيدا (٣).

وأصل (غير) أن تكون صفة واجبة الإضافة تخالف موصوفها (٤)، يقول الله : (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم) (٥).

وقد تقطع عن الإضافة لفظا لا معنى فتبنى على الضم ، فتقول : ليس غيرُ. أى

---

(١) الرسيم : ضرب من السير سريع مؤثر فى الأرض ، وقد رسم يرسم ـ بالكسر ـ رسيما . لسان العرب ١٣٢/١٥ الرمل : بفتحتين : الهرولة . (مختار الصحاح : ر م ل) ، الشيخ : تطلق على من فى الخمسين إلى آخر عمره (القاموس ٢٦٣/١) والمقصود — عندنا — تأثرك بشيخك فى حياته ، وبعد حياته التى تمضى سريعة .

(٢) الكتاب ٣٤١/٢ ، شرح ابن عقيل ص٢٤٢، شرح الشواهد للعينى ١٥١/٢

(٣) شرح ابن عقيل ص ٢٤٥ - بتصرف يسير .

(٤) شرح المكودى ص ٨٤ (٥) محمد ٣٨

ليس غير ذلك ، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفا واكتفاء بعلم المخاطب مايعنى (١)

وتعبير بـ« غير أن » يرد فى تأكيد المدح بما يشبه الذم كثيرا كقول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

فـ (غير أن سيوفهم) استثناء منقطع جعل كالمتصل لصحة دخول البدل فى المبدل منه (٢)، ومثل ذلك فى الشعر كثير (٣). وهى فى ذلك مثل (إلا) نحو قوله تعالى (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ...) (٤) فهى « أشبه بتأكيد الذم بما يشبه المدح ، فإن إطلاق الحجة على قول الذين ظلموا ذم فى صورة مدح (٥).

وقد ترد (سوى) مجرورة بـ (فى) أو (من) وحركات الإعراب مقدرة على آخرها للتعذر كما فى قولك :

ما أنتم فى سواكم إلا متخلفون . ، لم يسلط علينا من سوى أعمالنا.

أما (بيد) فهى اسم كـ (غير) (٦) وزنا ومعنى يقال : هو كثير المال بيد أنه بخيل ، وتختلف عنها فى كونها تختص بالاستثناء المنقطع ، ولا تقع إلا منصوبة ، ولا يوصف بها ، وتلازم الإضافة إلى (أن) وصلتها نحو : (أنا أفصح

---

(١) الكتاب ٣٤٥/٢ ، ٣٤٦

(٢) خزانة الأدب ٣٢٧/٣ .

(٣) أورد سيبويه شواهد أخرى فى « باب مالا يكون إلا على معنى (ولكن). الكتاب ٣٢٥/٢ (٤) البقرة ١٥٠

(٥) خزانة الأدب ٣٢٨/٣

(٦) القاموس المحيط ٢٧٩/٢

من نطق بالضاد بيد أنى من قريش) (١).

(٣) المستثنى بـ (خلا) و (عدا) و (حاشا):

يرد (خلا) و (عدا) مجردين من (ما)، أو مقترنين بها، وفى الحالتين يجوز فى المستثنى بها النصب أو الجر، فتقول: قابلت الزملاء خلا عليا أو على. أى قابلتهم خالين عن على، أو وقت خلوهم عن على.

فازت المتسابقات ماعدا اثنتين.

غير أن النصب هو الأرجح إذ أن (ما) مصدرية، والجـر قليل (٢) إذا قدرت (ما) زائدة (٣). تقول الألفية:

وحيث جرا فهما حرفان ... كما هما إن نصبـا فعلان

ومن شواهد النصب بـ (ما خلا).

ألا كل شىء ماخلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل (٤)

ومن شواهد الجر بـ (خلا) و (عدا):

خلا الله ما أرجو سواك، وإنما ... أعد عيالى شعبة من عيالكا (٥)

---

(١) السيوطى: همع الهوامع ١/٢٣٢ ط. دار المعرفة. بيروت.

(٢) شرح المكودى ص ٨٥

(٣) أوضح المسالك ص ١٢٩.

(٤) أوضح المسالك ص ١٢٨، مغنى اللبيب ١/١٣٣، شرح شذور الذهب ص ٢٦١، شرح الأشمونى ٢/١٦٤

(٥) شرح ابن عقيل ص٢٤٨، حاشية الصبان ٢/١٤٨، ١٦٣، خـزانة الأدب ٣/٣١٤ عيال الرجل من يعولهم جمع عيل ـ بتشديد الياء ـ شعبة: غصن.

أبحنا حيهم قتـلا وأسرا ... عدا الشمطاء والطفل الصغير (١)

يقول ابن مالك:

كـ (خلا) حاشا ولا تصحب (ما) ... وقيل (حاش) و (حشا) فاحفظهما (٢)

والمستثنى بـ (حاشا) مجرور.

يقول سيبويه: «وأما حاشا فليس باسم، ولكنه حرف يجر مابعده كما تجر (حتى) مابعدها وفيه معنى الاستثناء. وبعض العرب يقول: ما أتانى القوم خلا عبد الله، فيجعل (خلا) بمنزلة (حاشا)، فاذا قلت: (ماخـلا) فليس فيه إلا النصب» (٣).

غير أنه سمع النصب بـ (حاشا) كقوله «اللهم اغفرلى ومن يسمع، حاشا الشيطان وأبا الأصبغ (٤)».

٤ — المستثنى بـ (ليس) و (لايكون):

نعلم أن (ليس) فعل ماض ناسخ، وأن (إلا) حرف استثناء يقدر به غيره، وقد ورد من استعمالات (ليس) ماهو بمنزلة (إلا)، ولهذا قيل أنهما حرف فى باب الاستثناء، فعـل فى غيره (٥) يقول سيبويه: «فإذا جاءتا وفيهما معنى

---

(١) أوضح المسالك ص١٢٩، مغنى اللبيب ١/١٢٢، شرح ابن عقيـل ص ٢٤٩، ص٢٥٠، شرح الأشمونى ٢/١٦٣ الشمط ـ بفتحتين ـ: بياض شعر الرأس يخالط سواده.

(٢) للتفصيل يراجع: أساليب النفى فى القرآن ـ حاش لله ص٢٥٢ وما بعدها

(٣) الكتاب ٢/٣٤٩، ٣٥٠، ويراجع حديثنا عن (حتى) وافادتها الاستثناء فى «أساليب النفى فى القرآن»، ص ٢١٨ إلى ص ٢٢٩

(٤) أوضح المسالك ص ١٢٩، مغنى اللبيب ١/١٢٢، حاشية الصبان ٢/١٦٥

(٥) حاشية الملوى ص ٨٥

الاستثناء فان فيها إضمارا ، على هذا وقع فيها معنى الاستثناء ، كما أنه لا يقع معنى النهى فى (حسبك) إلا أن يكون مبتدأ »(١)

وفى الحديث: « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر»(٢)

يقول ابن هشام : « (ليس) هنا بمنزلة (إلا) فى الاستثناء ، والمستثنى بها واجب النصب »(٣) .

ومثل (ليس) قولك « لا يكون » فى المثال : « قام القوم ليس زيدا ، ولا يكون عمرا » ، والتقدير : ليس بعضهم زيدا ، ولا يكون بعضهم عمرا(٤)، وترك إظهار (بعض) استغناء كما ترك الاظهار فى لات حين (٥) .

ويعلل ابن هشام النصب للمستثنى بـ (ليس) و (لا يكون) بأن المستثنى بهما خبرهما ، واسمهما مستتر فيهما وجوبا ، وهو عائد على البعض المفهوم من الكل السابق (٦) .

(١) الكتاب ٢/٣٤٧

(٢) شبه خروج الدم من موضع الذبح بجرى الماء فى النهر ، وفى حديث آخر « أنهروا الدم بما شئتم إلا الظفر والسن » النهاية ٥/١٣٥

(٣) شرح شذور الذهب ص ٢٦٠ (٤) شرح المكودى ص ٨٥

(٥) الكتاب ٢/٣٤٧ نلحظ أن سيبويه يقارن الظواهر النحوية بعضها ببعض.

(٦) شرح شذور الذهب ص ٢٦٠ ، أوضح المسالك ص ١٢٨

الحال

(تعريفها — علاقتها بالمفعول ـ صاحبها ـ أحكامها ـ أقسامها ـ العامل فى الحال — حذف العامل وصاحب الحال) .

الحال : مكمل للجملة للدلالة على هيئة صاحب الحال وقت وقوع الفعل ، وحكمه النصب (١) . وصاحب الحال : قد يكون الفاعل أو نائبه والمفعول به أو هما معا أو غيرهما .

علاقة الحال بالمفعول :

تشبه الحال المفعول به (٢) ، يقول السيوطى (٨٤٩ — ٩١١ هـ) ... واختلفوا من أى باب نصب الحال ، فقيل نصب المفعول به ، وقيل نصب الشبيه بالمفعول به ، وهو الأرجح ، وقيل نصب الظروف ، (٣)

ويشرح ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) علاقة الشبه بالمفعول قائلا : (من حيث إن فى الفعل دليلا عليها ، كما كان فيه دليل على المفعول ، ولهذا فهى منصوبة مثله »(٤)

« وللحال شبه خاص بالمفعول فيه ، وذلك لأنها تقدر بـ (فى) كما يقدر الظرف بـ (فى) ، فإذا قلت : جاء زيد راكبا كان تقديره « فى حال الركوب . . » (٥) ،

(١) شرح التصريح ١/٣٦٦

(٢) كلة (الحال) تذكر وتؤنث ، واشتقاقها من التحول أى التنقل .

(٣) همع الهوامع ١/٢٣٦ دار المعرفة ـ بيروت .

(٤) شرح المفصل ٢/٥٥ ـ بتصرف. (٥) شرح المفصل ٢/٥٥

فى قوله تعالى (وإنكم لتمرون عليهم مصبحين)(١) تعرب « مصبحين » حالا أى فى الصبح .

وخص الشبه بظرف الزمان لأن الحال لا تبقى بل تنتقل إلى حال أخرى كما أن الزمان منقض .. ولذلك لا يجوز أن تكون الحال خلقة ، فلا يجوز : جاءنى زيد أحول ، ولا طويلا ، فإذا قلت : متحاولا أو متطاولا جاز لأن ذلك شىء بفعله وليس بخلقة »(٢) . وواو الحال تشبه (إذا) كلاهما منتصب الموضع . وما بعدهما لا يكون إلا جملة(٣) .

صاحب الحال :

وتكون الحال من الفاعل فى نحو قوله تعالى (دعوا الله مخلصين)(٤) ، (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين)(٥) .

وصاحب الحال نائب فاعل فى قوله تعالى (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا)(٦) ونلحظ أن ابن مالك فى تعريفه للحال ضرب مثلا للحال من الفاعل فقال :

(١) الصافات ١٣٧

(٢) شرح المفصل ٢/٥٥ ، باختصار .

(٣) شرح المفصل ٢/٦٨ — بتصرف

(٤) العنكبوت ٦٥

(٥) النور ٤٩

(٦) الفرقان ١٣

الحال وصف فضلة منتصب مفهم فى حال كـ (فردا أذهب)(١)

وربما ساغ ايراده فى التعريف لكثرته فى الاستعمال .

وصاحب الحال مفعول به فى قوله تعالى (يرسل الرياح مبشرات)(٢) .

ومثال مجىء الحال من الفاعل والمفعول معا قولك : « فحص الطبيب أذنى جالسين » أى كلانا كان جالسا ، وتقول : لقيته راكبين أى كلانا « الفاعل والمفعول » كان راكبا . ويقول عنترة :

« متى ماتلقنى فردين ترجف »(٣)

ولا فرق بين أن يكون المفعول مفعولا به أو غيره من المفعولات نحو : وجهت التوجيه رقيقا ، صمت الشهر كاملا ، جئت للصلاة مجردا ، سرت والبحر هائجا .

(١) يذكر الأستاذ عباس حسن — رحمه الله — أن كون الحال فضلة غالب ، فقد تكون بمنزلة العمدة أحيانا فى إتمام المعنى الأساسى للجملة ... ، فى قوله تعالى (وإذا بطشتم بطشتم جبارين) . (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) لا يتم المعنى الأساسى لو حذفت الحال . النحو الوافى ٢/٣٦٥ بتصرف يسير .

الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣ ، دار المعارف بمصر .

ونحسب أن المقصود بفضلة ورودها بعد جملة مستغنية عنها من جهة تراكيب الكلام لا من جهة المعنى الأساسى ، فـ (قاموا) تستغنى عن حال بعدها ، ولكن الحال لازمة لإتمام معنى الجملة .

(٢) الروم ٤٦

(٣) أى أنا فرد وأنت فرد ، والشاهد فيه قوله (فردين) وهو حال من الفاعل والمفعول . شرح المفصل ٢/٥٦

ومثال مجيء الحال من المبتدأ : الريح - طيبة - تهب ، الطلبة - مضربين - مسيئون . والحال مبينة للخبر فى قوله تعالى (لهم فيها مايشاءون خالدين) (١)

ومبينة للمضاف إليه فى قوله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا)(٢) فـ « ميتا » حال من « أخيه »(٣)

غير أن الحال لاتأتى عن المضاف إليه إلا إذا كان المضاف :

(أ) مصدرا نحو : سعدت بسعيك موصولا ، ويقول الله (إليه مرجعكم جميعا) (٤) .

(ب) وصفا عاملا عمل الفعل (كاسم الفاعل واسم المفعول ..) نحو : هذه طاهية الطعام شهيا ، هذا مرادكم محابيا .

(جـ) جزءا حقيقيا من المضاف إليه . نحو (ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا) (٥).

« إخوانا » حال من الضمير المجرور بالإضافة « هم » ، والمضاف « صدور » بعض حقيقى منه .

---

(١) الفرقان ١٦ يقول العكبرى : « خالدين » هو حال من الضمير فى « يشاءون » أو من الضمير فى « لهم » إملاء مامن به الرحمن ٢/١٦١

(٢) الحجرات ١٢

(٣) لذلك - فيما ترى - ذكر العكبرى أن « ميتا » حال من اللحم ، أو من « أخيه » إملاء مامن به الرحمن ٢/٢٤٠

(٤) يونس ٤ « جميعا » حال مبينة للمضاف إليه ، والمضاف مصدر ميمى أى رجوعكم .

(٥) الحجر ٤٧

يقول العكبرى : والعامل فيها معنى الإلصاق والملازمة (١)

وتقول : سرنى وجهه بشوشا . فالوجه مضاف ، وهو جزء حقيقى من المضاف إليه .

(د) كالجزء الحقيقى من المضاف إليه . نحو : يعجبنى زى المرأة أنيقة .

وتقول : وسائل الإعلام صادقا محققة لأهدافها .

فى الأمثلة السالفة إذا حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لايتغير المعنى العام . وفى القرآن الكريم : (.. واتبع ملة ابراهيم حنيفا) (٢)

حنيفا : حال من ابراهيم ، وهو مضاف إليه .

مسوغ تنكير الحال:

الأكثر فى صاحب الحال أن يكون معرفة لأن مايقع عليه حكم يقتضى أن يكون معلوما، وقد يجيء نكرة إذا كانت عامة أو خاصة أو مؤخرة عن الحال وفى ذلك يقول ابن مالك .

ولم ينكر غالبا ذو الحال إن ... لم يتأخر ، أو يخصص ، أو يبن (٣)
من بعد نفى ، أو مضاهيه كـ (لا ... يبغ امرؤ على امرىء مستسهلا) .

١ - تقدم الحال على النكرة : نحو - فيها قائما رجل ، والشاهد :

---

(١) راجع وجوها أخرى للاعراب .. إملاء مامن به الرحمن ٢/٧٥

(٢) النساء ١٢٥

(٣) شرح التصريح ١/٣٧٨ ، وهذا البيت مرتبط بالبيت بعده ومعنى « إن لم يبن من بعد نفى . . . » إن لم يظهر ...

وبالجسم منى بينا لو علمته شحوب وإن تستشهدى العين تشهد(١)

ويقول الشاعر :

وما لام نفسى مثلها لى لائم ولا سد فقرى مثل ما ملكت يدى (٢)

ويقول كثير عزة :

« لمية موحشا طلل (٣) »

٢ — أن تخصص النكرة :

(أ) بوصف : ففى قوله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا)(٤)

يقول العكبرى : « هو حال من الضمير فى (حكيم) أو من (أمر) ، لأنه قد وصف ... »(٥).

ويقول الشاعر :

نجيت يارب نوحا واستجبت له فى فلك ماخر فى اليوم مشحونا (٦)

(ب) باضافة : كما فى قوله تعالى :

(١) شرح ابن عقيل ص ٢٥٦ . جاز مجىء الحال « بينا » من المبتدأ المؤخر « شحوب » ، وهو نكرة لتقدمه عليه .

(٢) شرح ابن عقيل ص ٢٥٦

(٣) شرح شذور الذهب ص ٢٤ ، ص ٢٥٣ ، وأوضح المسالك ص ١٣٢ ، شرح التصريح ١/٣٧٥ (٤) الدخان ٤ ، ٥

(٥) إملاء مامن به الرحمن ٢/٢٢٩

(٦) شرح ابن عقيل ص ٢٥٧ ، شرح التصريح ١/٣٧٦ الفلك : السفينة — واحد وجمع ، يذكر ويؤنث . مخرت السفينة : جرت تشق الماء مع صوت .

(... وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين) (١) .

(ج) بعمل : نحو — سرنى مؤلف كتابا نافعا .

(د) بعطف معرفة عليها : نحو — انفض مؤتمر ورئيسه مغتبطين .

٣ — أن تقع النكرة بعد نفى أو شبهه (وهو هنا : الاستفهام والنهى) : كقول الراجز :

ماحم من موت حمى واقيا ولا ترى من أحد باقيا (٢) .

ومما وقع حالا بعد الاستفهام قوله :

ياصاح هل حم عيش باقيا فترى لنفسك العذر فى إبعادها الأملا(٣)

ومثال مايقع حالا بعد النهى قولك : لايركنن أحد إلى إنسان سائلا العون ، لايبغ رئيس على عامل مستمرئا الظلم .

٤ — أن تكون الحال جملة مقرونة بالواو : كما فى قوله تعالى (ـ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) (٤) .

يقول العكبرى : « يجوز أن تكون حالا من النكرة لأن المعنى يقتضيه (٥) . ونحسب أن العكبرى وقع على « حصول الفائدة » ذلك الشرط الذى رأينا فى

(١) فصلت ١٠

(٢) شرح ابن عقيل ص ٢٥٧ . حم — بالبناء للمجهول — : قدر ، حمى : نائب فاعل ، واقيا : حال من (حمى) .

(٣) شرح ابن عقيل ص ٢٥٧ ، شرح التصريح ١/٣٧٧ .

(٤) البقرة ٢١٦

(٥) إملاء مامن به الرحمن ١/٩٢

مسوغ الابتداء بالنكرة (١) ، والفائدة من النكرة إذا كانت خاصة أو عامة لأن اختصاصها — كما التفت بعض النحاة — يقربه من المعرفة ، (٢) ، وعمومها يستغرق كل أفراد الجنس فتشبه المعرف بـ (أل) الجنسية ، ويستوى عندنا أن يعبر عن هذا العموم بالنفي أو بالإيجاب .

وعلى الرغم من أن العكبرى وغيره وقف على ما يقتضيه المعنى فى آياتنا الكريمة (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) فقال: يجوز أن تكون (هو خير لكم) حالا إلا أنه وقف عند الآية الكريمة (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) (٣) فقال : الجملة نعت لقرية (٤) ، ذلك لأن بعض النحاة - فيما نرى - ذهب إلى أن مسوغات مجيء صاحب الحال نكرة كون الحال جملة مقترنة بواو الحال فى الإيجاب كما فى قوله تعالى (أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها)(٥) أما فى النفى فلا (٦) وعند العليمى — رحمه الله — أنه يجوز اعتباره لأنه لا يمنع أن يكون للشيء مسوغان (٧).

ومن مجيء صاحب الحال نكرة بلا مسوغ — عند بعضهم — قولهم : « عليه مائة بيضا » فـ (بيضا) حال من مائة وليس تمييزا لأن تمييز المائة لايكون منصوبا ، والدليل على أنه حال أنه لو رفع كان صفة للمائة ، والمائة مبهمة

---

(١) يرجع إلى ص ١٤ ، ص١٥ من بحثنا هذا .

(٢) مثلا شرح التصريح ٣٧٥/١ (٣) الحجر ٤

(٤) إملاء مامن به الرحمن ٧٢/٢ (٥) البقرة ٢٥٩

(٦) شرح التصريح ٣٧٧/١

(٧) حاشية العليمى ٣٧٧/١

الوصف ، (١) وفى الحديث : صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو شاك فصلى جالسا ، وصلى وراءه قوم قياما ... ، (٢) .

أحكام الحال :

تكون الحال غالبا منتقلة ، مشتقة ، نكرة .

١ — منتقلة : أى أن الحال لا تكون وصفا ثابتا لازما لصاحب الحال كالخلق والألوان . نحو : جئت مبتسما .

ومثال غير المنتقلة قولهم : « خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها » ، فـ (أطول) حال من (يديها) وهى لازمة (٣) . ويقول الله (خلق الله السموات والأرض بالحق) (٤) ، وتقول: وله ذهبي الشعر . ويقول الشاعر :

فجاءت به سبط العظام كأنما ... عمامته بين الرجال لواء (٥)

٢ — مشتقة : أى أن تكون وصفا مصوغا من مصدر كاسم الفاعل أوالمفعول والصفة المشبهة نحو : أشفقت عليها مريضة ، وقوله تعالى (دعوا الله مخلصين)(٦)

وربما جاءت الحال اسما جامدا نحو (فانفروا ثبات)(٧) فـ (ثبات) حال

---

(١) شرح التصريح ٣٧٨/١

(٢) مالك ابن أنس : الموطأ ص ١٠٣ تعليق : محمد فؤاد عبد الباقى ط. الشعب . القاهرة .

(٣) شرح شذور الذهب ص ٢٤٩ ، شرح الأشمونى ١٧٠/٢

(٤) العنكبوت ٤٤ (٥) شرح ابن عقيل ص ٢٥٢

(٦) العنكبوت ٦٥ (٧) النساء ٧١

من الواو في (انفروا) وهو جامد ، لكنه في تأويل المشتق ، أي متفرقين (١) .

ودلالة التأويل في نظرنا هو غلبة مجيء الحال مشتقة ، وقد يبدو التأويل غير ذي موضع في نحو قوله تعالى (وتنحتون الجبال بيوتا) (٢) . فـ (بيوتا) غير مشتق (٣) ، ومن التكلف تأويله بمشتق ، وكذا في (أأسجد لمن خلقت طينا) (٤) وهكذا فيما كانت الحال منه فرعا لصاحبها أو أصلا له (٥) .

وتقول : اشتريت القماش مترا بجنيه . أي مسعرا المتر بجنيه ، فالحال المؤول بها هذا اللفظ مأخوذة من مجموع الموصوف والصفة وهكذا يقال في وبعته يدا بيد ، أي مناجزة (٦) ، حضر إلينا برقا أي مسرعا كالبرق .

٣ — نكرة : ويعلل بعض النحاة كون الحال نكرة بأن المقصود وبيان الهيئة وذلك حاصل بلفظ التنكير فلا حاجة لتعريفه صونا للفظ عن الزيادة والخروج عن الأصل لغير غرض ، (٧) . ولئلا يتوهم كونه نعتـــا لأن الغالب كونه مشتقا وصاحبه معرفة (٨) .

---

(١) بدليل قوله تعالى (.. أو انفروا جميعا) شرح شذور الذهب ص ٢٥٠ ، شرح ابن عقيل ص ٢٥٣

(٢) الأعراف ٧٤

(٣) شرح المكودى ص ٨٦

(٤) الإسراء ٦١

(٥) شرح الأشمونى ٢/١٧١ حددت مواضع الحـــال الجامدة التي لا تؤول بمشتق بعشرة مواضع تراجع في أقسام الحال ص ٢٢٦ من بحثنا هذا

(٦) شرح ابن عقيل ص ٢٥٣ ، شرح المكودى ص ٨٧ ، حاشية الصبان ٢/١٧٠

(٧) شرح المكودى ص ٨٧

(٨) شرح الأشمونى ٢/١٧٢

يقول ابن مالك :

والحال إن عرف لفظا فاعتقد   تنكيره معنى كـ (وحدك اجتهد) .

فمعنى الحالية قد يستفاد من لفظ المعرفة (١) في قولك : جئت وحـــدك أي منفردا ، وكلمته فاه إلى في أي مشافهة . رجع عوده على بدئه ، أي عائدا على طريقه ، وجاءوا الجماء الغفير (٢) ، أدخلوا الأول فالأول أي مرتبين (٣) ، جاءت الخيل بداد أي متبددة (٤) ، تفرقوا أيادي سبأ أي مثل (٥) فتعريف الحال هنا بالإضافة .

وعند الكوفيين أن الحال إذا تضمنت معنى الشرط صح تعريفها نحو : زيد الراكب أحسن منه الماشي (٦) .

ويقع المصدر المنكر حالا نحو : أخذت ذلك عنه سماعا ، جاء زيد ركضا (٧) ، قتله صبرا (٨) وفي ذلك يقول ابن مالك :

---

(١) شرح شذور الذهب ص ٢٥٠ ، شرح التصريح ٢/٣٧٣ .

(٢) راجع بحثنا : الشواهد النحوية ص ١١٢ وما بعدها .

(٣) شرح التصريح ٢/٣٧٣

(٤) في هذا المثال التعريف بالعلمية فإن (بداد) في الأصل علم على جنس التبدد ، شرح شذور الذهب ص ١٥١ ، شرح الأشمونى ٢/١٧٤

(٥) السيوطي : المطالع السعيدة ١/٣٥٠ تحقيق : د. طاهر حمودة ط. السفير ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م .

(٦) شرح الأشمونى ٢/١٧٢ التقدير : زيد إذا ركب أحسن منه إذا مشى .

(٧) الركض : العدو .

(٨) صبرا : هو أن يحبس ثم يرمى حتى يموت : القاموس المحيط ٢/٦٦

ومصدر منكر حالا يقع   بكثرة كـ (بغتة زيد طلع)

وهو عند سيبويه والجمهور على التأويل بالوصف أي سامعا ، واكضا ، مصبورا ، باغتا(١) .

ومن القرآن الكريم (ثم ادعهن يأتينك سعيا)(٢) ، (... ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية)(٣).

أقسام الحال وارتباطها بصاحبها

أ ـ من حيث الإفراد وغيره :

قد تأتي الحال مفردة أو جملة أو شبه جملة .

والجملة الحالية تكون اسمية أو فعلية في محل نصب ، وتكون خبرية غير مقترنة بما يصرفها إلى الزمان المستقبل(٤) ، كـ (لن) والسين وذلك للمنافاة بين الحال الزمانية والاستقبال (٥) . يقول الحلو (٦):

(١) شرح الأشموني ١٧٢/٢ ، المطالع السعيدة ٣٤٨/١
(٢) البقرة ٢٦٠ .الضمير يعود إلى أربعة من الطير.   (٣) البقرة ٢٧٤
(٤) قال المطرزي:لاتقع جملة الشرط حالا لأنها مستقبلة ، فلا تقول: جاءزيد إن يسأل يعط فإن أردت صحة ذلك قلت : وهو إن يسأل يعط فتكون الحال جملة اسمية. حاشية الصبان ١٨٧/٢
(٥) وتصحيح بعضهم وقوع الشرط حالا في نحو (كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) الأعراف ١٧٦ بانسلاخ الشرط حينئذ عن أصله إذ معنى الآية فمثله كمثل الكلب في كل حال بيعده وجود الجواب في الآية. حاشية الصبان ١٨٧/٢
(٦) شاعر معاصر لايحتج بشعره إلا تمثيلا .

ياورد كم تشوق المدنفين إذا   مروا عليك ، وهم غاد ، ومرتحل .

ولما كانت الحال حكما على صاحبها كما أن الخبر حكم على المبتدأ فإنها تربط به كما يربط الخبر .

ترتبط الحال إذا كانت جملة اسمية بالواو ـ وتسمى واو الحال أو الابتداء(١) أو بالضمير أو بهما معا .

وإذا كانت الجملة الاسمية مؤكدة لمضمون الجملة السابقة فيجب تجريدها من الواو ، كما في قوله تعالى (ذلك الكتاب لاريب فيه)(٢) لاريب : في موضع نصب على الحال أي هذا الكتاب حقا أي غير ذي شك (٣) .

وقد يغني تقدير الضمير عن ذكره . نحو : اشتريت الذهب جراما بعشرة جنيهات أي جراما منه ، ويقول الشاعر :

إذا كل كلب عوى ألقمته حجرا   لأصبح الصخر مثقالا بدينار .

أي مثقالا منه .

وإذا كانت الحال جملة فعلية فعلها ماض مثبت ارتبطت بالواو و (قد) غالبا ، ويندر مجيء (قد) بدون الواو كما في قول النابغة الذبياني :

وقفت بربع الدار قد غير البلى   معارفها والساريات الهواطل (٤)

وتجرد الجملة الحالية من (الواو) و (قد) إذا صدرت بفعل ماض مثبت بعد (إلا) أو قبل (أو) العاطفة .

(١) ومعيارها صحة وقوع (إذ) موقعها ، شرح الأشموني ١٧٧/٢
(٢) البقرة ٢   (٣) إملاء ما من به الرحمن ١٠/١
(٤) الساريات : جمع سارية وهي السحابة تأتي ليلا . الشواهد للعيني ١٩٠/٣

تقول : ما تكلمت إلا ابتسمت . وتقول هى : لاحفظن زوجى غاب أو حضـر .

وفى القرآن الكريم (أو جاءوكم حصرت صدورهم) (١) وتقديره : « حصرة صدورهم » فى قراءة الحسن البصرى وغيره (٢) .

وورد اقترانها بالواو بعد (إلا) كقوله :

نعم امرءا هرما لم تعر نائبة ... إلا وكان لمرتاع بها وزرا (٣)

ويقول أبو صخر الهذلى :

وإنى لتعرونى لذكراك هزة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

وعند البصريين أن التقدير فيه : قد بلله القطر إلا أنه حذف لضرورة الشعر، ولا خلاف أنه إذا كان مع الفعل الماضى (قد) فإنه يجوز أن يقع حالا(٤) .

وإذا كانت الحال جملة فعلية فعلها ماض منفى بـ (ما) وجب اقترانها بالواو فحسب نحو : وقف وما حار جوابا .

إذا كانت جملة فعلية فعلها مضارع مثبت ارتبطت بالضمير فحسب نحـو : جاءت تضحك ، أما إذا وقعت قبله (قد) فترتبط بالواو : نحو : لم تجتمعون دونى وقد تعلمون سفرى ؟ يقول الأشمونى : وإذا جاء من كلامهم ما ظاهره أن جملة الحال المصدرة بمضارع مثبت تلت الواو حمل على أن المضارع خبر مبتدأ محذوف من ذلك قولهم : قمت وأصك عينه : أى وأنا أصك وقوله :

(١) النساء ٩٠
(٢) الإنصاف ١٤٤/١ بتصرف يسير
(٣) حاشية الصبان ١٨٨/٢
(٤) الإنصاف ١٤٧/١

فلما خشيت أظافيرهم ... نجوت وأرهنهم مالكا(١)

• علقتها عرضا وأقتل قومها (٢)

وإذا كان المضارع منفيا بـ (لم) أو بـ (لما) فالمختار ربطها بالواو والضمير معـا ، نحو أبلغت عن الجريمة ولم أخش المعتدين ، حاز جوائز كثيرة ولما ينته العام .

وإذا كان المضارع منفيا بـ (ما) أو (لا) ارتبطت بالضمير ، نحـو : أعرفك ماتحب الشر ، أعهده لايسعى للشهرة .

إذا كانت الحال مفردة وشبه جملة ارتبطت بالضمير فحسب، نحو أصيب الرئيس واقفا ، جلس القائد بين رجاله .

وفى القرآن الكريم (فسلام لك من أصحاب اليمين)(٣) أى حال كونك من أصحاب اليمين (٤) .

(١) شرح الأشمونى ١٨٧/٢ ، المطالع السعيدة ٣٩٢/١
(٢) علقتها — بالبناء للمجهول — من علاقة الحب . عرضا : أى عارضا غير مقصود لى ، وتعرب تمييزا . والشاهد فى « وأقتل قومها » أى وأنا أقتل ، وقع الفعل « أقتل » حالا وهو مضارع مثبت ، والأصل فيه ترك الواو ، وتأول بالجملة الاسمية . حاشية الصبان ١٨٧/٢ ، شرح الشواهد للعينى ١٧٨/٢ .
(٣) الواقعة ٩١ .
(٤) يقول ابن القيم : « فسلام لك كائنا من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنكادها ، ومن النار وعذابها » التفسير القيم ص ٤٦٩ . ط. السنة المحمدية ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م . القاهرة

ب : من حيث جريانها على صاحبها أو عدم جريانها :

هي قسمان :

١ ــ حقيقية ـ نحو : أقبلت المرأة نظيفة . فهذه حال من المرأة نفسها .

٢ ــ سببية ـ نحو : أقبلت المرأة نظيفا ملبسها. فهذه حال مما يتعلق من المرأة بسبب ، وهو الملبس .

والحال السببية ترفع اسما ظاهرا مضافا لضمير يعود على صاحب الحال ، وتطابق والاسم المرفوع بها تذكيرا وتأنيثا ، والأفضل أن تلزم الإفراد دون التثنية والجمع نحو : أقبلت الطالبات باسمة وجوههن ، استأجرت المسكن واسعة حجراته .

جـ : من حيث الانتقال والثبات :

تنقسم الحال إلى :

١ ــ مبينة لهيئة صاحبها مدة مؤقتة ، نحو : جئت مبتسما وتسمى الحال المبينة أو المؤسسة ، وهي التي لا يستفاد معناها بدون ذكرها .

٢ ــ مؤكدة لصاحبها أو عاملها أو مضمون الجملة الاسمية . وهيئة صاحبها ملازمة غالبا . نحو :

(لآمن من في الأرض كلهم جميعا)(١)

(وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد)(٢) ، ففي (غير بعيد) تعرب (غير)

---

(١) يونس ٩٩ مثل ابن مالك بالآية للحال المؤكدة لعاملها، وهو سهو كما يقول ابن هشام . شرح شذور الذهب ص ٢٤٧ .

(٢) ق ٣١ . أزلفه : قربه .

حالا مؤكدة للعامل . وكذلك في (ولى مدبرا)(١) .

(ويوم أبعث حيا)(٢) حيا : حال مؤكدة للبعث .

(ولا تعثوا في الأرض مفسدين)(٣)

(وأرسلناك للناس رسولا)(٤)

رسولا : حال مؤكدة للعامل معنى ولفظا ، وكذا (سخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره)(٥) في قراءة من نصب (والنجوم) عطفا على ما قبلها (٦) ومن الحال التي تؤكد مضمون الجملة قبلها : قولك ـ أنا عبدك يارب مطيعا .

وقول سالم بن دارة :

أنا ابن دارة معروفا بها نسبي   وهل بدارة يا للناس من عار (٧)

ف (معروفا) حال مؤكدة لمضمون الخبر وهو الفخر .

ونلاحظ أن جزءي الجملة معرفتان ، لأن التأكيد إنما يكون للمعارف ،(٨)

---

(١) القصص ٣١   أدبر : ولى هاربا .

(٢) مريم ٣٣ .

(٣) البقرة ٩٥ ، العنكبوت ٣٦ عثى ـ بالكسر ـ عثوا وعثى : أفسد .

(٤) النساء ٧٩   (٥) النحل ١٢

(٦) إملاء مامن به الرحمن ٢/٧٩

(٧) شرح شذور الذهب ص ٢٤٧ ، شرح ابن عقيل ص ٢٦٥ ، وشرح الأشموني ١٨٥/٢

(٨) المطالع السعيدة ٣٥٨/١

د — من حيث الجمود أى غير مؤولة بمشتق :

وذلك فى مواضع تغنى عن الاشتقاق :

١ — الوصف نحو : (فتمثل لها بشرا سويا)(١) ، (قرآنا عربيا)(٢)

وتقول : جاءنى زيد رجلا حسنا (٣) وتسمى الحال الموطئة — بكسر الطاء — أى ممهدة لما بعدها فهو المقصود لذاته (٤).

٢ — تقدير مضاف قبله كقولهم : وقع المصطرعان عدلى عير أى مثل عدلى.

٣ — إذا دلت على عدد كما فى قوله تعالى (...فتم ميقات ربه أربعين ليلة)(٥)

والتقدير : فتم ميقات ربه كاملا (٦) .

٤ — إذا دلت على أصالة الشىء نحو : هذا سوارك ذهبا. أى حال أصله من ذهب ، ومنه (أأسجد لمن خلقت طينا)(٧)

٥ — إذا دلت على فرعية الشىء: نحو : هذا حديدك خاتما، قطع الشجر خشبا.

٦ — إذا دلت على نوعية صاحبها . نحو : هذه أطباقنا فضة .

---

(١) مريم ١٧

(٢) يوسف ٢ ، إملاء مامن به الرحمن ٢/٤١٨

(٣) الطالع السعيدة ١/٣٥٧ (٤) حاشية الصبان ٢/١٧١

(٥) الأعراف ١٤٢

(٦) وقيل هو مفعول (تم) لأن معناه « بلغ » فهو كقولهم : بلغت أرضك جريبين. إملاء مامن به الرحمن ١/٢٨٤

(٧) الإسراء ٦١

٧ — إذا دلت على سعر : نحو : بعت الدار ذراعا بجنيه ، أى مسعرا.

٨ — إذا دلت على مفاعلة : نحو — بعته رأسا برأس أى مماثلة . وفى الحديث الشريف : « الذهب بالذهب ... مثلا بمثل ، يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى »(١).

٩ — إذا دلت على طور فيه تفضيل على نفسه باعتبارين أو غيره. نحو : هذا بسرا أطيب منه رطبا (٢) ، سعاد طفلة أحسن من صفية كهلة .

١٠ — إذا دلت على تشبيه . نحو : كر زيد أسدا . أى مشبها أسدا (٣) .

وفى بيت هند بنت عتبة :

أفى السلم أعيارا ، جفاء وغلظة   وفى الحرب أشباه النساء العوارك (٤)

نصب « أعيارا » على الحال ، والعامل فيه مختزل : لأنه أقام الأعيار مقام اسم مشتق ، فكأنه قال : فى السلم بلداء جفاة مثل الأعيار. (٥)

هـ — الأحوال المركبة :

وردت ألفاظ تعرب حالا والأصل فيها الإضافة أو العطف .

---

(١) صحيح البخارى

(٢) البلح يكون بسرا — بضم الباء — ثم رطبا ثم تمرا ، الواحدة بسرة

(٣) الطالع السعيدة ١/٣٤٨ وتلحظ أنه أورد تسعة مواضع للحال الجامدة ، والساقط ماتدل فيه على عدد .

(٤) العير : الحمار ، عركت المرأة : حاضت .

(٥) خزانة الأدب ٣/٢٦٤

فما أصله الإضافة قولهم : « بادىء بدء » أى مبدوءا به .

ومما أصله العطف قولهم : تفرقوا شغر بغر(١) أى منتشرين ، وحديث عائشة « إن عمر شرد الشرك شذر مذر » أى فرقه وبدده فى كل وجه (٢) ، وهو جارى بيت بيت أى ملاصقا ، تركت البلاد حيث بيث . بمعنى مبحوثة أى بحث عن أهلها واستخرجوا منها (٣) .

تعدد الحال

قد يتعدد الحال مفردا ، وغير مفرد كما فى قوله تعالى (فرجع موسى غضبان أسفا) (٤) ، (ادخلوها بسلام آمنين)(٥) .

ومن قصيدة « موكب الربيع » للشاعر محمد هارون الحلو :

(١) ويروى بكسر أولها . القاموس المحيط ١/٣٧٥ ، ٢/٦٠ الشغر : الاتساع أو البعد ، ومن استعمالنا المعاصر « وظيفة شاغرة » أى فارغة ممن يشغلها .

(٢) يروى « شذر مذر » بكسر الشين والميم وفتحهما » . النهاية ٢/٤٥٣ ، القاموس ٢/٥٧ يقال : ذهبت غنمك شذر مذر ، وتشذر القوم : تفرقوا . أساس البلاغة : ش ذ ر ، م ذ ر

(٣) المطالع السعيدة ص ٣٥٩ .

(٤) طه ٨٦ ومثل هذين الحالين المتتابعين ماورد فى سورة الأعراف الآية ١٥٠ . يقول العكبرى : « أسفا ـ حال آخر بدل من التى قبلها ، ويجوز أن يكون حالا من الضمير الذى فى (غضبان) » إملاء مامن به الرحمن ١/٢٨٥ .

(٥) الحجر ٤٦ .

.. رفت قلوب الهوى فيه مدللة ... تسعى على حذر ، والليل منسدل

.. تهفو علينا بك الأحلام ريقة ... والعيش أسبابه موصولة ذلل .

يقول السيوطى « وإذا تعدد ذو الحال ، واقترن الحالان نحو : لقيت زيدا مصعدا منحدرا ، حمل الحال الأول على الاسم الثانى لأنه يليه ، والحال الثانى على الاسم الأول فـ (مصعدا) لزيد ، و (منحدرا) للتاء »(١) ثم يقول : « ويجوز عكس هذا مع أمن اللبس ، فإن خيف تعين المذكور أولا (٢) » .

مرتبة الحال وصاحبها وعاملها

مرتبة الحال مع صاحبها :

تؤخر الحال عن صاحبها ، ولكنها تقدم وجوبا فى مواضع ثلاثة :

١ ـ إذا كان صاحبها نكرة محضا نحو : جاء مرهقا رجل .

٢ ـ إذا كانت الحال محصورة نحو : ماعاد خائبا إلا عدوك .

٣ ـ إذا كان صاحب الحال مضافا إلى ضمير مايلابسها أى يعود على مايتعلق بها نحو : أبحر يدبر الباخرة ربانها . فتقدم الحال فى هذا الموضع لئلا يلزم الفصل بين المضاف والمضاف إليه وهما معا كالصلة مع الموصول (٣) .

(١) ووجهه بأن فيه اتصال أحد الحالين بصاحبه ، وعود مافيه من ضمير إلى أقرب مذكور ، واغتفر انفصال الثانى وعود ضميره على الأبعد إذ لايستطاع غير ذلك .

(٢) المطالع السعيدة ١/٣٥٦

(٣) شرح الأشمونى ٢/١٧٨

عامل الحال :

يكون عامل الحال لفظيا أو معنويا .

فالعامل اللفظى هو الفعل وما يجرى مجراه من الأسماء (المصدر ، اسم الفعل ، اسم الفاعل ، اسم المفعول ، الصفة المشبهة .) نحو : قيامك مسرعا سبب تعثرك ، رويدك سائقا لسيارة ، هو معطيه الجائزة مجيبــا ، هو مضروب جالسا ، زيد حسن قائما .

والعامل المعنوى هو ما تضمن معنى الفعل دون حروفه وهو :

أ ـــ اسم الاشارة كما فى قوله تعالى (هذا بعلى شيخا)(١) ، (إن هذه أمتكم أمة واحدة)(٢) ؛ (وأن هذا صراطى مستقيما)(٣) فإن عامل الحال حرف التنبيه أو اسم الاشارة (٤) ؛ فالتنبيه ب (ها) والإشارة ب (ذا)(٥) . أى أنظر إليه أو أشير إليه فى حال كذا .

ب ـــ الجار والمجرور نحو : زيد فى الدار قائما ف (قائما) حال من المضمر فى الجار والمجرور وهو العامل فيها لنيابته عن الاستقرار ، فهذا العامل معنى فعل

---

(١) هود ٧٢ هذا : مبتدأ ، بعلى : خبر مضاف ، والضمير فى محل جر مضاف إليه ، شيخا : حال .

(٢) الأنبياء ٩٢

(٣) الأنعام ١٥٣

(٤) حاشية الصبان ١٨١/٢

(٥) شرح المفصل ٥٨/٢

لأن لفظ الفعل ليس موجودا (١) .

جـ ـــ الظرف . نحو : حسام عندك ضيفا .

د ـــ أحرف التمنى والترجى والتنبيه والتشبيه والنداء والاستفهام . نحو : ليته عندك مقيما ، لعله علينا مقبلا ، ها إنه الرائد متحمسا ، كأنه البرق مسرعا ، ياصديق واعدا بالخير ، من ذا طارقا ؟ ما بالك ساهرا ؟

وفى القرآن الكريم (فما لهم عن التذكرة معرضين)(٢) ، (ومالنا لا نؤمن)(٣)

ونحن نلحظ ـ كما ذكر النحاة ـ أن إسناد الفعل إلى الأشياء العشرة ظاهرى ، وأن العامل فى الحقيقة الفعل المدلول عليه بها ك (أشير) و (أنبه) ، وفعل الشرط فى ، أما علما فعالم ، إذ التقدير مهما يذكر إنسان فى حال علم ، وحينئـــذ فيتحد العامل فى الحال وصاحبها (٤) وهو الغالب .

---

(١) هذا إذا جعلته ظرفا لزيد ومستقرا له فإن جعلته ظرفا للقائم قلت : زيد فى الدار قائم فترفع (قائما) بالخبر ، ويكون الظرف صلة له . شرح المفصل ٥٧/٢

(٢) المدثر ٤٩

(٣) المائدة ٨٤ ما : فى موضع رفع بالابتداء ، جملة (لانؤمن) حال من الضمير فى الخبر (لنا) والعامل فيه الجار أى مالنا غير مؤمنين كما تقول : مالك قائما ؟ إملاء مامن به الرحمن ٢٢٤/١

ويستفاد من قول العكبرى أن (لا) النافية فى جملة مضارعية تقع فى محـــل نصب حالا تقدر بكلمة (غير) المنصوبة على الحـــال ، المضافة ، وأن المضارع بعدها يقدر باسم الفاعل ، هو المضاف إليه ، تقول ـ مثلا ـ ما أنتم لاتتكلمون ؟ أى ما أنتم غير متكلمين أى فى هذه الحالة التى لاتتكلمون فيها . براجع أيضا : النحو الوافى ٣٩٨/٢

(٤) حاشية الصبان ١٨١/٢

مرتبة الحال مع عاملها :

والعامل فى الحال إذا ضمن معنى الفعل دون حروفه لا يتقدم عليه الحال لضعفه (١) إذ حق الحال أن تتأخر عن عاملها . وفى قول الشاعر :

تسليت طرا عنكم بعد بينكم   بذكراكم حتى كأنكم عندى

(طرا) حال من المجرور فى (عنكم) وتقدم عليه (٢) ، لأن المجرور بالحرف مفعول به فى المعنى كما يقول بعض النحاة فلا يمتنع تقديم حاله عليه كما لا يمتنع تقديم حال المفعول به(٣) . وفى القرآن الكريم (وما أرسلناك إلا كافة للناس)(٤)

ويجوز تقديم الحال على عاملها إذا كان العامل :

أ ـ فعلا متصرفا (٥) نحو : مخلصا زيد دعا .

ب ـ صفة أشبهت الفعل المتصرف(٦) ، نحو : مسرعا ذا راحل . فـ(مسرعا) حال ، والعامل فيه « راحل » ، وهو صفة أشبهت المتصرف لأنه اسم فاعل .

---

(١) شرح المكودى ص ٨٩   (٢) شرح الشواهد للعينى ٢/١٧٧

(٣) شرح الأشمونى ٢/١٧٦

(٤) سبأ ٢٨   كافة مختص بمن يعقل وبالنصب على الحال كـ (طرا) و (قاطبة) ، وهى فى الأصل اسم فاعل من (كف) أى منع ، كأن الجماعة منعوا باجتماعهم أن يخرج منهم أحد . حاشية الصبان ٢/١٧٧

(٥) الفعل المتصرف ما استعمل منه الماضى والمضارع والأمر ، وغير المتصرف مالزم لفظ الماضى .

(٦) الشبيه بالمتصرف ما تضمن معنى الفعل وحروفه ، وقبل علامات الفرعية كالتثنية والجمع والتأنيث ، وذلك غير أفعل التفضيل. شرح الأشمونى ٢/١٧٩ ، حاشية الصبان ٢/١٧٩ وما بعدها ، شرح المكودى ص ٧٩

« وهذا تحملين طليق »(١)

جملة « تحملين » فى موضع نصب على الحال ، وعاملها « طليق » ، وهو صفة مشبهة .

وفى المثل « شتى تؤوب الحلبة » .

فـ(شتى) حال متقدمة على الفعل العامل فيها مع الاسم الظاهر (٢) .

ويجب تقديم الحال على عاملها :

أ ـ إذا كان لها صدر الكلام نحو : كيف جاءت تماضر ؟

ب ـ مما وقع فيه اسم التفضيل متوسطا بين حالين من اسمين.

نحو : عبد المجيد أستاذا خير منه وزيرا(٣) .

(ونحو زيد مفردا أنفع من   عمرو معانا ...)

فـ « مفردا » حال من الضمير فى « أنفع » ، و « معانا » حال من عمرو ، والعامل فيهما « أنفع »(٤) .

وندر تقديم الحال على عاملها الظرف والمجرور المخبر بها نحو : سعيد مستقر

---

(١) من بيت ليزيد بن مفرغ الحميرى يخاطب فرسه بعد أن خرج من سجن عبد الله بن زياد والى سجستان فى عهد معاوية . منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ص ١٤٧ .

(٢) الإنصاف ١/١٤٢ ، حاشية الصبان ٢/١٨٠

الحلبة ــ بالتحريك ــ جمع حالب ، أى يرجعون متفرقين .

(٣) شرح الأشمونى ٢/١٨٢ « بتصرف » .

(٤) حاشية الصبان ٢/١٨٣ ، شرح المكودى ص ٩٠

عندك ، أو فى هجر (١) .

وفى قراءة : (والسموات مطويات بيمينه) (٢) بنصب « مطويات » ، (مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا) (٣) بنصب « خالصة » .

حذف العامل وصاحب الحال :

قد يحذف الفعل — أى عامل الحال — لقرينة حالية أو لفظية . فمن الحذف لقرينة حالية أن ترى مسافرا فتقول : سالما إن شاء الله . أى سافر سالما ، وعند القدوم من الحج تقول : مأجورا مبرورا ، وإذا سمعت من يخبر بالأخبار تقول : صادقا والله (٤) وتقول : أإشتراكيا مرة ورأسماليا أخرى ؟ (٥) فتنصب على الحال ، والعامل فيه فعل محذوف تقديره تتنقل .

ومن الحذف لقرينة لفظية قولك : راكبا لمن استفهم : كيف جئت ؟ ، بلى مسرعا لمن قال : لم تنطلق (٦) ويقول الله :

(أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه) (٧)

قادرين : حال من الفاعل ، أى بل نجمعها قادرين (٨)

---

(١) شرح الأشمونى ٢/١٨١

(٢) الزمر ٦٧ يقول الفراء : « ... وينصب (مطويات) على الحال أو على القطع ، والحال أجود » . معانى القرآن ٢/٤٢٥

(٣) الأنعام ١٣٩ .

(٤،٥) وإذا رفعت بإضمار مبتدأ فصحيح أيضا . شرح المفصل ٢/٦٨ بتصرف

(٦) المطالع السعيدة ١/٣٦٣ بتصرف يسير

(٧) القيامة ٣ ، ٤ .

(٨) إملاء ما من به الرحمن ٢/٢٧٤

يقول السيوطى : « ويستثنى ما إذا كان العامل معنويا كالظرف والمجرور واسم الإشارة ونحوها فإنه لا يجوز حذفه عند الأكثرين فهم أم لا لفرعيته وضعفه » (١)

كما يحذف العامل وصاحب الحال إذا بين زيادة أو نقصا بتدريج (٢) نحو : قولك بجنيه فصاعدا ، فـ (صاعدا) حال ، والتقدير : ذهب الثمن صاعدا ، حذف صاحب الحال (الثمن) ، والعامل فيه (ذهب) ، ونحو . اشترى بدينار فسافلا (٣) .

ويحذف وجوبا إذا جرت مثلا كقول العرب : حظيين بنات ، صلفين كنات (٤) فـ (حظيين) و (صلفين) حالان والعامل فيها : عرفتهم (٥) .

---

(١) المطالع السعيدة ١/٣٦٣

(٢) ذكره بعض النحاة فى مواضع وجوب حذف العامل وزادوا : إذا وقع بدلا من اللفظ بالفعل نحو هنيئا مريئا ، أى ثبت له ذلك ، أو توبيخا نحو : ألاهيا وقد جد قرناؤك ؟ شرح التصريح ١/٣٩٣ ، المطالع السعيدة ١/٣٦٤

ونرى أن هذه المواضع تندرج تحت القرينة الحالية أو المقالية (أى اللفظية)

(٣) ولا يجوز هنا من حروف العطف إلا (الفاء) و (ثم) . حاشية العليمى ١/٣٩٣ .

(٤) يقال حظيت المرأة عند زوجها حظوة — بضم الحاء وكسرها — أى سعدت به ودنت من قلبه ، وضدها : صلفت عنده أى ثقلت عليه وولاها صليف عنقه ، أى جانبه . الكنة — بفتح الكاف — : امرأة الابن وامرأة الأخ . بنات وكنات منصوبان على التمييز . النهاية ١/٤٠٥ ، ٣/٤٧ ، ٤/٢٠٦ .

(٥) شرح المكودى ص ٩٢ ، المطالع السعيدة ١/٣٦٣ .

التمييز

(صلته بالمفعول ، تعريفه ، نوعاه ، تقدم التمييز ، حكم العدد : الصريح والكناية)

تلمس النحويون وجه شبه بين التمييز والمفعول ، فقالوا يكون موقعه آخرا كما أن المفعول كذلك فإنه يأتي فضلة أي بعد استقلال الفعل بفاعله ، ولذلك وجب أن يكون منصوبا .

ويشبه التمييز الحال في كونه نكرة ، منصوبا ، فضلة ، مبينا لإبهام ولعل أهم ما يفترق عنه أن الحال لبيان الهيئات ، والتمييز يكون لبيان الذوات أو لبيان جهة النسبة والتمييز لايكون إلا مفردا ، أما الحال فقد تكون جملة أو شبه جملة(١)

تعريفـــه :

يقـــال ماز الشيء - من باب باع - عزله وفرزه وكذا ميزه (٢) . ومن المجاز (تكاد تميز من الغيظ)(٣) . أي ينفصل بعضها من بعض أو يتقطع (٤).

وفي المصطلح النحوي (ويسمى أيضا المميز) — بصيغة اسم الفاعل — اسم

(١) ابن الحاجب : الكافية في النحو ١/٢١٦ ط . دار الكتب العلمية . بيروت ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ ، شرح المفصل ٢/٧٠ وما بعدها ، شرح شذور الذهب ص ٢٥٤ وما بعدها ، النحو الوافي ٢/٤٢٩ .

(٢) الزمخشري : أساس البلاغة ص ٩٢٣ .ط . الشعب . القاهرة ١٩٦٠م.

(٣) الملك ٨ والضمير يعود إلى (جهنم) .

(٤) شرح شذور الذهب ص ٢٥٤ ، مختار الصحاح : م ي ز

نكرة بمعنى (من) الجنسية مبين لإبهام اسم سابق أو نسبه (١) وحكمه النصب .

ففي قولك : اشتريت مترا يحتاج المتلقي إلى بيـــان متر (من) ماذا (٢) ؟ فتقـول مترا حريرا أو اشتريت مترا من حرير أو متر حرير . فقد استعملت الإضافة أو الجار والمجرور أو التمييز . وإذا كان كل منصوب على التمييز فيه معنى (من) فإن بعضه يصلح لمباشرتها دون بعض ، فالذي لايصلح لمباشرتها (من) الواقعة بعد العدد ، وتمييز الجملة (٣) .

ونلاحظ أن التمييز مفرد لأنه إنما يطلب فيه بيـــان الجنس ، وذلك يتأدى بالمفرد (٤) فإذا كان جمعا فهم النوع وأنه كان من جهات شتى (٥) . كما في قوله تعالى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) (٦)

نوعا التمييز :

١ — تمييز ملحوظ (أو تمييز النسبة) .

٢ - " ملفوظ (أو تمييز الذات).

(١) الكافية ١/٢٢٢ ، أوضح المسالك ص ١٤٠ ، المطالع السعيدة ١/٣٦٥ ، تحرير النحو العربي ص ١٤٦ .

(٢) تستعمل (من) لبيان الجنس ، وكثيرا ماتقع بعـــد (ما) و (مهما) لإفراط إبهامها نحـــو (ماننسخ من آية) البقرة ١٠٦ ، (مهما تأتنا به من آية) الأعراف ١٣٢ . مغني اللبيب ١/٣١٩

(٣) المطالع السعيدة ١/٣٦٦ .

(٤) شرح شذور الذهب ص ٢٥٧ ، الكافية ١/٢١٩

(٥) شرح المفصل ٢/٧١ ، الكافية ١/٢٢١ وما بعدها .

(٦) الكهف ١٠٣ .

(١) التمييز الملحوظ

التمييز الملحوظ : هو تمييز الجملة ، أو المبين لجهة النسبة ، ويكون محولا من الفاعل أو المفعول أو غير محول .

فمعنى ازددت اقتناعا بالإسلام   هو   ازداد اقتناعى بالإسلام .

ومعنى حسنت البيت أثاثا   هو   حسنت أثاث البيت .

فى العبارة الأولى حول التمييز عن الفاعل ، وفى الأخيرة حول عن المفعول والسبب « قصدهم إلى ضرب من المبالغة وتأكيد العناية به »(١) .

وقد عد ابن هشام التمييز فى (أنا أكثر منك مالا)(٢) محولا عن غير الفاعل قائلا : أصله - مالى أكثر ، ومثله : زيد أحسن وجها ، وعمرو أنقى عرضا .(٣)

ولعل من الأيسر القول : كثر مالى ، وحسن وجهه . فيكون محولا عن الفاعل وهما فاعلان معنى (٤) .

وفى عين النسبة الواقع بعدما يفيد التعجب يقول ابن مالك :

وبعد كل ما اقتضى تعجبا   ميز كـ (أكرم بأبى بكر أبا)(٥)

---

(١) شرح المفصل ٧٤/٢ وما بعدها .

(٢) الكهف ٣٤

(٣) شرح شذور الذهب ص ٢٥٧

(٤) أوضح المسالك ص ١٤٢

(٥) شرح المكودى ص ٩٤   أكرم : فعل ماض جاء بصيغة الأمر ...
أبا : تمييز منصوب .

تقول : يالها قصة وتقول : ويحه بطلا (١) ، حسبك به كافلا ، وفى القرآن (وكفى بالله شهيدا)(٢) .

وكذلك الواقع بعد اسم التفضيل (٣) ، فى قولك : « أحمد أفضل من عويس خلقا » ، وضح التمييز نسبة هذه الأفضلية .

ويستعمل تمييز النسبة فى أسلوب المدح والذم ، وذلك لبيان جهة المدح أو الذم كقولك : نعم محمد أديبا . أديبا : تمييز منصوب وعلامة النصب الفتحة .

ويقول الله (وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)(٤) .

ويكثر استعمال التمييز بعد فعل (امتلأ) وما أشبهه مثل (وسع) وعكسه (ضاق) يقول الله (... ولملئت منهم رعبا)(٥) ، (ملئت حرسا شديدا ..)(٦) (وسع ربنا كل شىء علما)(٧) ، (وضاق بهم ذرعا)(٨) .

---

(١) (ويح) من المصادر التى لم ينطق لها بفعل ، ومعنـاه الترحم ، وهو منصوب بفعل مضمر تقديره ألزمه الله ويحا . شرح المفصل ٧٢/٢ ، مختار الصحاح و ى ح ، الكتاب ١٧٤/٢ ، الكافية ٢١٨/١

(٢) النساء ٧٩ ، ١٦٦ ، الفتح ٢٨

(٣) أوضح المسالك ص ١٤١   (٤) الكهف ٥٠

(٥) الكهف ١٨   (٦) الجن ٨

(٧) الأعراف ٨٩

(٨) هود ٧٧ ، العنكبوت ٣٣ أصل (الذرع) بسط اليد فكأنك تريد مد يده إليه فلم ينله وربما قالوا : ضاق به ذراعا . مختار الصحاح : ذرع .

(٣) التمييز الملفوظ

التمييز الملفوظ هو تمييز المفرد وأكثره فيما كان مقدارا (مساحة أو كيلا أو وزنا أو عددا) أو مقياسا .

والفرق بين المقدار والمقياس أن الأول محدد ، والأخير على سبيل التقريب ، يقال : قاس الشيء بالشيء قدره به . ففي قولك : ملأت الكوب ماء أو اشتريت ملء الإناء سمنا لا يحدد كيلا أو وزنا معلوما (١) .

وفي القرآن الكريم (... فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به) (٢) ، (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (٣) .

يقول ابن هشام : فهذا يشبه الوزن ، وليس به حقيقة ، لأن مثقال الذرة ليس اسما لشيء يوزن به في عرفنا (٤) ، فقد حدد بعبارته تلك العرف اللغوي في المقدار والمقياس (٥) .

ويقول ابن الأثير : « ... وكل ما لزمه اسم الأرطال والأمناء ، والأواق فهو وزن ، فللناس فيها عادات مختلفة في البلدان ، فهم معاملون بها ... » (٦) .

---

(١) شرح المفصل ٧٣/٢ بتصرف يسير (٢) آل عمران ٩١

(٣) الزلزلة ٧ ، ٨ .

(٤) شرح شذور الذهب ص ٢٥٦

(٥) مقادير المساحة في مصر اليوم المتر أو الذراع ، والوزن بالكيلوجرام وهو ألف جرام .

(٦) النهاية ٢١٨/٤ ، ٢١٩ .

ومما يحمل على المقدار كلمة (مثل) و (غير) . يقول الله : (ولو جئنا بمثله مددا) (١) مددا : تمييز (٢) .

وتقول العرب : إن لنا غيرها إبلا (٣) .

وقد جمع ابن مالك أمثلة للممسوح والمكيل والموزون في بيته :

ك (شبر أرضا) و (قفيز برا) و (منوين عسلا) وتمرا (٤)

أما العدد فهو في أصل اللغة اسم للشيء المعدود كالقبض للمقبوض . وينقسم إلى أ ـ صريح . ب ـ مبهم (أو كناية) .

فالصريح الأحد عشر إلى التسعة والتسعين نحو (إني رأيت أحد عشر كوكبا) (٥) (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة) (٦) .

والكناية هي (كم) ، وما يجري مجرى (كم) في الاستفهام : ومعنى الكناية التورية ، وسميت ألفاظ بعينها ، كنايات العدد ، لأنه يكنى بها أو يرمز إلى معدود (٧) . يقول ابن مالك :

---

(١) الكهف ١٠٩ ، الضمير في (مثله) يعود إلى البحر .

(٢) مثله في المعنى ، مدادا ، بالألف . إملاء ما من به الرحمن ١٠٩/٢

(٣) أوضح المسالك ص ١٤١

(٤) القفيز : مكيال ، وهو ثمانية مكاكيك ، جمعه : أقفزة وقفزان . البر ـ بضم الباء ـ : القمح ، ويقال : أطعمنا ابن برة أي الخبز . أساس البلاغة ص ٤١

منا ـ على وزن ، عصا ، ـ رطلان .

(٥) يوسف ٤ (٦) ص ٢٣

(٧) نتناول أسماء العدد بتفصيل في ص ٢٤٥ وما بعدها من بحثنا هذا :

ك (كم) (كأى) و (كذا) وينتصب تمييز ذين أو به جل (من) تصب

ولا يفصل بين العدد والتمييز، وقد فصل ضرورة فى قول العباس بن مرداس :

على أننى بعد ما قد مضى   ثلاثون ـ للهجر ـ حولا كميلا

يذكرنيك حنين العجول   ونوح الحمامة تدعو هديلا(١)

ويقول الشاعر :

• فى خمس عشرة — من جمادى — ليلة •(٢)

تقدم التمييز عل عامله :

يعمل النصب فى تمييز المفـــرد ، التمييز الملفوظ ، الاسم الذى رفع التمييز إبهامه . أما فى تمييز الجملة ، التمييز الملحوظ ، فالعامل فيه هو مافى معنى الجملة من فعل أو شبهه (٣) .

وقد اختلف النحاة حول تقدم التمييز على عامله ، ففرق أبو العباس المبرد ـ مثلا ، بين النوعين فأجاز : نفسا طاب زيد ، ولم يجز : لى سمنا منوان (٤)

أما سيبويه فلا يرى تقدم التمييز على عامله فعلا كان العامل أو معنى (٥) .

يقول ابن مالك :

وعامل التمييز قدم مطلقا   والفعل ذو التصريف نزرا سبقا

---

(١) الكافية ١/٢٢٣ ، الإنصاف ١/١٧٤ ، المطالع السعيدة ١/٣٦٩ .
العجول : الواله التى فقدت ولدها ، فهى فى عجل من أمرها .

(٢) المطالع السعيدة ١/٣٦٩

(٣) شرح المكودى ص ٩٢ ، ص ٣ .

(٤ ، ٥) شرح المفصل ٢/٧٣

ويقول السيوطى : لايتقدم التمييز على المبهمات المميزة به ... وكذا لايتقدم عل عامله إذا كان فعلا غير متصرف نحو : نعم زيد رجلا .. وأستثنى من المتصرف (كفى) ، فلا يقال : شهيدا كفى بالله . باجماع ذكره أبو حيان(١) .

وقد ورد من الشواهد ما ينتصر لتقديم التمييز على عامله كقول الشاعر :

• أتهجر سلمى بالفراق حبيبها   وما كان نفسا بالفراق تطيب (٢)

• أنفسا تطيب بنيــل المنى   وداعى المنون ينادى جهارا ؟(٣)

• ضيعت حزمى فى إبعادى الأملا   وما ارعويت وشيبا رأسى اشتعلا(٤)

تمييز العدد

أ ـ العدد الصريح :

إن كان العدد واحدا أو اثنين لم يحتج إلى تمييز تقول : كاتب وعالمان . وإن كان ثلاثة إلى عشرة فالاسم بعدها يعرب مضافا إليه ، ويكون جمعا لقلة غالبا .

تقول : ثلاث فتيات ، سبع سموات ، تسع آيات ، عشرة رجال .

وإن كان أحد عشر إلى تسعة وتسعين فالتمييز مفرد منصوب .

تقول : أحد عشر جنديا ، تسع وتسعون امرأة .

---

(١) المطالع السعيدة ١/٣٦٧

(٢) يقول ابن يعيش : (ولا حجة فى ذلك لقلته وشذوذه . مع أن الرواية ، وما كان نفسى بالفراق تطيب ، هكذا قال أبو اسحق الزجاج ، .
شرح المفصل ٢/٧٤

(٣) شرح المكودى ص ٩٤ ، وأوضح المسالك ص ١٤٢ ، مغنى اللبيب ٢/٤٦٣

(٤) مغنى اللبيب ٢/٤٦٢ .

وإن كان مائة وما يتضاعف منها فالاسم بعدها يعرب مضافا إليه، ويكون مفردا.

تقول : مائة قلم ، مائتا شجرة ، ألف طفل .

ويجوز جره بـ « من » ، فتقول ثلاثة مائة من الغنم .

وإذا جيء بنعت مفرد أو جمع تكسير جاز الحمل فيه على التمييز ، وعلى العدد (١). تقول : هؤلاء ثلاثون رجلا قويا نعت لـ « رجلا » .

أو قوى نعت لـ « ثلاثون » .

وتقول : عندى عشرون رجلا كراما أو كرام .

فإن كان جمع سلامة تعين الحمل على العدد نحو : أربعون طالبا ناجحون .

ويغنى عن تمييز العدد إضافته إلى غيره نحو : عشرتك أى العشرة التى تخصك ، وعشرو زيد أى العشرون التى لزيد ، لأنك لم تضف إلى غير التمييز إلا والعدد عند السامع معلوم الجنس »(٢).

التذكير والتأنيث فى العدد :

١ — تثبت تاء ثلاثة فما فوقها إلى عشرة إن كان واحد العدد اسما مذكرا ، وتسقط إذا كان مؤنثا .

تقول : ثلاثة أعضاء وعشر نساء .

٢ — العددان أحد عشر واثنا عشر يتفقان والمعدود تذكيرا أو تأنيثا .

تقول : أحد عشر قائدا ، اثنتا عشرة طالبة .

إحدى عشرة تلميذه ، إثنا عشر نجما .

---

(١) المطالع السعيدة ١/٣٦٩ (٢) المطالع السعيدة ١/٣٧٠ .

٣ — الأعداد من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر تثبت التاء فى الجزء الأول ، وتسقط من الجزء الثانى فى المذكر . وعكس ذلك فى المؤنث .

تقول : ثلاثة عشر قاضيا .

تسع عشرة مدرسة

وشين (عشرة) تسكن فى لغة أهل الحجاز ، وتكسر فى لغة أهل نجد (١) ، ويعرب الصدر من « اثنى عشر » بالألف فى حالة الرفع ، وبالياء فى حالتى النصب والجر . ويبنى العجز على الفتح .

وتبنى الأعداد المركبة — غير اثنى عشر — على فتح الجزءين ، وفى (ثمان) إذا ركبت أربع لغات : فتح الياء وسكونها ، أو حذفها مع كسر النون أو فتحها (٢) .

صوغ العدد على وزن (فاعل) :

تشتق صيغة فاعل من العدد ، وتستعمل — فى الغالب — صفة ، وتتفق مع الموصوف تذكيرا وتأنيثا .

يقال : ثان وثانية إلى عاشرة ، نحو : تعرفت إلى الرجل الثالث ، والمرأة الرابعة.

---

(١) مختار الصحاح : ع ش ر

ذكر زميلى الدكتور طاهر حمودة أنه يجوز فيها الفتح ، مستدلا بالقراءة الفاشية (تلك عشرة كاملة) البقرة ١٩٦ ، وذلك فى تعقيبه على السيوطى فى المطالع السعيدة ١/٣٧١ . ولعله فات المحقق أن السيوطى فى معرض الحديث عن الأعداد المركبة .

(٢) المطالع السعيدة ١/٣٧١

ويستعمل العدد مع المشتق منه كـ (ثان) مع (اثنين) ، أو مع ماسفل كـ (ثالث) مع (اثنين) .

فالمستعمل مع ما اشتق منه تجب إضافته فيقال : ثانية اثنتين أى إحدى اثنتين ، خامس خمسة أى أحد خمسة رجال ـ مثلا ، وهى تاسعة تسع أى تسع طالبات ـ مثلا

[تلحظ أن العدد المعرب مضافا إليه عكس معدوده من حيث التذكير والتأنيث] والمستعمل مع ماسفل يجوز أن يضاف ، وأن ينون وينصب مايليه فتقول : هذا ثامن سبعة أى جاعل السبعة ثمانية فى الترتيب .

يقال : ثلثت الرجلين إذا انضممت إليهما فصرتم ثلاثة ، وكذلك ربعت الثلاثة إلى عشرت التسعة (١) .

وفى الأعداد المركبة يصاغ اسم الفاعل من الجزء الأول ، ويبنى الجزآن على الفتح • تقول : أعجبنى المعرض الرابع عشر ، أخرجت الكتاب التاسع عشر ، فازت الطالبة السابعة عشرة ، للعاملة الرابعة عشرة جهد مشكور . [تلحظ توافق الجزئين مع المعدود تذكيرا وتأنيثا] .

يقول السيوطى : وقد يقصد فى المركب مثل ما قصد بثانى اثنين وأشباهه ، والأصل فيه أن يجاء بتركيبين صدر أولهما فاعل فى التذكير ، وفاعلة فى التأنيث ، فيقال : ثانى عشر ثانية عشرة إلى تاسع عشر تسعة عشر ، وتاسعة عشرة تسع عشرة ، أربع كلمات مركب أولاهن مع الثانية ، وثالثتهن مع الرابعة ، والمركب الأول

(١) والفعل ثلث بهذا المعنى من باب ضرب وكذلك إلى العشرة إلا أنك تفتح أربعهم أى صرت لهم رابعا وأسبعهم وأتسعهم لمكان العين . المطالع السعيدة ١/٣٧٢ ، مختار الصحاح : ث ل ث .

مضاف إلى الثانى إضافة « فاعل » إلى ما اشتق منه (١) .

وقد يقتصر على صدر الأول فيعرب لعدم التركيب ، ويضاف إلى المركب الثانى باقيا على بنائه فيقال : ثالث ثلاثة عشر ، وثالثة ثلاث عشرة (٢) .

وفى ألفاظ العقود لايصاغ اسم فاعل منها ، وتعطف على عدد مصوغ منه ، تقول : جاء الطالب الرابع والخمسون ، والطالبة الثالثة والثلاثون .

يقلب العدد (واحد) بجعل الفاء بعد اللام ، ولا يستعمل هذا القلب فى (واحد) إلا فى نيف أى مع عشرة أو مع عشرين وأخواته فيقال ، حاد وعشرون فى التذكير ، حادية وعشرون فى التأنيث إلى حاد وتسعين وحادية وتسعين (٣) .

التأريخ : اعتاد العرب التأريخ بالليالى لأن شهورهم قمرية فيقال : لأول ليلة من شهر كذا أى فى أول ليلة ، أو لأول ليلة خلت من كذا أى بعد ليلة ثم لليلتين خلتا ثم لثلاث خلون إلى عشر . ثم لإحدى عشرة خلت إلى النصف من كذا أو منتصفه أو انتصافه . تقول مثلا : توفى عبد الملك بن مروان النصف من شوال سنة ست وثمانين .

ثم لأربع عشرة بقيت إلى تسع عشرة ثم لعشر بقين أو ثمان بقين ..

ومنه قول الشاعر :

ياقمرا للنصف من شهره   أبدى ضياء لثمان بقين (٤)

ثم لآخر ليلة منه أو سراره ، ثم لآخر يوم منه أو سلخه .

(١) المطالع السعيدة ١/٣٧٣

(٢) عندنا أن هذا الاستعمال أيسر مما تقدمه .

(٣) المطالع السعيدة ١/٣٧٣

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٢/٨١٨ . ط . دار المعارف . القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

ب — العدد المبهم (كم - كأين - كذا):

(كم) - اسم وهي نوعان: استفهامية وخبرية.

مميز الاستفهامية مفرد منصوب نحو: كم كتابا ألفت؟

ويجوز جره إذا أدخل على (كم) حرف جر تقول: بكم جنيه تشترى كتبا؟(١) والجر حينئذ بـ (من) مقدرة حذفت تخفيفا، وصار الحرف الداخل على (كم) عوضا عنها(٢).

وأما (كم) الخبرية فالاسم بعدها مضاف إليه مجرور، ويكون مفردا وجمعا، والإفراد أكثر من الجمع وأفصح(٣)، ويكنى بها عن العدد الكثير، يقول محمود أبو الوفا:

اذكرى كم مرة قلـ ... ـبي تمنى
ثم كم من مرة قلـ ... ـت تأنى
مرة واحدة قـ ... ـولى تمنى(٤)

ويقول عباس بن الأحنف:

وكم باسطين إلى وصلنا ... أكفهم لم ينالوا نصيبا(٥)

---

(١) إعرابها: الباء حرف جر، وكم: اسم استفهام مبنى على السكون في محل جر بالباء. جنيه: مجرور بـ (من) مقدرة، وعلامة الجر الكسرة.
أو: مضاف إليه مجرور.

(٢) المطالع السعيدة ٣٧٤/١

(٣) المطالع السعيدة ٣٧٥/١ (٤) شعرى ص٦٩

(٥) الشعر والشعراء ٨٢٩/٢

ويجوز جر الاسم بعدها بـ (من) كما في قول صريع الغواني:

وكم من معد في الضمير لي الأذى ... رآني فألقى الرعب ما كان أضمرا(١)

وقول حماد عجرد:

كم من أخ لك لست تنكره ... مادمت من دنياك في يسر(٢)

(كأين) — كلمة تدل على معنى (كم) الخبرية، مبنية على السكون، والاسم بعدها مجرور بـ (من) ظاهرة. كما في قوله تعالى:

(وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم ...)(٣)

كأين: مبتدأ مبنى على السكون في محل رفع. من دابة: جار ومجرور.

لا تحمل: لا - حرف نفي، تحمل: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر، والجملة من الفعل والفاعل في محل جر نعت الدابة(٤).

(كذا) - كلمة تدل على عدد، مبنية على السكون، ومميزها مفرد منصوب(٥)

تقول: تلقيت كذا مكالمة هاتفية اليوم.

كذا: مفعول به مبني على السكون في محل نصب.

---

(١) الشعر والشعراء ٨٤٠/٢

(٢) الشعر والشعراء ٧٨٠/٢ (٣) العنكبوت ٦٠

(٤) ورد إعرابها في «التطبيق النحوي» أنها في محل رفع خبر ص ٤٣١، مع أن جملة (الله يرزقها) خبر كأين. راجع إملاء ما من به الرحمن ١٨٣/٢.

(٥) اختلف في تمييز (كذا) يجر بالإضافة أو لا يجر، والمشهور النصب: حاشية الملوى ص ١٨٩، المطالع السعيدة ٣٧٦/١ بتصرف يسير.

مكالة : تمييز منصوب وعلامة النصب الفتحة الظاهرة .

حضر كذا ضيفاً .

كذا : فاعل مبنى على السكون فى محل رفع .

ضيفاً : تمييز منصوب ...

مررت بكذا بائعاً .

بكذا : الباء حرف جر ، كذا : اسم مبنى على السكون فى محل جـــر .

بائعا : تمـــييز .

(نلحظ أن لها محلا من الإعراب حسب موقعها فى الجملة)[1] .

وثمة كلمات تستعمل كناية عن المقال أو عن الأفعال ، ولا يلمح فيها العدد : (كيت) قيل أصلها « كيّة » بالتشديد ، والتـــاء فيها بدل من إحدى اليــاءين ، والهاء التى فى الأصل محذوفة ، وقد تضم التاء وتكسر[2] .

وتستعمل مكررة مع فصلهما بواو مهملة فتعد مع أختها كلمة واحدة مبنية على فتح الجزءين[3] أو ضمهما أو كسرهما ، ولها محل الإعراب أى تكون فى محل رفع أو نصب أو جر .

(١) نتناول العدد بمزيد من التفصيل فى بحث آخر .

(٢) النهاية ٤/٢١٦ ، مختار الصحاح : ك ى ت . وفيه الفتح والكسر فحسب .

(٣) اقتصر مؤلف التطبيق النحوى على الفتح فى « كيت وكيت » ص ٤٢٣ .

وفى الحديث : (بئس ما لأحدكم أن يقـــول نسيت آية كيت وكيت) . هى كناية عن الأمر[1] .

(ذيت) وهى مثل « كيت وكيت » فى الكناية عن الفعل أو القول ، ومثلها أيضـــا « ذية وذية »[2] ، تقول : كان من الأمر ذيت وذيت أى كيت وكيت[3] .

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى فى التوابع

محاورة علمية

(١) النهاية ٤/٢١٦

(٢) أوردها سيبويه فى « باب ماجرى مجـــرى (كم) فى الاستفهام » الكتاب ٢/١٧٠

(٣) مختار الصحاح : ذ ى ت

التوابع في النحو العربي

مقدمـــة

يسرني أن أقدم للمكتبة العربية دروسا في التوابع ، وهي النعت ، التوكيد ، العطف ، البدل. أجعلها في حوار بين أستاذ وطالب علم .

وقد كانت طريقة الحوار عندي أثيرة لسببين :

١ ــ أنها تبث الحياة في الدرس . إذ تبعد عن علم النحو جفافه بما يكون بين سائل ومجيب من مصادمات أحيانا ، وموافقات أحيانا أخرى ، فهذا الحوار الفكري يشعر القارىء أو الطالب أنه طرف في العملية التعليمية غير مقهور عليها .

٢ ــ أنني أود ألا ينفصل العلم عن الخلق ، ومن شأن الحوار أن يتيح من الإرشادات ما ينتفع به القارىء إذ تكون في مناسبتها من الدرس .

وأحسبني غير مسبوق إلى هـذه المحاولة في الدرس النحوي ، فإذا أدت إلى تيسير الفهم فهذا حسبي ، وإن لم تؤد فقد اجتهدت .

وبالله التوفيق .

توطئة :

الطالب : أذكر حينما سألتنا سيادتك في قاعة المحاضرات عن التوابع فلم تجد أحدا على كثرتنا يعرفهـا ، ثم تجمعت الإجابة من بعض ، فمن قائل : النعت ، وآخر يقول : التوكيد وثالث : العطف وأضفت سيادتك : البدل ، وتركتنا عند العنوانات الأربعة مع إحساسي الخجل أن لم أشارك في الإجابة .

الأستاذ : إن من خلق العلم عبارة (لا أدري) دون تمحل الإجابة وادعاء لعلم ، وأرجو أن تكون هذه العبارة على لسانكم إذا أعوزتكم المعرفة .

ولقد تركتكم عند العنوانات الأربعة لتقوموا بالبحث بأنفسكم ، إن الجهد الذاتي ضروري لكسب المعرفة.

الطالب : ولكنك أستاذي لم تذكر لنا المراجع التي نرجع إليها في البحث عن هذه الأربعة.

الأستاذ : أنت اليوم طالب في الجامعة ، وغدا تتخرج مدرسا في المدارس الثانوية أو دونها فإذا سألك تلميذ عن باب في النحو كانت عليك الإجابة دون أن تحيله إلى مصدر أو مرجع ، أما في الجامعة فالبحث ضروري يقوم به الطلبـــة ، والأستاذ موجه ، وأصول التوجيه أن يشير إلى المصادر وقد ذكرتهـــا لكم في المحاضرة الأولى .

الطالب : لقد ذكرت لنا المصادر لموضوعات أخرى : الابتداء ونواسخه .

الأستاذ : ولو قرأتها لعرفت أنها لأبواب النحو جميعا .

الطالب : أرجو أن تعيد على إملاءها .

الأستاذ : خذ مثلا شرح المفصل لابن يعيش (توفي سنة ٦٤٣ هـ)، أوضح

سطور الكتب الأخرى .

الطالب : ألا تنقل كتب التراث النحوى بعضها عن بعض ؟ .

الأستاذ : لقد لاحظت أن المكودى — مثلا — ينقـل عن ابن عقيل فى مواضع دون أن يشير إليه ، وابن عقيل ينقل عن ابن هشام وابن يعيش الشرح وأمثلتـه .

الطالب : لقد خدشت أمانة هؤلاء الشيوخ إذن .

الأستاذ : إننا لانعرف ظروف التأليف فى حينها ، وقد تكون الرغبة فى حفظ العلم دافعا لهم ، وإنى لأعمد أحيانا أن أذكر أمثلتهم وعبارات من شرحهم لكى تعيش جو التراث ، ويكون حاضرنا العلمى موصولا بالماضى لايتنكر له .

الطالب : مستعد أن أتلقى منك هذا المنهج .

ملخص

التوابع : هى الثوانى التى يمسها الإعراب على سبيل التبع لغيرها .

وتطلق على النعت والتوكيد والبدل والعطف

١ — النعت

الطالب : بودى لو عرفت معنى كلمة (النعت) فى اللغة ، وفى المصطلح النحوى .

الأستاذ : هذه بداية طيبة أن تبحث عن المعنى المعجمى ، ثم المعنى الاصطلاحى ؛ فى اللغة ـ النعت : الوصف . وقد خصه بعض العلماء بوصف الشىء بما فيه من حسن ، يقول ابن الأثير : « ولا يقال فى القبيح ، إلا أن يتكلف متكلف ، فيقول نعت سوء ، والوصف يقال فى الحسن والقبيح » .

المسالك إلى ألفيـة ابن مالك لابن هشام (ت ٧٦١ هـ) ، شرح ابن عقيل على متن الألفية (ت ٧٦٩ هـ) ، شرح المكودى (المتوفى سنة ٨٠١ هـ) على ألفية ابن مالك .

الطالب : أراك ذكرت جهود النحاة فى القرن السابع الهجرى وما بعده .

الأستاذ : إن كتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) غنى عن التعريف .

الطالب : لاياسيدى إنى أستوحش من هـذا الكتاب بل إنه أخافنى من الكتب بعده ، فهل من مراجع حديثة ؟ .

الأستاذ : حسبك المحاولة يابنى ، لاتخاصم كتابا حديثا أو قديما لجهلك به ، خذ مثلا التطبيق النحوى للدكتور عبده الراجحى ، دراسات فى علم النحـو للدكتور أمين على السيد .

الطالب : لقد قرأت هذا الكتاب الأخير ، ولفتنى فيه ما أبداه الدكتور تمام حسان (١) فى تقديمه من أن كلية دار العلوم استغنت عن كتب التراث حتى المختصر منها مثل « شرح قطر الندى » لابن هشام ، ورأى فى التأليف المعاصر حلا للمشكلة .

الأستاذ : لكل وجهة نظر ، ونرى أن الطالب المتخصص لابد له من الرجوع إلى كتب التراث ، إنها فضلا عما تعطيه من تأصيل للمسائل تشعره بقيمته فى نفسه واعتزازه بحضارته .

الطالب : لقد أصبت أستاذى غير أنى أود منك شرحا يغنى عنها .

الأستاذ : فى كلامك تناقض يابنى ، وليس ثمة كتاب يغنى عن كتب إلا أن يكون كتاب الله هدى العالمين أو يكون ذلك الكتاب قد نقل نقلا حرفيا ماحوته

---

(١) رئيس قسم النحو والصرف والعروض بدار العلوم (سنة ١٩٦٨ م) .

ولعله مما يؤكد ماذكره ابن الأثير أنه يقال: أنعت حسن وجهه. وعجبك أو أنك نعتة - بالضم - أى غاية فى الرفعة.

الطالب: هذه أول مرة أعرف فيهـــا الفرق اللغوى بينهما فنحن نستعمل الكلمتين فى عصرنا بمعنى واحد.

الأستاذ: لقد رجعت أمامك إلى النهاية لابن الأثير ٥/٧٩. والقاموس المحيط ١/١٥٩ لكى تأتسى بما فعلت فى أيامك المقبلة.

الطالب: لقد رجعت إلى مختار الصحاح فلم أجد مادة «ن ع ت»، ويبدو أنه ليس مرجعا يعتمد عليه.

الأستاذ: لقد أسعفنى كثيرا هذا المختار للرازى، وبعض زملائنا لايعتمد عليه مرجعا ولكنى لاأنكر قيمته، ولو رجعت إلى مادة «وصف» تجده يقول: الصفة كالعلم والسواد، وأما النحويون فليس يريدون بالصفة هذا بل الصفة عندهم النعت وهو اسم الفاعل نحو ضارب، والمفعول نحو مضروب، أو ماورجع إليها عن طريق المعنى نحو: مثل وشبه، وما يجرى مجرى ذلك يقولون: رأيت أخاك الظريف، فالأخ هو الموصوف والظريف هو الصفة فلهذا قالوا: لايجوز أن يضاف الشىء إلى نفسه لأن الصفة هى الموصوف عندهم ألا يرى أن الظريف هو الأخ».

الطالب: لقد أفادنا فى تعريف المصطلح النحوى.

الأستاذ: نعم، فاللغة والنحو لاينفصلان: بل علوم اللغة كلها تتضافر إذ كان هدفها واحدا هو خدمة الدرس القرآنى.

الطالب: هذه معلومة جديدة لى، النحو فى خدمة الدراسات القرآنية وفهم كتاب الله ... إننى الآن أشد إقبالا على دراسة النحو.

الأستاذ: فتح الله عليك يابنى.

ها أنا أظهرك على مصدر كبير: شرح المفصل ٥/٥٤ يقول فى «بيان صيغ الجموع، وللصفة تسعة ... إنه يلفتنا باستعمال كلمة (صفة) وليس (النعت) إذ خصصت التسمية الأخيرة لباب بعينه.

الطالب: أحسب أنه من الأوفق أن نعرف النعت عند النحـــاة، وليس للغوى عرض للنحو.

الأستاذ: ذلك صحيح، ولكنى أحب أن أسمع تعريفك أنت.

الطالب: هو «الاسم الدال على بعض أحوال الذات».

الأستاذ: وكذلك الخبر يدل على بعض أحـــوال الذات، كقولك: محمد ناجح.

الطالب: «بعد تفكير عميق»: كما أن النعت قد يكون جملة أو شبه جملة نحو: مررت بولد ناجح أخوه، مررت برجل بين العلماء، أو فى الدار.

الأستاذ: يبدو أنك قرأت شرح المفصل، وقد رأى ابن يعيش أن التعبير بـ (لفظ) أسد من التعبير بـ (الاسم الدال)(١) ... وأود أن ألفتك إلى أن العنوان الكبير الذى يندرج تحته (النعت) هو (التوابع) فإذا عرفت النعت بدأت بقولك: تابع ... فهذا جنس.

---

(١) شرح المفصل ٣/٤٧.

الطالب : النعت هـــو التابع الذى يكمل متبوعه بدلالته على معنى فيه ، أو فيما يتعلق به .

الأستاذ : ماذا تقصد بالتكميل هنا ؟

الطالب : إنه تعريف ابن مالك والمــــراد بالمكمل : الموضح للمعرفة ، والمخصص للنكرة .

نحو : جاء سعيد البائع أو البائع أخوه .

جاء رجل كريم أو كريم أبوه .

الأستاذ : وما أنواعه ؟

الطالب : هما نوعان : نعت حقيقى ونعت سببى .

حقيقى : إذا كنت أصف المتبوع نفسه ، نحو : أعجبنى زيد الكريم .

سببى : إذا كنت أصف مايتعلق بالمتبوع ، نحـــو : أعجبنى زيد الكريم أبوه .

الأستاذ : سببى إذن مايتصل به بسبب ، والسبب : الحبل وكل شىء يتوصل به إلى غيره .

الطالب : كنت أحفظ دون استيعاب لتفصيل المعنى .

الأستاذ : لقد فصلت لك المعنى لتحسه فى نفسك ، ولا يثقل عليك حفظه . مثل هذا فعله الأقدمون فى درس النعت ، إذ لم يكتفوا بقول ابن مالك إنه لتوضيح المعرفة أى إزالة الاشتراك العارض فى المعرفة (محمـــد ـ مثلا ـ اسم يطلق على كثيرين فإذا قلت : الأستاذ ، الناشر ، الذكى .. فقـــد وضحت من تقصده) أو لتخصيص النكرة بأى خاصة لاتوجد فى مشارك المنعوت .. وإنمـــا قالوا إنه قد

يأتى لمجرد المدح ومن ذلك صفات البارى ـ سبحانه ـ تقول: الغفور الرحيم . . لاتقصد فصله من شريك لله .

إننا نسمى هذا النوع من الصفات صفات الماهية Epithètes de nature لإبراز ماهية الشىء أو خاصة من خصائصه لا لكى نميزه عن غيره (١) .

وقد يأتى لمجرد التنفيس عن المشاعر بذم : تقول : هذا عويص المجرم، ذممته بذلك لا أنك أردت أن تفصله من شريك له فى اسمه ليس متصفا بهذه الأوصاف،

الطالب: لقد قرأت هذا فى شرح المفصل ٣/٤٨

الأستاذ: بل نجد ابن هشام يصف تعريف ابن مالك بقوله ، وهذا الحد غير شامل لأنواع النعت ...(٢) وابن عقيل ينقل عنه فى شرحه ص٢٧٨ دون أن يعيب التعريف .

الطالب : تسمح لى أن أكمل ماذكروه فى ذلك :

قد يأتى النعت للترحم نحو : زيد المسكين ، وللتوكيد نحو: نفخة واحـــدة

الأستاذ : جميل أن تعرف أن العدد قد يكون نعتا تقول : استشهد جنود أربعة .

الطالب : أستاذى ، نعرف أن تمييز العدد من ١١ ـ ٩٩ يكون مفردا منصوبا فما حكم النعت بعد التمييز ؟

---

(١) يقول الدكتور محمد مندور فى قولنا: (الله الخالد الباقى.. لاتمييز بين رب خالد باق ورب غير خالد ولا باق ، وإنما هى صفات طبيعية تحوطه بجلاله . النقد المنهجى عند العرب ص ٤٢ . ط ٥ نهضة مصر .

(٢) أوضح المسالك ص ١٩٤ .

الأستاذ : لك بعد المفرد المنصوب أن يكون النعت مفردا منصوبا مثله ، أو جمعا منصوبا تقول : جاء ثلاثة عشر طالبا ناجحا أو جاء ثلاثة عشر طالبا ناجحين .

الطالب : أرجو أن تعرب هذا المثال .

الأستاذ : أخشى أن يكون سؤالك للابتعاد عن صلب الدرس . ومع ذلك أعربه لك .

ثلاثة عشر : فاعل ، مبنى على فتح الجزئين ، فى محل رفع . طالبا : تمييز منصوب وعلامة النصب الفتحة . ناجحا : نعت منصوب وعلامة النصب الفتحة. أو ناجحين : نعت منصوب وعلامة النصب الياء لأنه جمع مذكر سالم .

الطالب : النعت الحقيقى يتبع المنعوت فى التذكير والتأنيث ، والتعريف والتنكير ، والإعراب ...

الأستاذ : (مكملا) : وفى الإفراد والتثنية والجمع .

الطالب : لقد توقفت للمثال السابق.

الأستاذ : لقد وافق المنعوت من حيث اللفظ فكان مفردا منصوبا، ومن حيث إن العدد جمع كان جمعا منصوبا وأنت تجد أننا فى العامية نستعمل الوجهين .

الطالب : وهل يوافق النعت السببى المنعوت فى هذه الوجوه جميعا ؟

الأستاذ : النعت السببى يتبع المنعوت فى الإعراب وفى التعريف والتنكير

ولما كان النعت السببى هو نعت لما يرد بعده فمن المنطق أن يتبع الاسم اللاحق فى التذكير والتأنيث .

تقول : مررت برجل نائم أبوه . فتعرب ، نائم : نعت مجرور وعلامة الجر الكسرة .

(فهو هنا تبع المنعوت فى الإعراب لأن « برجل » جار ومجرور ، وفى التنكير)

أبوه : أبو فاعل مرفوع وعلامة الرفع الواو لأنه من الأسماء الستة ، مضاف والضمير فى محل جر مضاف إليه .

فأنت ترى أنه تبع الاسم اللاحق فى التذكير (أو التأنيث) : كما فى قولك : هذا الولد كريمة أمه .

الطالب : أرجو أن تعرب هذا المثال .

الأستاذ : أعربه أنت .

الطالب : هذا ـ ها : حرف تنبيه مبنى على السكون، ذا : اسم اشارة مبنى على السكون فى محل رفع .

ولد : خبر مرفوع ، وعلامة الرفع الضمة الظاهرة.

كريمة : نعت مرفوع وعلامة الرفع الضمة الظاهرة .

أمه : أم فاعل مضاف ، والهاء : ضمير متصل مبنى على الضم فى محل جر مضاف إليه .

الأستاذ : أنت الطالب كل الطالب .

الطالب : وأنت العالم حق العالم .

الأستاذ : أتبادلنى الثناء ؟ لقد حدث لك استعمالك لكلمة (حق) تناسب استعمالى لكلمة (كل) فهل تعرف المعنى وراءهما ؟

الطالب : أى العالم بحق .

وكذلك « الطالب كل الطالب » أى الذى بلغ الكمال فى الطلب . فأنت ترى

أن بعض الكلمات المضافة تقع نعتا للمبالغة فى معنى المضاف إليه كما تقـول : هو العالم جد العالم أى العالم جدا : وهو رجل أى رجل ، فجرى هذا الباب فى الألف واللام مجراه فى النكرة ، كما يقول سيبويه (١) .

الطالب : لقد قرأت مثل هذا فى كتب المتأخرين والمعاصرين .

الأستاذ : نعم . كما تجـــده فى شرح المفصل ٤٩/٣ مثلا وأرجو ألا تضيق بهذا التكرار إذ تظن أن الأمانة العلمية قد خدشت ، ففى هـــذا التكرار تثبيت للمعلومة وإشارة إلى أهميتها ، غير أن شخصية النحوى قد تبدو فى شرحه فلتكن دراستك للنحوى فائدة تضيفها إلى دراسة النحو .

وإذا علمت أن سيبويه هو رائد النحاة لسبقه الزمنى والعلمى ، فلا غرو أن ينقل عنه ، ثم تمر قرون ليظهر ابن مالك (٦٧٢هـ) فى منظومته المعروفة بالألفية وقد تناولها شراح كثيرون فإذا قال ابن مالك :

ونعتـوا بمصدر كثيرا ... فالتزموا الإفراد والتذكيرا

فنحن نتوقع أن كل الشراح يتناولون هذا المعنى بالشرح، لا سيما إذا كان على خلاف الأصل لأن المصدر جامد لكنه شبيه بالمشتق ، كما يقول المكودى (٢) .

الطالب : كقولنا : هذا رجل عدل أى عادل : وحزم أى حازم .

الأستاذ : وإذا كان المصدر لايثنى ولا يجمع فإن النعت إذا كان مصدرا ـ بشروط أهمها أن يكون فعله ثلاثيا ، وألا يكون ميميا ـ فإنه يطابق المنعوت فى الإعراب وفى التعريف أو التنكير فقط فتقول : هؤلاء رجال عدل ، أى العدل مجسم فيهم . ـ إن صح التعبير ـ

(١) الكتاب ١٣/٢ (٢) شرح المكودى ص ١٣٦

الطالب : أرجو أمثلة للتشبيه بالمشتق .

الأستاذ : أذكر لك بيت الألفية :

وانعت بمشتق كـ (صعب) و (ذرب) ... وشبهه كـ (ذا) و (ذى) والمنتسب

الطالب : لقد ضرب ابن مالك أمثلة للمشتق أيضا ولكنى أجدنى فى حاجة إلى إيضاح .

الأستاذ : أنت تعرف أن اسم الفاعل مشعر بصفة ...

الطالب : واسم المفعول وصيغ المبالغة ...

الأستاذ : مهلا ـ لقد ذكرت اسم الفاعل لعلاقته بما سأقول من بعد .

الطالب : معذرة .

الأستاذ : اسم الفاعل ـ وهو أحد المشتقات ـ يشعر بصفة ، هذه الصفـة فى الغالب غير ثابتة ، فإذا قلت : ناجح ، فى شخص قد يكون (فاشلا) فى بعض أحواله ، وكذلك قائم ، قاعد ...

أما الصفة المشبهة باسم الفاعل فهى تدل على « ثبوت » لا أقول « دائما لازما » كما يقول بعض النحاة ، وإنما الثبوت فيها أكثر من الثبوت فى اسم الفاعل . وقد اختار ابن مالك مثلا للصفة المشبهة كلمة (صعب) وفعلها (صعب) من باب (سهل) فهى ثلاثى لازم . وهكذا تأتى الصفة المشبهة باسم الفاعل من الثلاثى اللازم .

أما كلمة (ذرب)

الطالب : تصور يأستاذ أنى لم أجد معناها فى مختار الصحاح .

الأستاذ : الذرب : الحدة تقول : سيف ذرب ، ومن المجاز : لسان ذرب.. صيغة مبالغة ، وهي من المشتقات .

الطالب : ابن مالك في بيته اكتفى إذن بالصفة المشبهة وصيغة المبالغة نوعين للمشتقات مع أن هناك اسم الفاعل واسم المفعول وأفعل التفضيل .

الأستاذ : إذا كان تعريف المشتق هنا ما أخذ من المصدر للدلالة على معنى وصاحبه فإن المؤول بالمشتق كاسم الإشارة نحو : مررت بزيد هذا .

الطالب : (هذا) ها : حرف تنبيه . ذا : اسم إشارة مبني على السكون في محل جر نعت لـ (زيد) .

الأستاذ : جميل ، وكذا (ذو) بمعنى صاحب ، والموصولة .

نحو : مررت برجل ذي مال   أي صاحب مال (أو متمول)

ومررت بزيد ذي قام   أي القائم . (أو الذي قام)

نرجع إلى قراءة بيت الألفية :

وانعت بمشتق كـ (صعب) و (ذرب)   وشبهه كـ (ذا) و (ذي) والمنتسب

الطالب : بقي الانتساب .

الأستاذ : معنى (والمنتسب) نحو : منياوي ، سكندري ... ليس بمشتق لأنه لم يؤخذ من فعل . وقد تنعت شخصا بأنه « منياوي » لأنه منسوب حقيقة إلى المنيا أو أنه طيب القلب - مثلا - إذا كانت شهرة أهل المنيا هذه الصفة ...

الطالب : أشكرك ، أنا منياوي .

الأستاذ : وإذا كان المنعوت معلوما بدون النعت كما في قولي : قابلت الطالب

(الذي يتملق علي دائما) جاز في النعت ثلاثة أوجه : الإتباع ، والقطع بالرفع بإضمار (هو) ، وبالنصب بإضمار فعل .

الطالب : مزيدا من التوضيح أستاذي .

الأستاذ : نحو قابلت الطالب المنياوي . نعت منصوب لإتباع المنعوت و

»   »   المنياوي بالرفع أي هو المنياوي .

»   »   المنياوي بالنصب أي : أعني المنياوي .

الطالب : كل هذا إذا كان المنعوت معلوما بدون النعت .

الأستاذ : نعم ، ولعلك لا تنسى هذا المثال لأنك أوحيت به .

الطالب : يلفتني في سورة المسد قوله تعالى (وامرأته حمالة الحطب) فقد ضبطت كلمة (حمالة) في المصحف - بالفتح .

الأستاذ : هي قراءة عاصم - كما يقول ابن خالويه (١) . نصب على الحال والقطع ، وإن شئت على الشتم والذم : أذم حمالة الحطب . والعرب تنصب على الذم كما تنصب على المدح ، فالمدح قولهم « اللهم صل على محمد أبا القاسم » تعني أمدح أبا القاسم ، وإن شئت رفعت على تقدير : هو أبو القاسم ، وإن شئت جررت على اللفظ .

ملخص

النعت : تابع مشتق أو مؤول به تخصيص متبوعه أو توضيحه أو مدحه أو ذمه أو تأكيده أو الترحم عليه .

نوعاه :

أ - نعت حقيقي   ب - نعت سببي

(١) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ٢٢٥ .

٢ - التوكيد

الطالب : هل لى أن أسأل لماذا قدمنا درس النعت على التوكيد ؟

الأستاذ : لقد رأى الزمخشرى فى مفصله أن يبدأ بدرس التوكيد ، وعلل ابن يعيش لهذا البدء بقوله إن « التأكيد هو الأول فى معناه، والنعت هو الأول على خلاف معناه لأن النعت يتضمن حقيقة الأول وحالا من أحواله . والتأكيد يتضمن حقيقته لا غير فكان مخالفا له فى الدلالة ، وقد يكون النعت بالجملة ، وليس كذلك التأكيد »(١) .

أما شراح الألفية فيبدأون بالنعت لأن ابن مالك بدأ به فى قوله :

يتبع فى الإعراب الأسماء الأول   نعت وتوكيد وعطف وبدل

وقد جرى ابن هشام الأنصارى فى «شرح شذور الذهب» على البدء بالتوكيد أما فى «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» فقد بدأ بالنعت . ولعلى بدأت بالنعت مسايرة لما جرى عليه المتأخرون والمعاصرون .

وأيا كان السبب فإن للمعلم أن يقدم درسا كان فى المنهج حقه التأخير ، لربطه بمناسبة معينة مثلا .

الطالب : حسنا ، لاحظت استعمال كلمتى « التأكيد » و (التوكيد) فأيهما أستعمل ؟

الأستاذ : التأكيد لغة فى التوكيد ، تقول : أكد الشىء ووكده ، والواو أفصح . وفى استعمالنا الدارج تقول : بالتأكيد فعلت كذا . أما (التوكيد) فهى الأكثر استعمالا فى الدرس النحوى .

---

(١) شرح المفصل ٣/٣٩ .

الطالب : أوشك أن أسألك عن تعريفه ، ولكنه واضح عندى .

الأستاذ : لقد لاحظت فى بعض الكتب المعاصرة اقتحام الموضوع ببيان نوعيه .

١ - توكيد معنوى   ٢ - توكيد لفظى

دون التعريف ...

الطالب : « محاول أن يقوم بالتعريف فلا تسعفه المحاولة » : إن دقة المنهج تقتضى التعريف، ولماذا كان التوكيد المعنوى مقدما فى التناول على التوكيد اللفظى ؟

الأستاذ : يعجبنى أنك تحاول تربية الفكر عندك ، فليست المعلومة هدفا فى ذاتها فى التعليم الجامعى ، خاصة .

التوكيد : هو التكرار فى الاسم بلفظه أو بمعناه .

الأوفق عندى أن نبدأ بالتوكيد اللفظى وإن خالفنا ترتيب أبيات ألفية ابن مالك .

الطالب : التوكيد اللفظى هو تكرار المؤكد بلفظه ، أو بمرادفه .

الأستاذ : نعم ، نحو : لبيك اللهم لبيك . لبيك . (الأولى) مفعول مطلق .

الثانية : توكيد لفظى .

فتكرار اللفظ الأول بعينه اعتناء به(١) .

الطالب : إننا نقول : حاسب حاسب - مثلا - فتكرار فعل الأمر للاهمية .

---

(١) شرح ابن عقيل ص ٢٩٠ .

الأستاذ : المؤكد قد يكون فعلا أو اسما أو حرفا أو جملة ، من هنا نرى دقة التسمية (التوكيد اللفظى) لأن اللفظ يشملها جميعا ، ويشمل الضمير أيضا : يقول ابن مالك .

ولا تعد لفظ ضمير متصل ... إلا مع اللفظ الذى به وصل

فى قولك : مررت بك بك ، الضمير الكاف حينما كررته وصلته بالباء .

الطالب : يعنى إذا لم أكن وصلته بالباء لقلت بكك .. وهل أحد يقول هذا لكى ينص عليه ابن مالك ؟ .

الأستاذ : كذا الحروف غير ماتحصلا ... به جواب كـ (نعم) و كـ (بلى)

يقول ابن عقيل : لايجوز « إن إن زيدا قائم »(١) . لأن (إن) حرف غير جوابى أى لايجاب به عن استفهام نحو (نعم) و (بلى) ... ومع ذلك فقد ورد شاهد على تكرار (إن) وهى حرف غير جوابى :

إن إن الكريم يحلم ما لم ... يرين من أجاره قد ضيما .

وشاهد آخر لتكرار (كأن) وهى حرف غير جوابى :

حتى تراها وكأن وكأن ... أعناقها مشددات بقرن .

الطالب . فبيت الألفية إذن غير دقيق .

الأستاذ : إن الجهد المبذول فى ضم القواعد فى منظومة كألفية ابن مالك ، جهد أولى أن يغتفر فيه الخطأ أو عدم الدقة ، غير أن مثل هذين البيتين من الألفية مما قد يزيد النحو صعوبة فى الفهم فإذا كان ثمة شواهد على استعمال بعينه فلا بأس من القياس عليه فى كلامنا . وقد رأيت الزمخشرى فى المفصل يجيز (إن إن زيدا ينطلق)(٢) .

(١) شرح ابن عقيل ص ٣٩١ (٢) شرح المفصل ٤١/٣ .

الطالب : بقى أستاذى أن تسوق أمثلة على توكيد الجملة ، والتوكيد اللفظى المرادف .

الأستاذ : والله لا يؤمن والله لايؤمن من لايأمن جاره بوائقه . وبعضهم يقول توكيد الجملة مع استعمال حرف العطف (ثم) على الأغلب دون أن يكون معناه العطف .

(وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين)(١)

ثم : حرف عطف مهمل ، والجملة بعده توكيد لفظى لا محل لها من الإعراب وكذلك فى قوله تعالى (أولى لك فأولى)(٢) اقترنت الجملة الثانية بالفاء .

ونحن لا ننكر أن الجملة الثانية مؤكدة للأولى ولكن الأوفق عندى عدم إهمال حرف العطف ، فمعنى (وما أدراك ما يوم الدين) استعظام الأمر فى هذا اليوم وتأتى (ثم) لإعادة التفكير والنظر فهى ليست مهملة ، ولهذا يصح عندى ألا يهمل اعتبارها عاطفة .

ومن توكيد الجملة : الله أكبر الله أكبر ، فهذه غير مقترنة بعطف .

أما أمثلة التوكيد اللفظى المرادف فإن كثيراً من كتب النحو لم تذكرها ، وقد ذكر ابن هشام (٣) قوله تعالى (فجاجا سبلا) (٤) وإن ذكر غيره أن (سبلا) بدل (٥) .

الطالب : إن التوكيد اللفظى أيسر مما يذكر النحاة لأنه لا يخرج عن الفهم العادى للكلمتين (التوكيد) (اللفظى) .

(١) الانفطار ١٧ ، ١٨ (٢) القيامة ٣٤
(٣) شرح شذور الذهب ص ٤٢٨ (٤) الأنبياء ٣١
(٥) إملاء مامن به الرحمن ١٣٢/٢ .

الأستاذ : ماذا لو علمت أن بعضهم جعل التوكيد اللفظى بابا وحـده ، والتوكيد المعنوى كذلك .

الطالب : لقد تعودنا التفصيل منهم ، ومثلك أستاذى جدير بالتبسيط .

الأستاذ : ومثلك يابنى جدير قمين بالنجاح ، هذا توكيد لفظى بالمرادف .

الطالب : وماذا عن التوكيد المعنوى ؟

الأستاذ : الحق أن ابن مالك عرض له فأجاد :

بالنفس أو بالعين الاسم أكدا ... مع ضمير طابق المؤكدا

واجمعهما بـ (أفعل) إن تبعا ... ماليس واحدا تكن متبعا

تقول : حضر الطبيب جمال نفسه أو عينه .

فترفع توهم أن يكون الذى جاء يمت بسبب إليه ، وليس هو بذاته .

وفى التثنية تقول : جاء الطالبان أنفسهما (أو أعينهما) .

الطالب : فى كلامنا تقول : جاء الطبيب بنفسه(١).

الأستاذ : إن الباء هنا زائدة ، حرف جر مبنى على الكسر ، و (نفس) توكيد مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد .

و (الهاء) : ضمير متصل مبنى على الكسر فى محل جر مضاف إليه .

الطالب : يبدو أنه لا يؤكد توكيدا معنويا إلا الاسم المعرفة .

الأستاذ : بوجه عام ، وكذلك فى الضرب الثانى وهو الذى يراد به توكيد المثنى وتوكيد الإحاطة والشمول . وألفاظه (كلا ، وكلتا ، وكل ، وجميع) .

(١) وتقول : بيدى فعلت كذا . فتفيد التوكيد ، ولكن المصطلح النحوى على التوكيد بالنفس والعين فحسب .

تقول : حضر الطالبان كلاهما
حضرت الطالبتان كلتاهما } « فى حالة الرفع »

قابلت الطالبين كليهما
قابلت الطالبتين كلتيهما } « فى حالة النصب »

للطالبين كليهما ذوق خاص
للطالبتين كلتيهما تقدير عندى } « فى حالة الجر »

ومثل ذلك فى الجمع (كل) ، تقول « كله ، كلها ، كلهم ، كلهن » .

و(جميع) تقول : جميعه ، جميعها ، جميعهم ، جميعهن .

فأنت تلحظ ضميرا يعود إلى المؤكد ، فإذا لم يوجد الضمير كما فى قوله تعالى (خلق لكم مافى الأرض جميعا)(١).

فإن « جميعا » تعرب حالا مؤكدة لصاحبها(٢) منصوبة ، وعلامة النصب الفتحة الظاهرة .

وقد وردت كلمة (جميعا) فى القرآن تسعا وأربعين مرة ، وحكمها أشتات : (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا)(٣).

أو شتى (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى)(٤)

ووردت مع توكيد الجمع فى قوله تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا)(٥) فـ (جميعا) غير (أجمعين) .. وفى الحديث (فأكلوا أجمعون)(٦) رفع لأنه توكيد للفاعل .

(١) البقرة ٢٩ (٢) خزانة الأدب ١٧٣/٥

(٣) النور ٦١ (٤) الحشر ١٤ (٥) يونس ٩٩

(٦) صحيح البخارى ٦٤/٢ط . العثمانية بمصر ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م

الطالب : لقد وردت كلمة (أجمعون) أيضا فى القرآن الكريم .

الأستاذ : ذلك فى قوله تعالى (فسجد الملائكة كلهم أجمعون)(١) أرجو أن تلحظ أن أسماء التوكيد لا يعطف بعضها على بعض . وقد وردت ثلاث مرات توكيدا مرفوعا (بالواو) أما فى حالتى النصب والجر فثلاثا وعشرين مرة .

(فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)(٢) . (إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين)(٣)

الطالب : أستاذى لحظت أنك تعنى بالإحصاء فى الاستعمال القرآنى .

الأستاذ : وجدنا من القدماء من يحصى حروف القرآن ، وذلك دليل الاهتمام به ، فاهتمامك بالشىء يجعلك محبا لمعرفة تفاصيله .

فضلا عن أن الإحصاء يقفنا على كثرة الاستعمال أو دونه . ففى باب التوكيد عند النحاة ألفاظا مثل (جمع) بضم ففتح - أى كلهن - أجمع وأكتع وأبصع وأبتع ، ومن أمثلتهم :

حضر الطلاب كلهم أجمعون أكتعون أبصعون أبتعون .

الطالب : وهل هذا المثل يليق بعصرنا ولم تعد هذه الكلمات مستعملة ؟

الأستاذ . ومع ذلك قد تجدها فى كتب المعاصرين ، وهى توابع لـ (أجمع) لا تستعمل إلا بعده أى لا تستعمل منفردة فهى شبيهة بقولهم : شيطان ليطان ، وحسن بسن .

الطالب : لولا أن سيادتك ذكرت أن ابن مالك أجاد فى عرض التوكيد

---

(١) الحجر ٣٠ (٢) الأنعام ١٤٩

(٣) الدخان ٤٠

لما ذكرت بيت الألفية .

واستعملوا أيضا كـ (كل) فاعله   من (عم) فى التوكيد مثل النافله

الأستاذ : أشرح لك البيت لكيلا تحزن لصعوبته .

يبدو لنا أن الوزن لم يسعف ابن مالك ليقول المعنى ببساطة وهو أن كـ (كل) كلمة (عامة) ، فهذه الكلمة على وزن فاعلة من الفعل (عم) ، واستعمال كلمة (عامة) فى التوكيد مثل استعمال النافلة فى العبادات ، والنافلة أو النفل - بسكون الفاء - عطية التطوع : فعدها من ألفاظ التوكيد يشبه النافلة أى الزيادة لأن أكثر النحويين لم يذكرها كما يقول ابن عقيل(١) .

أما ابن هشام فيقول : (والتوكيد بـ « جميع » غريب ... وكذلك التوكيد بـ (عامة) ، والتاء فيها بمنزلتها فى النافلة - يقصد لأنها لازمة مثلها وليست للتأنيث - فتقول : اشتريت العبد عامته(٢) ، كما قال الله تعالى (ويعقوب نافلة) .

الطالب : أستاذى . إن النحاة يرهقوننا أحيانا .. ما معنى (ويعقوب نافلة) ؟ .

الأستاذ : معك حق إنه لا يذكر الآية كاملة ، وإنما يذكر الجزء المستشهد به ، والآية كاملة (ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين)(٣) ومعنى (نافلة) حفيد ، زيادة عما سأل ابراهيم - عليه السلام .

فإذا رجعنا إلى كلمة (عامة) نجد أن المفصل - مثلا - لم يوردها من ألفاظ التوكيد مع أنه أفاض فى شرح « أجمعهم أكتعهم أبصعهم ... »(٤) .

---

(١) شرح ابن عقيل ص ٣٨٧ .

(٢) أوضح المسالك ص ٢٠٠

(٣) الأنبياء ٧٢ (٤) شرح المفصل ٣/٤٤ - ٤٦

الطالب : لولا وقار المجلس لانطلقت منى قهقهة على أسماء التوكيد هذه .

الأستاذ : إن الضحك يكون أحيانا للشعور بالغرابة والمفاجأة ، والتخصص يقتضى أن تبحث ما قل استعماله أو الشذوذ فى القاعدة .

فكلمة (أبصع) تأكيد لا يقدم على (أجمع) ، تقول : أخذ حقه أجمع أبصع ورأيت النسوة جمع بصع — بضم ففتح — .

وربما لا يرد لها معنى لغوى فى بعض المعاجم ، ولكنى أحس فيها معنى القوة والشدة حينما تقلب حروف المادة فتكون (ع ص ب) كما يفعل ابن دريد فقد بدأ بـ (بصع العرق) إذا رشح وانتهى إلى أن (المعصوب) فى لغة هذيل الجائع (١) .

ولقد لمح بعض النحاة الصلة بين أسماء التوكيد ومعناها اللغوى فمعنى كتع الرجل كتعا : شمر فى أمره ، وتقول فى التوكيد : جاءنى النساء جمع كتع ، وقال قوم هو اتباع ، وقال قوم آخرون : بل أكتعون فى معنى أجمعين (٢)

ويقال : حول كتيع أى تام .

ياليتنى كنت صبيا مرضعا   تحملنى الذلفاء حولا أكتعا (٣)

الطالب : لقد ذكرت منذ قليل أنه يجب فى المؤكد كونه معرفة ، وهنا (حولا) نكرة .

الأستاذ : لقد جوز الكوفيون صحة توكيد النكرة — بغير لفظها — إذا

(١) جمهرة اللغة ١/٢٩٦ وما بعدها .
(٢) جمهرة اللغة ٢/٢١
(٣) مغنى اللبيب ٢/٦١٤ ، خزانة الأدب ٥/١٦٨ .

كانت محدودة لها ابتداء وانتهاء كالحول والشهر (١) ، والتوكيد من ألفاظ الإحاطة . ومنه قول عائشة — رضى الله عنها — « صام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — شهرا كله إلا رمضان » .

الطالب : إذا كان هناك جواز لصحة تعبير فلماذا نتغاضى عنه كما فعلت لجنة تيسير النحو فى هذه المسألة النحوية بالذات فقالت بالنص : « لا يؤكد توكيدا معنويا إلا الاسم المعرفة » ؟ (٢)

الأستاذ : معك حق ، ورمضان كريم.

ملخص

التوكيد نوعان :

١ — لفظى (أو صريح) : هو تكرير صريح للفظ المؤكد .

٢ — معنوى (أو غير صريح) : تكرير المعنى دون لفظه ، بألفاظ أشهرها : نفس ، عين ، كلا ، كلتا ، كل ، جميع ، عامة .

فائدته : تمكين المعنى فى نفس المخاطب وإزالة أى التباس فى الفهم .

(١) الإنصاف فى مسائل الخلاف ٢/٢٣٩ وما بعدها
(٢) تحرير النحو العربى ص ١٦٩

٣ — البدل

الطالب : بقى لنا من التوابع البدل ، فهل لى أستاذى أن أعرف ماهو ؟

الأستاذ : لقد ذكرت فى سؤالك أنه من التوابع ، فهو إذن « تابع مقصود بالحكم بلا واسطة » .

يعنى إذا كنت تقول : جاء زيد بل عمرو فإن المقصود بنسبة المجىء إليه هو عمرو ، فالمعنى جاء عمرو ولكن جاءت الواسطة (بل) قبيل المقصود بالحكم .

الطالب : إن (بل) حرف عطف ، أريد مثالا للبدل .

الأستاذ : مهلا يابنى ، لقد ذكرت لك المثال لأربط دروس النحو بعضها ببعض ليزيد فهمك .

فإذا قلت — مثلا — جاء الطالب عمرو . امتنعت الواسطة ، وكنت أمام مثل للبدل .

الطالب : ألا نستطيع اعتبار كلمة (الطالب) واسطة ؟

الأستاذ : إن الطالب هو عمرو ، وعمرو هو الطالب فلا واسطة فى الكلام ، ومن أجل هذا ترفع (عمرو) كما رفعت (الطالب) لأنه بدل مطابق .

الطالب : ما أيسره من درس .

الأستاذ : إن الدرس لم ينته ، فإذا كنا فى المثال السابق نجد المطابقة تامة حتى يسمى هذا النوع من البدل « بدل الكل من الكل » أى « المبدل منه ـ الطالب » هو نفسه « البدل — عمرو » فإننا نجد قسمين آخرين هما « بدل البعض من الكل » و « بدل الاشتمال » .

الطالب : أرجو مثالا .

الأستاذ : بل فكر أنت فى مثال .

« يفكر الطالب مليا ولا تسعفه القريحة » .

الأستاذ : أعجبنى الطالب ذكاؤه .

الطالب : ولماذا لا تقول : أعجبنى ذكاء الطالب ؟

الأستاذ : وماذا تعرب « ذكاء » فى مثالك ، و « الطالب » فى مثالى ؟

الطالب : كلاهما فاعل مرفوع .

الأستاذ : فكلاهما يحل محل الآخر إذن ؟

الطالب : نعم ، ولكن ما الفرق بين العبارتين فى المعنى ؟

الأستاذ : إننى قصدت أقول : أعجبنى الطالب . وأسكت فتظن أن موضع الإعجاب كان خلق الطالب أو نشاطه فإذا قلت من بعد : ذكاؤه فإن الذكاء مما تشتمل عليه مكونات الطالب ولهذا نسمى هذا القسم من البدل « بدل الاشتمال » .

الطالب : جميل جدا ، أستطيع أن أضرب أمثلة أخرى :
أكلت الرغيف ثلثه ، قرأت الكتاب معظمه ...

الأستاذ : لا يابنى ، لقد عرجت إلى قسم آخر من البدل ، إن الرغيف شىء مادى ، أما الذكاء فمعنوى . فى مثالك « بدل البعض من الكل » أما بدل الاشتمال فبدل على معنى فى متبوعه . وأكثر مايكون بالمصدر نحو أعجبتنى الجارية حسنها ، وقد يكون بالاسم نحو « سرق زيد ثوبه » .

الطالب : ما أدق التقسيم عند النحاة .

الأستاذ : لقد التفت إلى شىء أود أن يلتفت إليه زملاؤك جميعا ، هو دقة الاستعمال فى الألفاظ والأساليب العربية .

الطالب : « تهشم أبو الهول أنفه » هذا بدل البعض من الكل .

الأستاذ : حسن ، نرجع إلى دقة الاستعمال لنرى قسما رابعا للبدل هو « البدل المباين للمبدل منه » .

الطالب : تسمح لى أستاذى أن أعرف معنى « مباين » فى اللغة .

الأستاذ : تعود أن تبحث بنفسك ، وأرشدك مؤقتا أنها من مادة « ب ى ن » .

الطالب : « المباين » : المفارق .

الأستاذ : يقصد « بالبدل المباين » ترك المبدل منه ، وإرادة البدل وحده .

الطالب : إننا فى الأقسام الأخرى من البدل لم نكن نترك المبدل منه لأن البدل يكون مطابقا للمبدل منه ، أو بعضه ، أو كالجزء منه فأرجو أن تسعفنى بمثل .

الأستاذ : انى أسألك عن مصيف مشهور فى رومانيا .

الطالب : (وقد عرته دهشة) فارنا ماما يا مصيف مشهور فى رومانيا .

الأستاذ : لقد عدلت عن كلمة (فارنا) ، وكان الخطأ منك فى أول الأمر للمفاجأة بالسؤال ، وأنت تريد البدل وحده ، وهو ماما يا .. وهكذا يكون البدل المباين للخطأ والنسيان .

الطالب : الخطأ - معذرة أستاذى - قد أوقعتنى فيه ، أما النسيان فكيف يضطرنى إلى بدل المباينة ؟(١) .

الأستاذ : تقول — مثلا — : اشتريت قميصا بثلاثة جنيهات أربعة لقد نسيت الثمن فتذكرت ثلاثة ثم تركت المبدل منه - ثلاثة وأردت : أربعة . فيكون حكمها الجر وعلامته الكسرة كما فعلت فى المبدل منه .

---

(١) وقد يكون عرضا مرضيا لنوبات صرع صغيرة Petit mal - epilepsy

الطالب : إن « بدل المباين » يشبه الإضراب بـ (بل) .

الأستاذ : صحيح ، غير أن (بل) واسطة فى الكلام موجودة فى العطف ، وغير موجودة فى البدل ، وفى بدل الإضراب يذكر متبوعه بقصد كما فى قولك : أكلت رمانا موزا » . لقد أضربت عن الأول فى اللفظ دون أن تسلبه الحكم .

الطالب : هل يجوز أن يبدل ضمير من ضمير ؟ .

الأستاذ : إن وجدت مثالا تستطيع أن تجيب عن سؤالك بأنه لا يجوز ، وأرجو أن ألفتك إلى أن النحو ليس تعسفا لكلام لم يستعمله العرب فى حياتهم بل إن الكلمة نفسها (النحو العربى) تدل على (المثل) .

إنك تجد البدل اسما ظاهرا ، والمبدل منه ضميرا غائبا كما فى قوله تعالى (مافعلوه إلا قليل منهم)(١) فـ (قليل) بدل من الواو فى (فعلوه) .

إن النحاة يقولون : لا يبدل الظاهر من ضمير الحاضر إلا إن كان البدل بدل كل من كل واقتضى الإحاطة والشمول أو كان بدل اشتمال أو بدل بعض من كل .

فنى قوله تعالى (تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا)(٢) .

(أولنا) بدل من الضمير المجرور باللام وهو (نا) .

الطالب : أراك أستاذى لم تذكر من شواهد الشعر ما تمتعنا به ونفيد فى درس البدل .

الأستاذ : لقد سبقتنى بلحظة ، يقول عدى بن زيد العبادى :

---

(١) النساء ٦٦ (٢) المائدة ١١٤

ذريني إن أمرك لن يطاعا   وما ألفيتني حلمي مضاعا (١)

أبدل الظاهر (حلمي) من ضمير الحاضر .. الياء في (ألفيتني) بدل اشتمال .

ويقول آخر :

أوعدني بالسجن والأداهم   رجلي ، فرجلي شثنة المناسم (٢)

الشاهد : في قوله (رجلي) بدل بعض من الياء في (أوعدني) . فهو قد أبدل الظاهر من ضمير الحاضر بدل بعض من كل .

الطالب : هل تعبت أستاذي فنكتفي بهذا القدر ؟

الأستاذ : إني أسألك هذا السؤال ؛ فالنحو لا تقدم عليه إلا خاليـا من الشواغل، تحس صفاء الذهن أو بالأدب النبوي (صل نشاطك فإذا فترت فاقعد) .

الطالب : أرجو أن أستمع إلى تكملة الدرس .

الأستاذ : هناك ما يسمى « بدل تفصيل » : ويكثر في الاستفهام والشرط .

فإذا أبدل من اسم الاستفهام وجب دخول همزة الاستفهام كـ (من ذا ؟ أسعيد أم علي ؟)

من : اسم استفهام مبتدأ ، ذا : خبر ، الهمزة : حرف استفهام ، (سعيد أم علي) بدل تفصيل من (من) مرفوع وعلامة الرفع الضمة الظاهرة .

---

(١) أنظر خزانة الأدب ١٩١/٥ ، عدي بن زيد العبادي ـ الشاعر المبتكر محمد علي الهاشمي ص ٢٤١ ط . الأصيل ـ حلب ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م

(٢) الأداهم : القيود ، شثنة : غليظة (أي القدمين أو الكفين) ، ويحمد ذلك في الرجال، ويذم في النساء. (لسان العرب ٩٧/١٠) ، المناسم : جمع منسم أي خف البعير . خزانة الأدب ١٨٨/٥

وما تفعل أخيرا أم شرا ؟ فـ (خيرا) بدل تفصيل من اسم الاستفهام (ما)

ومتى تأتينا أغدا أم بعد غد ؟ فـ (غدا) . بدل تفصيل من اسم الاستفهام (متى)

وفي الحديث « يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن حلال أم من حرام »(١). أي أهو من جنس الحلال أم من جنس الحرام .

أما الشرط فقد أشار إليه ابن مالك ممثل في بيته :

ويبدل الفعل من الفعل كـ (من   يصل إلينا يستعن بنا يعن)

فـ (يستعن) بدل من (يصل) .

وفي القرآن الكريم : (ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب)(٢) .

يضاعف : بدل اشتمال من (يلق) فجزم مثله .(٣)

الطالب : أشكرك !

الأستاذ : أتمنى لك التوفيق .

ملخص

البدل : هو (تابع مقصود بالحكم بلا واسطة) .

أقسامه ١ ــ بدل مطابق (ويسمى عطف بيان أو بدل الكل من الكل)

٢ ــ « بعض من الكل   (في الماديات)

٣ ــ « اشتمال   (في المعنويات)

٤ ــ « مباينة { أ ـ بدل الإضراب / ب ـ « الغلط }

(إضراب عما قبله في اللفظ دون أن تسلب الحكم عن الأول ، أو خطأ أو نسيان فتسلب الحكم عن الأول)

٥ ــ « تفصيل   (ويكثر في الاستفهام والشرط)

---

(١) صحيح البخاري ٤/٢   (٢) الفرقان ٦٨

(٣) قرىء بالرفع شاذا على الاستئناف . إملاء ما من به الرحمن ٦٥/٢

٤ — العطف

الطالب : إن منـــاهج التعليم ترتب دروس التوابع : النعت ، العطف ، والتوكيد ، البدل .

الأستاذ : لقد وضعت العطف آخر التوابع ، لأننا نلاحظ أن الثلاثة غيره ترتبط بالمتبوع نصفه ، توكده .. فالمطابقة ليست فى الإعراب وحسب .

أما فى العطف فالمتبوع غير التابع ، وإنما المطابقة فى الإعراب فقط .

الطالب : وأحسب أن ثمة سببا تفسيا لذلك ، هو يسر الدرس ، وقد أردت سيادتك أن تقتحم ماهو أصعب فى بدء اللقاء .

الأستاذ : إن الصعوبة أو اليسر مسألة نسبية .

الطالب : لقد قرأت فى « أساليب النفى فى القرآن » أو ، أم ، بل ، لكن ، فأعجبنى العرض وحسن التناول وتفسير هـــذه الحروف فى بعض الآيات ، ومحاولتكم تأصيلها .

الأستاذ : أما وقد رجعت إليها فقد أعفيتنى من إعادة الحديث .

الطالب : لقد رأيت أيضا فى « التطبيق النحوى » مايؤيد وجهة نظركم فى هذا الترتيب ، ووجهة نظرى فى يسر هذا الموضوع .

قال المؤلف : « جعلنا عطف البيان فى هذا الترتيب بعد البدل . لأنه فى الحق يعود إلى بدل الكل من الكل ، وهم يعرفونه بأنه اسم جامد يتبع اسما سابقا عليه يخالفه فى لفظه ويوافقه فى معناه ، للدلالة على ذاته ، وذلك مثل : قرأت مدائح الشاعر المتنبى للأمير سيف الدولة » .

فكلمة (المتنبى) عطف بيان من الشاعر ، وكلمة سيف الدولة عطف بيان من الأمير » .

ثم يستطرد المؤلف قائلا : « ويعترف النحاة بأن عطف البيان يصح إعرابه بدلا ، بدل كل من كل ، لكنهم يقرون أن هناك مواضع لايصح أن يكون فيها بدلا ، والحق أن هذه المواضع التى قرروها ليست مبنية على أساس الواقع اللغوى ومن الأفضل طرح عطف البيان وتوحيده مع البدل (١) .

أما مالعله يؤيد وجهة نظرى فى يسر الدرس فهـــو أن المؤلف اكتفى بسرد حروف العطف : الواو . الفاء ، ثم ، أو ، حتى ، أم ، إما ، ولكن ، لا ، بل . دون تفصيل فى شرحها لافتا إلى أنه ليس شرطا أن تعرب كل (واو) أو (ثم) — مثلا — حرف عطف بل يكونان حرفى استئناف ، إذ ينبغى أن تراعى معنى العطف عنـــد التطبيق ، أى لابد من لمح الصلة بين المعطوف والمعطوف عليه(٢) .

الأستاذ : أشكر لك يابنى أمانتك فى النقل ، غير أن ماذكره زميلى الأستاذ الدكتور عبده الراجحى من اقتراح بطرح عطف البيان قد سبقه إليـــه مؤلفو « تحرير النحو العربى » الذى صدر عن دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨ م بل الأمر أبعد من ذلك إذ لانجد عطف البيان فى كتب النحو فى عصرنا وإنمـــا فى بطون الكتب القديمة ، حتى أننـــا حين تذكر (العطف) ينصرف الذهن إلى عطف النسق بحروفه المعروفة ، ولا يتبادر عطف البيان .

الطالب : مامعنى « النسق » ؟

الأستاذ : النسق — بالتسكين — مصدر نسق الكلام إذا عطف بعضه على بعض ، وبابه نصر .

(١-٢) التطبيق النحوى ص ٢٩٣ ، ص ٢٩٤ .

وتقول ـ خرز نسق : منظم ، والنسق أيضا ماجاء من الكلام على نظام واحد .

الطالب : إن التسمية تدل على ذوق فنى ، إذ تعطى تصورا أكمل للجملة من تلك التى تخلو من حرف العطف ، فإذ تقول : ـ مثلا ـ اشتريت الحديد غير قولك : اشتريت الحديد والأسمنت . إن الجملة الأخيرة تعطى إيحاء بالاستعداد للبناء أكمل وأفضل مما إذا خلت الجملة من العاطف .

الأستاذ : هذه وجهة نظر ، وأرجو أن ألفتك إلى ماذكره المستشرق الفنلندى هولما إذ استدل من الإكثار من حرف (الواو) على أن العقلية العربية عقلية تجميع لاتركيب ، فاللغات الأوربية لاتكثر من استخدام هذه الأداة بل تستخدم نقط الانتهاء لأنها لاتجمع جزئيات بل تثبت حقائق أو ترسم صورا لتبنى بناء فكريا أو فنيا يدركه المتلقى عن الكاتب(١) .

الطالب : من غيظى لا أريد أن أعقب .

الأستاذ : إن الحوار الفكرى محتاج إلى هدوء نفسى ، لعلك مثلا تريد أن تقول إن أول أبواب النحو فى الكتب القديمة ، الكلام وما يتألف منه ، والتألف وقوع الألفة والتناسب بين الجزءين ، وهو أخص من التركيب ؛ إذ التركيب ضم كلمة إلى أخرى فأكثر ، فكل مؤلف مركب من غير عكس . كما يقول العلامة الملوى .

الطالب : (بشىء من الغبطة) يبدو أن العلامة الملوى كان من ملوى من مراكز المنيا .

الأستاذ : هل ترى فرقا بينك وبين المستشرق الفلندى هولما ؟ كلاكما يعتز

---

(١) نقلا عن د. محمد مندور : الأدب وفنونه ص ٧٠ الطبعة الثانية ـ القاهرة .

بيئته ، ولا بأس على ألا نفقد الموضوعية .

الطالب : إن خواص الأجناس البشرية وأثرها فى العقول من الموضوعات التى عرض لها المفكرون .

الأستاذ : وربما كان من الأوفق أن نبحث فى أثرها على اللغة كذلك ، فإذا كان تصور الأمة للاشياء تصورا جافا كانت اللغة ضربا من الرموز أو مايقرب من ذلك ... وكانت الفلسفة أشبه بشىء من النصائح والمواعظ كما يقول تين فى مقدمة كتابه « تاريخ بلاغة الانجليز » ويضرب لذلك مثلا الأمة الصينية ... وهو رأى متهم بالمبالغة (١) .

الطالب : نعم إن الأمر راجع إلى البيئة والحوادث التى تمر بها (٢) . ودليلنا القرآن وأثره فى أمة العرب ولغتها .

الأستاذ : يقول الله « .. فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لايشعرون »(٣) . هاتان آيتان لم أتكلف اختيارهما ، أرجو أن تتأمل فيها وقع الواو وما يعطى من سلاسة التعبير متسقا مع ألفاظ الآيات .

إن الواو لمطلق الجمع ، وتنفرد من سائر حروف العطف بأن يعطف بها على مالا يستغنى به عن متبوعه نحو : تفاعل وافتعل نحو : تشاجر عمرو وزيد ، اختصم على وسعيد .

(٢،١) يراجع أحمد ضيف : بلاغة العرب ، ط السفور القاهرة سنة ١٩٢١م

(٣) القصص ٨ ، ٩ .

الطالب : فى الألفية :

واخصص بها عطف الذى لا يغنى ··· متبوعه كاصطف هذا وابنى

كيف يكون « اصطف » على وزن افتعل ؟

الأستاذ : أنت ترى أن الفاء مشددة يعنى ذلك أن الأصل اصطفف ضع كل حرف من هذه الحروف فى مقابل حروف افتعل تجد الوزن سليما : ا ص ط ف ف
ا ف ت ع ل

الطالب : (ثم) — تفيد الترتيب والمهلة .

الأستاذ : نسيت الفاء ، وهى للترتيب والتعقيب ، وربما تذكرتها حينما تذكر قوله تعالى :

« .. أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره » (١)

والطريف أن بعض النحاة قال « الفاء للترتيب على ما يليق بالمقام ، نحو : تزوجت هند فولدت إذا كانت مدة الحمل تسعة أشهر فيصدق عليه أنه تعقيب (٢) وفى الحديث » . « قال جابر فى يدى خمسمائة ثم خمسمائة (٣) فاستعمل (ثم) مع أن السياق يوحى بتتابع العد وتعاقبه .

الطالب : أرجو أن تحدثنى سيادتك عن (حتى) فالقولة المشهورة :

« مات وفى نفسه شىء من حتى » تخيفنى .

الأستاذ : الأمر أيسر من أن تخاف منه . (حتى) لا يكون المعطوف بها إلا

(١) عبس ٢١، ٢٢

(٢) مغنى اللبيب ١٩١/١ وما بعدها ، حاشية الملوى ص ١٤٢

(٣) صحيح البخارى ٧٣/٢ ط ، العثمانية بمصر ١٣٥١ هـ .

بعض المعطوف عليه ، ولا يكون إلا غاية له : فى الزيادة أو فى النقص .

الطالب : أسعفنى بالأمثلة من فضلك .

الأستاذ : تقول : كل الناس مبتلى حتى الأنبياء .

المعطوف عليه كل الناس ، والأنبياء بعض هؤلاء الناس وهم غاية فى الزيادة .

وتقول : أبغض العاملون العميد حتى السعاة .

والسعاة بعض العاملين ، وهم فى أدنى مرتبة من السلم الوظيفى .

الطالب : ثمة شاهد تورده كتب النحو ، أرجو إيضاحه .

ألقى الصحيفة كى يخفف رحله ··· والزاد حتى نعله ألقاها .

الأستاذ : المعنى ألقى كل ما معه حتى ما تتصور أنه ضرورى له . . نعله إن السياق يوحى بأنه ألقى كل ما معه ، والنعل بعض من هذا الكل ، غير أن « كل ما معه » ليست صريحة فى البيت ، ولهذا قيل هنا فى البعض « بعضيته مؤولة » .

الطالب : وفى قوله تعالى (سلام هى حتى مطلع الفجر) دلالة أيضا على انتهاء الغاية .

الأستاذ : إن (حتى) فى هذه الآية حرف جر بمعنى إلى ، أما (حتى) العاطفة فهى بمعنى الواو . فافهم هذا الفرق جيدا . وفى الحديث : « .. مهما أنفقت من نفقه فإنها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك .. » (١) أى كل إنفاقك صدقة واللقمة ...

(١) صحيح البخارى ٨٣/٢

الطالب : لقد قرأت لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) «أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ... وذلك أنا لانعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ... ثم قال: وننظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء، وموضع الفاء من موضع (ثم) وموضع (أو) من موضع (أم) وموضع (لكن) من موضع (بل)[1] ...

الأستاذ: لقد رجعنا إلى ما بدأنا به «الكلام وما يتألف منه».

الطالب: إذا كان بقي من الحروف العاطفة «لا» فإنه يعطف بـ (لا) بعد النداء والأمر، وبعد الإثبات أما بعد النفي فلا.

فيقال: يا زيد لا عمرو

اضرب زيدا لا عمرا

حضر زيد لا عمرو

ولا يقال: ماجاء زيد لا عمرو

إنها تفيد قصر الحكم على ماقبلها.

الأستاذ: حسنا ...

الطالب: لقد سجلت محاورتنا في التوابع النحوية، ووددت لو نشرت في شرائط مسموعة إذن لربحت ربحا كبيرا.

الأستاذ: أما أن تنشر للعلم فنعم، فمن سئل عن علم فمنعه ألجمه الله بلجام من نار ...

(١) الإيجاز شرح دلائل الإعجاز ص ٥٥، ص٥٦ ط. المطبعة العربية القاهرة ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠م

يوم القيامة، أما للكسب المادي فذلك شيء يجب ألا يكون مقصد المشتغلين بالفكر حينما يمسكون القلم، أو ينطقون بالكلمة لوجه الله.

الطالب: «ويبدو على وجهه مزاج من الدهشة وارتياح»: لو أن هذا المعنى عند أساتذتنا جميعا لاسترحنا كثيرا. لقد رأيت المسئولين في إحدى كليات الآداب يعفون مدرسا من تدريس النحو ليدرس الأدب الحديث لأنه أشار إلى مرجع نحوي وجد إقبالا من الطلبة.

الأستاذ: إنه الحقد الذي تعرض له كثير من المخلصين، تعرض له من النحاة عبد الرحمن بن علي ... المكودي، الذي أشرت عليك بقراءة شرحه على الألفية وهو مطبوع بمصر سنة ١٣٥٥هـ وقيل إنه ألف كتابا أكبر منه، لكن أحرقه أعداؤه حسدا فدعا عليهم وكانت دارهم دار علم فقطع الله منهم العلم ....، كما يقول العلامة الملوي في حاشيته على الشرح.

والذي أود أن أطمئن عليه: ماذا أفدت من نتائج الحوار؟

الطالب: ١ — مزج العلم بالخلق العلمي الذي يتمثل في بعض مظاهره في عدم تجريح الأقدمين لهفوة منهم أو هفوات، فحسبهم أنهم اجتهدوا.

٢ — أن أساس تيسير النحو في طريقة العرض: بالحوار الهادىء. أما اختيار قاعدة دون أخرى لشهرتها فحسب فذلك مالا نستريح إليه.

٣ — ربط الدرس النحوي بالقرآن الكريم والحديث النبوي.

الأستاذ: حسبك هذا، وأود أن أشير عليك باستخلاص المادة النحوية في الحوار مضيفا إليها من قراءاتك.

الطالب: بل أنوي أن أفعل أكثر من ذلك، سأختار موضوعا للبحث النحوي القرآني.

المصطلحات النحوية

نورد بعض عنوانات الأبواب فى كتاب سيبويه ومقابلها فى استعمالنا المعاصر، ومنه يتبين الايجاز فى تطور المصطلح الأمر الذى أعان على شيوعه فى الوطن العربى.

المصطلح عند سيبويه	فى الاستعمال المعاصر
١ـ هذا باب المسند والمسند إليه	المبتدأ والخبر
٢ـ » » من الابتداء يضمر فيه ما بنى على الابتداء	حذف الخبر بعد (لولا)
٣ـ » » الحروف الخمسة التى تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده بالأفعال	إن وأخواتها
٤ـ » » ما أجرى مجرى (ليس) فى بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصير إلى أصله	(ما) الحجازية
٥ـ » » النفى بـ(لا)	(لا) النافية للجنس
٦ » » الفعل الذى يتعدى اسم المفعول الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشىء واحد	كان وأخواتها
٧ـ » » الفاعل الذى يتعداه فعله إلى مفعوله	المتعدى لمفعول واحد
٨ـ » » الفاعل الذى يتعداه فعله إلى مفعولين فإن شئت اقتصرت على الفعل الأول وإن شئت تعدى إلى الثانى	المتعدى إلى مفعولين ليس أصلها المبتدأ والخبر

المصطلح عند سيبويه	فى الاستعمال المعاصر
٩ـ هذا باب ما يكون من المصادر توكيدا، وما ينتصب بإضمار الفعل المتروك	المفعول المطلق
١٠ـ » » النداء	النداء
١١ـ » » الاستثناء	الاستثناء
١٢ـ » » البدل من المبدل منه	البـدل

وبعد

فقد ضم السفر الذى بين يدى القارىء دراسة ومحاورة كان موضوعها الابتداء ونواسخه، المفعولات الخمسة، النداء، الاستثناء، الحال، التمييز، ثم التوابع.

وتتلخص سمات البحث فى النقاط التالية:

١ — تقديم جديد فى التأليف النحوى يعتمد على المحاورة، والطريقة الحوارية فى الدرس إحدى طرق التعليم التى يعتد بها.

٢ — الأمثلة مستقاة من الكتب النحوية القديمة لاسيما ما يتعلق منها بـ(زيد) وأمثلة مما نسمعه فى حياتنا المعاصرة حتى يكون الدرس النحوى بموقع من وجدان القارىء حينما يربط القديم بالحديث.

٣ — التوسع فى القاعدة النحوية بحيث تجمع وجوه النظر المختلفة عند النحاة مؤيدة بالشواهد.

٤ — إعراب بعض الأمثلة لتكون نموذجا للتطبيق، ومعوانا على فهم القواعد.

٥ — العمق والبساطة فى العرض حتى ينتفع بالبحث المتخصصون ومن

دونهم ؛ فما يذكر من قوانين التعلم قانون الأثر ، ومفاده أنه كلما كان العرض يسيرا متقبلا عاودت النفس قراءته والعناية بموضوعه فى مظانه المختلفة ليكون القارىء على بينة من قيمة البحث فى ضوء دراسات الآخرين .

٦ — ربط الموضوعات التى يتناولها البحث بعضها ببعض ؛ فـ(كان وأخواتها) لا تنفصل عن (المبتدأ والخبر) ، ويجب الفرق بينها وبين (إن وأخواتها) و (ظن وأخواتها) ، والمفعولات مجموعة واحدة ، وثمة صلة للمنادى والمستثنى بالمفعول به ، وكذلك الحال بالتمييز ، والتوابع مجموعة نحوية تدرس متصلة .

٧ — محاولة الوقوف على منهج الأقدمين فى الدرس النحوى ؛ ففى دراسة المنهج دراسة لفكره ، ومن غير السائغ فى نظرنا أن تقترن محاولات التيسير فى شرح الدرس النحوى بالسخرية من جهود القدامى ؛ فلولا تفصيل القواعد منهم لما استطاع باحث أن يصل إلى قاعدة للتيسير يطمئن إليها إلا أن يبدأ كما بدأوا .

٨ — العناية بالاستشهاد فى القرآن والحديث الشريف ذلك أن علم النحو نشأ ونضج فى خدمة القرآن ، وبعض الآيات الكريمة قد تستعصى على فهم إذا لم يكن على صلة بالنحو العربى ؛ فلقد يلفت قارئنا — مثلا — كسر همزة (إن) فى قوله تعالى (والله يعلم إنك لرسوله) فيلتمس المعرفة فى القاعدة النحوية ... لقد علق الفعل (يعلم) باللام فكسرت الهمزة .

والحديث الشريف هو المصدر الثانى للتشريع ، روى بلفظ عربى ، فمن الجناية على اللغة والنحو أن نغفل عنه (١) .

---

(١) يراجع بحثنا « مظاهر القصور فى تدريس النحو » من مجموعة أعمال مؤتمر (اللغة العربية : واقعها ووسائل الارتقاء بها .) الذى عقدته جامعة الاسكندرية من ٢٦ من ديسمبر ١٩٨١ (٣٠ من صفر ١٤٠٢) إلى ٣٠ من ديسمبر ١٩٨١ .

فماذا عن نتائج البحث بعد عرض سماته ؟

من حيث القاعدة النحوية :

نرى أنه كلما كانت القاعدة أوجز كانت أجدر بالقبول ؛ فبدلا من « مسوغات » الابتداء بالنكرة نقول « مسوغ الابتداء بالنكرة » وهو الحصول على الفائدة فنتجنب بذلك اختلاف النحاة فى المسألة حتى بلغوا بتلك المسوغات عشرين مسوغا أو يزيد .

وكذلك مواضع كسر همزة (إن) تجمعها قاعدة عامة هى : تكسر همزة (إن) عند الابتداء .

كذلك ننق المفعول من أجله مما اشترطه النحاة من اتحاد الوقت واتحاد الفاعل فيكون التعريف الميسر له « المصدر المنصوب لبيان السبب » وهكذا

من حيث التطبيق النحوى :

كانت لنا وجهات نظر فى الإعراب ؛ فبينما يذهب بعض المعاصرين إلى إخراج (صار) من أخوات (كان) وإعراب خبرها تمييزا ، نذهب إلى أن مايلحق بها فى المعنى مثل « غدا » و « ارتد » ... ليس من الضرورى أن يأخذ حكم (صار) الإعرابى ، وإنما يعرب المخبر به باستعمال هذه الأفعال حالا .

وقد رأينا الأشمونى — مثلا — يعرب (بصيرا) فى قولنا ارتد بصيرا خبرا لـ (ارتد) ، بينما المفسرون كالعكبرى يعربون بصيرا فى قوله تعالى (اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا) حالا ، مع أن معنى (يأت) فى الآية (يصير) أو (يرتد) .

وقد كانت كثرة مايرد قريب المعنى من (صار) حتى عد بعضهم (بات) مثلها فى المعنى مسوغا عندنا لأن يكون لـ (صار) فحسب العمل كأخوات كان ، قياسا على أنه لا يؤكد توكيدا معنويا إلا بألفاظ بعينها .

كذلك كانت لنا نظرة فى إعراب (ثم) عاطفة وليست حرفا مهملا فى مثل قوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين ثم ماأدراك مايوم الدين) فالآية الثانية معطوفة على الأولى ، وليست توكيدا لفظيا إلا من وجهة نظر ، وإن كان التوكيد لاينكر مع القول بـ (ثم) عاطفة ، وذلك كما قال البغدادى فى (جميعا) حال مؤكدة لصاحبها ولم يكتف بالقول بأنها حال كما فعل غيره .

والنظر إلى مانطلق عليه « المعنى النفسى » أساس للإعراب كما رأينا فى مبحث زيادة (كان) ، والضرورات الشعرية بعامة قد ترجع عندنا إلى المسألة النفسية للقائل .

تعليل الظواهر النحوية :

يزخر النحو العربى بالأساليب التى تستوقف النظر مستفهما بـ (لماذا) ، وأكثر مايكون هذا الاستفهام قبولا إذا اتصل الأمر بالمعانى البلاغية ، وفى مثال النحاة من شراح الألفية وبعدهم « بقرة تكلمت » أنه يبتدأ بالنكرة إذا كانت دالة على خارق العادات . ونحن نطرح هذا المسوغ فى ذلك المثال لأنه لايتفق والواقع اللغوى إلا على سبيل المجاز .

ولقد كان النحو درسا فى المعانى يفرق بين دقائقها ؛ ففرق بين (الواو) عاطفة والواو للمعية ، وفرق بين قولك « يامسئولون ابحثوا شكواى » وقولك : « يامسئولين ... » بل يمتد الفرق إلى أن يعطى أحد التعبيرين صورة مختلفة عن الأخرى .

وفى الاستثناء المنقطع لانعدم تعليلا متقبلا أن نستثنى الشىء مما ليس من جنسه وهو اشتراك المستثنى والمستثنى منه فى عناية القائل بهما ، وبهذا التعليل تتفق وقول سيبويه والأقدمين إنه على سبيل التوسع وإن لم نقع على هذا التعليل عندهم .

الرد على النحاة :

كانت لنا وقفة تأمل مع النحاة والباحثين المعاصرين ننتصف لمن نرى الحق فى جانبه ، من ذلك ما أبداه بعض المعاصرين من أن « أفعال المقاربة » تسمية غير دقيقة ، مع أن من الخالفين من سبق إلى اللفت إلى هذه التسمية ، ورأوا أنها تتفق والاستعمال المجازى فى العربية .

وقد أظهرت المحاورة العلمية أحد المراجع التى لاتذيل بها الدراسات النحوية المعاصرة — فيما نعلم — وهو « شرح المكودى على ألفية ابن مالك » ويلفت بحثنا إلى العناية بالدرس النحوى فى المغرب العربى حيث عاش المكودى ودفن فى فاس سنة ١٠٨٠هـ .

ولعل السؤال الذى لانفتأ نردده : ماذا عن تيسير النحو ؟

لقد كان من أسباب التفصيل عند النحاة القدامى الاستقصاء اللهجى للقبائل العربية ، ففى حين تجرى (سليم) القول مجرى الظن بلا شروط نجد عند غيرها أن الفعل لابد أن يكون مضارعا مسندا إلى المخاطب ومسبوقا باستفهام كما فى المثال : أتقول عمرا منطلقا ؟ ويبيئنا اليوم تقبل لهجة سليم فى هذه مما تصلح أساسا للتيسير وهكذا نجد التيسير بالاختيار من القديم بعد استيعابه ، كما نجد التيسير ودقة الاستعمال فى (النحو القرآنى) فيما رأينا مثلا فى تعريف المفعول من أجله ... وفيما نرى من دلالة الفعل (عد) وهو عند النحاة من أفعال الرجحان ، والأقرب عندنا أنه من أفعال اليقين فى الاستعمال القرآنى .

ولن يرى قارئه طرح بعض المباحث النحوية لقلة استعمالها قلة تقرب من العدم فى عصرنا . كالأسماء التى لازمت النداء وكذلك اتجهت بعض الدراسات المعاصرة مع أنها كتبت للمتخصصين ، ونرى إحياء هذه الأسماء

والقياس عليها فى الأعمال الأدبية من قصة أو مسرحية . وغيرهما لا سيما أن الشعر

القديم والحديث النبوى الشريف قد حفظا لنا طائفة من تلك الأسماء ، ومنها نقل

من وسائل التيسير فإن مناط الأمر على طريقة العرض .

وإذا كان الأقدمون قد جمعوا المنصوبات من الأسماء المفعولات الخمسة (ومن

المفعول به المنادى) . والمستثنى ، والحال والتمييز ، خبر (كان) وأخواتها ،

خبر ما حمل على (ليس) ، وهو أربعة حروف نافية ، اسم (إن) وأخواتها ، اسم

(لا النافية للجنس) ، وهو ما تناوله بحثنا ، فإن الغرض التعليمى يجب أن يساير

الطرق التربوية فى التعليم فتدرس جميعا فى أوقات متقاربة ، كما يجب ربط الدرس

النحـــوى بالبلاغة وإعجاز القرآن ، إن ذلك من شأنه توسيع مدارك المتلقى ،

وشعوره بأهمية الدرس وأنه غير منفصل عن حياته اللغوية والفكرية .

تلك شذرات عن سمات البحث ونتائجه ، وإذا كان لنا من توجيه نختم

به بحثنا (فى علم النحو : دراسة ومحاورة) فهو أن البحث لا ينفك عن الخلق .

المصادر والمراجع

نثبت بعض المصادر والمراجع ، وثمة غيرها نكتفى بإثباته فى موضعه من البحث .

ابراهيم مصطفى (وسبعة آخرون)

(١) تحرير النحو العربى ، قواعد النحو مع التيسير الذى قررة مجمع اللغة العربية)

ط . دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م

الأزهرى (خالد بن عبد الله)

(٢) شرح التصريح على التوضيح (جزآن)

(٣) وبهامشه حاشية يس بن زين الدين العليمى

ط . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة

الأشمونى (نور الدين أبو الحسن على بن محمد)

(٤) شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك

(٥) وبهامشه حاشية الصبان

(٦) ومعه شرح الشواهد للعينى

ط . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة

أمين على السيد (دكتور) :

(٧) دراسات فى علم النحو

ط . دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م

البخاري (محمد بن اسماعيل بن المغيرة بن بردزبه (١٩٤ - ٢٥٦هـ)

(٨) صحيح البخاري

ط. العثمانية بمصر ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م .

البغدادي (عبد القادر بن عمر) (١٠٣٠ - ١٠٩٣هـ)

(٩) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.

تحقيق وشرح : عبد السلام هارون

ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب . مصر ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر)

(١٠) الكتاب

تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون

ط . دار القلم ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م مصر (الجزء الأول)

ط . د الكاتب العربي ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م مصر (الجزء الثاني)

عبده الراجحي (دكتور)

(١١) التطبيق النحوي

ط. دار النهضة العربية . بيروت ١٩٧٩م

ابن عقيل (٦٩٨ - ٧٦٩ هـ)

(١٢) شرح ابن عقيل على متن الألفية .

ملتزم طبعه : محمد سعيد الرافعي

ط . دار الطباعة المحمدية . القاهرة ، الطبعة الخامسة ،

العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله)

(١٣) إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات

تحقيق ابراهيم عطوة عوض

ط. الحلبي . مصر ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م .

المكودي (عبد الرحمن بن علي بن صالح)

(١٤) شرح المكودي على ألفية ابن مالك

(١٥) بهامشه حاشية الملوى

ط. القاهرة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م

الهذليون

(١٦) ديوان الهذليين (نسخة مصورة)

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م

ابن هشام (جمال الدين بن يوسف بن أحمد ..) ٧٠٨ - ٧٦١هـ

(١٧) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك .

تعليق : عبد المتعال الصعيدي

ط. صبيح . القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م

(١٨) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب

(١٩) ومعه : منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب
تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد
ط. م. السعادة . مصر ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م

(٢٠) مغنى اللبيب (جزآن)
تحقيق - محمد محي الدين عبد الحميد
مصـــر

ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على) ت ٦٤٣ ،
(٢١) شرح المفصل (عشرة أجزاء)
ط . المنيرية . القاهرة .

ملحـــق

بحث

مظاهر القصور فى تدريس النحو العربى

ألقى فى ٣ من ربيع الأول ١٤٠٢
٢٩ من ديسمبر ١٩٨١

بمؤتمر جامعة الاسكندرية

إذا قلنا (اللغة العربية) انصرف الذهن إلى فرع أصيل فيها هو علم النحو ، وإذا قلنا « لغتنا الجيلة » اتجه الذهن إلى الأدب ، و« الإعجاز اللغوى » يعنى القرآن فإذا ماترددت صيحات تشكو صعوبة اللغة فإن المقصود غالبا هو النحو ليس غير .

وليست الشكوى وليدة الحياة المعاصرة ، وإنما تمتـــد فى أغوار التاريخ إلى القرون الأولى من الهجـــرة حينما نشأت المدرسة البصرية والكوفية ثم المدرسة البغدادية ، وقد يبلغ الخلاف أن ينشق أحد أعضاء هذه المدرسة أو تلك لينضم فى مسألة محوبة معينة إلى المدرسة الأخرى ، مما حدا بابن الانبارى (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) إلى أن يؤلف كتابه المعنون (الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين) وتنشأ المدرسة الأندلسية ثورة على نحاة المشرق العربى .

ويقول ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨هـ) : « وبالجملة فالتآليف فى هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها ، وطرق التعليم فيها مختلفـــة . فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين ، والكوفيون والبصريون والبغداديون

والأندلسيون مختلفة طرقهم كذلك)(١).

ونحسب أن نظم القواعـــد فى ألفية كألفية ابن بونة وابن معط وابن مالك والسيوطى محاولة لتيسير النحو العربى ، وكذلك إيراد القواعد فى عبارات يسهل حفظها مثل قولهم : حروف الزيادة يجمعها « هويت السمان » ، و « ما بعد المعارف أحوال وما بعد النكرات صفات » ، غير أن هـذه المحاولات لم تؤت ثمـارها إلا قليلا ، بل دعت إلى مزيد من الشرح والدراسات النحوية ، والمؤتمرات تعقد فى مصر والبلاد العربية منذ عام ١٩٣٨ إلى يومنا هذا فى أواخر سنة ١٩٨١ .

فما هى مظاهر القصور فى تدريس النحو العربى ، وما أسبابه وما علاجه ؟ هل ننظر إلى تلك المظاهر من نتائج الامتحانات أو أن الشكوى المتكررة معبرة فى ذاتها عن القصور والضعف ؟ لقد سمعت غير طالب يقول : حصلت على تقدير « جيد جدا » وأحس أنى ضعيف فى النحو (٢) ، وسمعت الضعفاء فى هـذا العلم يقولون : نحب النحو العربى . وفى عينة عفوية لطلبة قسم اللغة العربية « الفرقة الثانية » بكلية الآداب بالمنيا كانت النسب كما يلى سنة ١٩٨٠ م : طلبة يتقبلون النحو بشغف ٥٠٪ ، وطلبة يتقبلونه بدرجة متوسطة نحو ٣٦٪ ، وطلبة يرون صعوبة فيه نحو ١٤٪ .

وكانت الإجابة عن أصعب الأبواب بالترتيب : المفعولات ، والتمييـز ،

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٥ ط . التحرير القاهرة سنة ١٣٠٣هـ — سنة ١٩٦٦م .

(٢) كانت نسبة الذين أجابوا عن سؤال : هل يتفق التقدير الرسمى ومستواك التحصيلى فى علم النحو ؟ بـ « لا » ، نحو ١٥ ٪ ، (موجه إلى طلبة كلية التربية . الفرقة الثالثة . جامعة المنيا فى ١٣ من يناير سنة ١٩٨٢ . واللافت أن هذه النسبة عبرت عن مستواها الفعلى بعبارة « ضعيف جدا » .

والعطف ، الاستثناء ، تقديم الخبر على المبتدأ ، الممنوع من الصرف ، الحال . وأخيرا الشواهد : إعرابها ومعانيها .

ومما يلفت النظر إجابة عن هـذا السؤال قول بعضهم « شرح ابن عقيـل على ألفية ابن مالك » . فهو قد نظر إلى الكتاب وليس أبواب النحو ، أو بتعبير آخر ربط التأليف النحوى بالتدريس .

وإذا كانت الملاحظة سبيل معرفة القصور والضعف فإن النظر إلى المقررات من المناهج ومن يتولون تدريسها تلقى الضوء كاشفا على المشكلة وأبعادها .

ففى الفرقة الأولى بإحدى كليات الآداب بالأقاليم كلف الطلبة بدراسة القياس فى النحو مما أرهقهم طوال العام دون جدوى حقيقية ، فإذا ما انتقلوا إلى الفرقة الثانية كان الذين يقومون بالتدريس المعيدون دون مدرس النحو المتخصص ، فإذا ما انتقلوا إلى الفرقة الثالثة فى العام الجامعى ١٩٨١ - ١٩٨٢م قرر عليهم كتاب غريب على الوجدان الإسلامى ، ملىء تحريفا متعمدا لآيات الله — سبحانه — والحديث الشريف ، ويزخر بالأمثلة الخارجة على الفكر الإسلامى ، ولم يستطع مؤلفه اللبنانى غير المسلم إلا تسميته « مبادىء العربية فى الصرف والنحو » ، هـذه المبادىء تقرر على طلبة اللغة العربية تخصصهم الذى يقومون بتدريسه للمرحـلة الإعدادية بعد عام » .

فإذا نظرنا إلى الفرقة الرابعة نجد مدرس اللغة المساعد يقـوم بالتشكيك فى صحة الشواهد النحوية ويرى عدم الاستشهاد بها لذلك .

ذلك واقع لا يخفى على اللبيب تعليله ، وإذا كانت الأمم تعنى بتدريس قواعد لغاتها حفاظا على الملكة اللسانية لأبنائها ، واعتزازا بقوميتها فإن للأمة الإسلامية

ميزة تضاف إلى تلك ، وهى الحفاظ على القرآن الكريم حيا فى نفوس أفرادها وما نشأ علم النحو إلا فى رحاب القرآن .

وتزداد المشكلة تفاقما حينما يتيقن الطالب نقص المراجع الأصيلة فى المكتبات الجامعية مع صعوبة شرائها مما يثبط كثيرا من الهمم ، فاذا ما نظر إلى القدوة فى الأشخاص فالقيادات لا تحفل بسلامة اللغة فيما يلقون على مسامع الناس أو يكتبون لهم . ففى الصحف مثلا نقرأ « إحدى تقاريره » ، « شعرنا نحن أصدقاؤه » .. (١)

إن الأمر لا يقتصر على شيوع خطأ فى استعمال ما وإنما يمتد إلى لامبالاة بالنحو عامة . فلسان الحال والمقال من التلاميذ : هذا كاتب كبير يخطىء فما بالنا نحن ؟

أما التأليف النحوى المعاصر للمتخصصين فيعمد فى كثير إلى السخرية بجهود السالفين مما يغرس فى النفوس عدم تلقيه بقبول حسن ، وكانت محاولات التيسير لا تخلو من قصور فى النظر المتخصص (٢) ، بينما لا تختلف بعض الدراسات الحديثة عن سابقتها فى شىء غير نوع الورق ، والبعد عن نسبة المذاهب فى مسألة نحوية إلى أصحابها .

من أجل هذه العوامل خلت الدراسة النحوية - فى نظرنا - عن الروح الذى يدفعها إلى أمام ، ولم تبعد همة الطالب عن نتيجة الامتحان فى نهاية العام الدراسى .

(١) فى مقال نجيب محفوظ « الحب والموت » . الأهرام ٢١ من ديسمبر ١٩٨١ (٢٥ من صفر سنة ١٤٠٢هـ) .

(٢) يراجع بحثنا « الشواهد النحوية » ص ٢٩ ط . دار المعارف ، مصر ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

وكانت الحلول - فيما نرى - تتناول الادارة التعليمية ، الكتاب والمنهج، المدرس الكفء .

ففى الجامعات قيادات إدارية هى فى درجات العلم الرسمية دون (الأستاذ) مع وجود الأساتذة فى تخصصاتهم، وتسعى هذه القيادات إلى الشللية لتقوية نفوذها، وذلك على حساب المستوى العلمى أحيانا .

أما الكتاب المتخصص فأحسب أن نجاحه رهن بتصفية الدرس النحوى من الخلاف الذى لا طائل وراءه ، مع عدم إغفال جوانب الخلاف شريطة أن يكون فى باب مستقل تحت عنوان « منهج المتقدمين » - مثلا - فالمفعول من أجله يعرف أنه « مصدر يذكر بعد الفعل لإيضاح سببه » ، أما أن يتضمن التعريف أنه « لا بد أن يشاركه فى الزمان وفى الفاعل » ، فانه مما قد يثقل استيعابه فضلا عن أن هذين الشرطين ليسا بلازمين ، ويناقش هذان الشرطان فى باب « منهج النحاة » مما يثرى المعرفة اللغوية والنحوية ، وطرائق التفكير ، وفى كتب التراث النحوى من ذلك الكثير الذى يجب أن نتوفر على دراسته ولا نضيق به ، كالنصب فى درس الحال هل هو جزء من التعريف أو هو حكم ؟(١)

كذلك ينظر إلى العلل النحوية وسيلة للتفرقة بين المعانى ، فلام الاستغاثة تفتح لتفصل بين المدعو والمدعو له فى قولك - مثلا - يالزيد للخطب الجليل .. (٢)

(١) خالد الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح ٣٦٧/١ ط . دار أحياء الكتب العربية . القاهرة .

(٢) المبرد (ت ٢٨٥هـ): الكامل فى اللغة والأدب ١٦٧/٢ . ط . دار العهد الجديد. القاهرة.

وفى مناهج الدراسة النحوية نرى أن يدرس بالفرقة الأولى مقدمــــة فى علم النحو تشمل دراسة عن الشواهد النحوية وعصور الاحتجاج والقبائل التى يحتج بأقوالها ذلك أن الشواهد هى الجديد الذى يميز الدراسة الجامعيـة عما دونها ، مع معرفة الشواذ من الاستعمال النحوى . كما يدرس بالفرقتين الأولى والثانية النحو العربى فى الكتب المتخصصة الحديثة مع التطبيق النحوى والإكثار من الأمثلة يقوم به المعيدون والمدرسون المساعدون فى مجموعات دراسية .

أما الفرقتان الثالثة والرابعة فمن الضرورى أن تتصل جهودهما بكتب التراث مباشرة باختيار نصوص شاملة لأبواب النحو العربى جميعا مع التعريف ببعض أعلام النحو فى الأقطار العربية ، والأصوليين الذى لهم فى الدرس النحوى جهود .

أما المدرس الكفء فيجب إعداده بعناية فى غير تعجل فى اختياره معيدا فمدرسا مساعـــدا ثم مدرسا ، وواجبه ـــ فيما نرى ـــ ربط الدرس النحوى بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، كما يربط النحو بالبلاغة ما أمكن فى المرحلتين الثانوية والجامعية حتى نربى فى الطالب ملكة الذوق الفنى ، لا أن نحذف « المبتدأ والخبر » ـــ مثلا ـــ من النحو ليدرس فى البلاغة كما يقترح بعضهم (١). ومن ذلك شرح الشواهد النحوية شرحا أدبيا .

كذلك ربط المعنى اللغوى بالمصطلح النحوى ، ففى درس التمييز ـــ مثلا ـــ يجب شرح المعنى المعجمى قبل المعنى الاصطلاحى ، وقد كان هــــذا الربط منهج الأقدمين فى التأليف النحوى .

ومن الواجب أن يشعر الطالب بالفروق الدقيقة بين التمييز والحال ـ مثلا ـ

(١) هو الدكتور : محمد عبد القادر أحمد ـــ طرق تعليم اللغة العربية ص ١٧٧ ط. دار الشباب ـ القاهرة سنة ١٩٧٩م

والمشبه بالمضاف فى المنادى وفى اسم (لا) النافية للجنس .. فمن شأن معرفة أوجه الشبه والخلاف أن تعين على تصور شامل للنحو ، فلا يؤخـــذ تفاريق مع ربط الدرس بالحياة المعاصرة فإذا كانت العربية من أكثر اللغات صيغا وأبنية فإن معرفتها مجردة عن الاستعمال المعاصر يفقد شيئا من أهميتها فى نفس الطالب .

وفى ساعات الريادة العلمية بعيدا عن المحاضرات فى المقرر الدراسى مجال لتنمية المواهب الأدبية بمشاركة الأدباء فى عقد ندوات بين الحين والآخر .

بذلك فى نظرى تكون لغتنا الجميلة هى النحو والأدب والبلاغة جميعا .

دكتور

أحمد ماهر محمود البقرى

تصويب

ورد فى ص ٢٥٠ (كم) اسم استفهام مبنى على الكسر

والصواب : مبنى على السكون

ونعتذر لهفوات الطباعة .

المحتوى

المفعولات الخمسة

(من ص ١١١ إلى ص ١٧٧)

النداء

(من ص ١٧٨ إلى ص ٢٠٠)

الاستثناء

(من ص ٢٠١ إلى ص ٢١٠)

الحال

(من ص ٢١١ إلى ص ٢٣٧)

التمييز

(من ص ٢٣٨ إلى ص ٢٥٢)

التوابع

تعريف المؤلف

• ولد بالاسكندرية فى ٤ من يوليو ١٩٣٨

• حصل على ليسانس آداب ، قسم اللغة العربية واللغات الشرقية ، دور يونية سنة ١٩٦٢ من كلية الآداب . جامعة الاسكندرية .

• حصل على دبلوم معهد الدراسات الإسلامية . بالقاهرة سنة ١٩٦٦م — الشعبة الآسيوية .

• ثم ماجستير فى الآداب من جامعة الاسكندرية عن رسالته : « أساليب النفى فى القرآن » فى ابريل ١٩٦٩

• منح درجة الدكتوراه فى الآداب بمرتبة الشرف الأولى من جامعة الاسكندرية عن رسالته :

« ابن القيم اللغوى » فى مايو ١٩٧٨

• له مقالات عديدة بمجلة الجارك فى الستينيات وأكثر من ١٥ مؤلفا مطبوعا.

• عضو اتحاد الكتاب بالقاهرة ، والأمين العام المساعد لهيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية ، عضو لجنة التراث بمجلس الثقافة بالاسكندرية.

• شارك بأبحاثه فى المؤتمرات العلمية الآتية :

مؤتمر جامعة المنيا عن طه حسين سنة ١٩٨٠م

« الإسكندرية عن اللغة العربية فى الجامعات سنة ١٩٨١م

« أسيوط عن السيوطى سنة ١٩٨٢م

مطبوعات للمؤلف

١ — الأدب فى حماسة أبى تمام
٢ — العمل فى الإسلام
٣ — أساليب النفى فى القرآن
٤ — فى رحاب القرآن (تفسير سور : الكهف ، النور ، الرحمن ، الإنسان ، الجن ..)
٥ — يوسف فى القرآن
٦ — رحلات (خارج القطر)
٧ — صور من حياة
٨ — خطرات فى الدين والنفس
٩ — العقاد : الرجل والقلم
١٠ — ابن القيم من آثاره العلمية
١١ — ابن القيم اللغوى
١٢ — الشواهد النحوية
١٣ — القيادة وفعاليتها فى ضوء الإسلام
١٤ — ابراهيم ناجى من شعره
١٥ — حواء فى كلمات وخواطر أخرى
١٦ — فى علم النحو : دراسة ومحاورة

تحت الطبع :

١٧ — القيم الخلقية فى الإسلام
١٨ — دراسات فى الشعر العربى
١٩ — الإسلام والحق
٢٠ — دراسات نحوية فى القرآن

رقم الإيداع بدار الكتب القومية بالقاهرة
٥١٢٣ لسنة ١٩٨١
الترقيم الدولي ISBN ٩٧٧

مطبعة فينوس